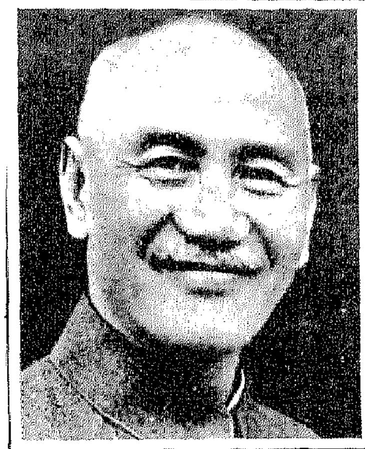
تاريخ العرب والعالم

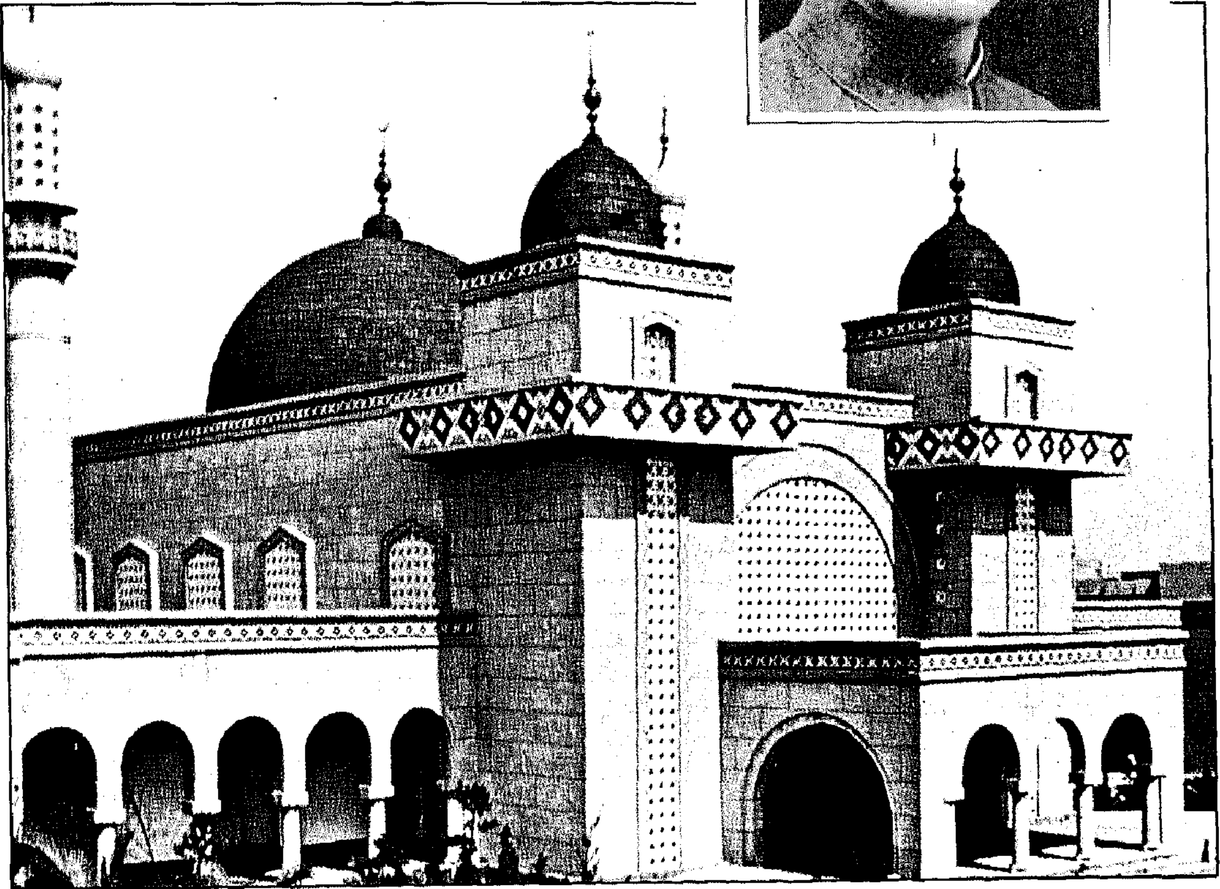


الماضي اللذي سيأتي في عددنا المقبل



هرتزل :
تاريخ الإستراتيجية الصهيونية





النزاع بين الصين وتايوان

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الثانية - العدد التاسع عشر - أيار (مايو) ١٩٨٠ الموافق جمادى الثانية ١٤٠٠

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

رئيس التحرير : فاروق البربير

المستشار : د. أنيس صايغ

المدير المسؤول : محمد مشموشي

الإنتاج : مطبعة المتوسط ش.م.ل. ● التوزيع : الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان :	٤ ل.ل.	سوريا :	٦ ل.س
العراق :	٧٠٠ فلس	ليبيا :	٨٠٠ درهم
السعودية :	٧ ريال	الكويت :	٥٠٠ فلس
الاردن :	٥٠٠ فلس	أبوظبي :	٨ درهم
دبي :	٨ درهم	قطر :	٧ ريال
البحرين :	٧٠٠ فلس	المغرب :	٥ درهم
مسقط :	٨٠٠ بيزة	بريطانيا :	جنيه استرليني

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت، لبنان . بناية أبو هليل - شقة ١١ . شارع السادات - تلفون : ٨٠٠٧٨٣

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. 800783
BEIRUT, LEBANON

VOL. 2, NO 19. May 1980
ANNUAL SUBSCRIPTION
$75 (INCLUDING $25 FOR
ADDITIONAL AIR MAIL CHARGES)
MAIL ALL COMUNICATIONS,
INCLUDING SUBSCRIPTIONS TO:
"HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD"

لوحة
« نساء في الحديقة »
راجع المقالة ص ٤٨



في هذا العدد

الموضوع — الصفحة

■ الحضارة العربية (الجزء الأول) .... نجم الدين بامات ٣
■ وادي لكه أو معركة العبور الى الاندلس .... العقيد د . ياسين سويد ١٤
■ نقولا الدر : المفكر والمناضل الفلسطيني .... اديب قعوار ٢٢
■ تقاليد وآداب المهنة الطبية .... اسماعيل سرور شلق ٣١
■ شجرة الدر سلطانة مصر .... جوتس شريجليه ٤١
■ ضريح شجرة الدر .... ديتريش براندنبورج ٤٣
■ مونيه : الفنان الذي أثار الظلال .... اعداد : مهى الحسيني ٤٨
■ وثائق من التاريخ : اتفاق فرنسة وانكلترة على الحدود
بين سورية ولبنان وفلسطين والعراق .... اعداد « قسم التوثيق والابحاث » ٥٧
■ المسلات المصرية الفرعونية .... احمد غسان سبانو ٦٠
■ اطلانتيس : الباخرة الرهيبة التي حاربت في ثياب مدنية .... اعداد شذا عدرة ٦٧
■ حكاية النقد اللبناني منذ العهد العثماني حتى عهد الاستقلال ٧٤
■ تيتو : تاريخ في رجل .... ايمان نويهض ٨٤
■ صور من التاريخ : احداث ايار ١٩٦٨ الفرنسية .... اعداد قسم « التوثيق والابحاث » ٨٦
■ مسابقة : تاريخ وأسماء ومعالم القرى والاحياء في الوطن العربي ٩١
■ بريد القراء ٩٢
■ رأي حر .... د . سهيل زكار ٩٦

● المقالات الواردة توزَّع حسب التبويب الفني للمجلة . ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب . مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب . تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط .

● المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة : ص . ب ٥٩٠٥ في بيروت .

● المقالات والدراسات التي تُنشَر لا تعبِّر بالضرورة عن آراء المجلة .

● المواد الواردة إلى المجلة لا تُردّ إذا لم تُنشَر .



الحضارة العربية

نجم الدين بامات

الحلقة الأولى

○ إن الهزة التي حلت بالأمة العربية في العهود الأخيرة ، وتعرضها للاحتلال الغربي الذي تقاسم أجزاءها وحال بينها وبين استرجاع مكانتها لفترة طويلة من الزمن ، دفع بالمغرضين والحانقين إلى استعمال جميع الأسباب لاتهام العرب بالعاطفية والجمود ، وانعدام التفكير الواقعي العلمي في حياتهم . وذهب بهم الأمر ابعد من هذا الحد حين حاولوا التجني على الحضارة العربية ، وعلى لغتها وثقافتها بانها لم تعرف إطلاقاً الاسلوب المنطقي في إنتاجها الفكري ، وانها لم تكن صالحة ، - ولا حالياً - إلا للشعر والغناء . وهي بالتالي عاجزة في عصرنا الحاضر عن أن ترتقي إلى مستوى العلوم التقنية التجريبية الصحيحة .

والخطير في كل هذا هو الاقتناع الذي أصاب مجموعة من ابناء الأمة العربية بصحة هذا القول ودعوتهم إلى تعلم العلوم وتعليمها باللغات الاوروبية . وترك العربية منغلقة في مجالات الآداب والعلوم الدينية واللغوية . الأمر الذي يوشك أن يؤكد التهمة إذا تواصل العمل به .

وما نقدمه اليوم في هذه المقالة التي كتبها استاذ غير عربي ، يوضح في كثير من الواقع ان الحضارة العربية كانت أقرب إلى التفتح وإلى العلم من غيرها من الحضارات المعاصرة لها . وان العجز ، إذا كان ثمة عجز ، فانما يرجع للظروف التي مرت بها الأمة العربية في تاريخ نضالها ضد التخلف الثقافي .

حول مفهوم الحضارة العربية كتب كثيرون ، عرب وأجانب ، ولكل منهم مفهوم خاص لها ، وانفتاحاً منا على هذا الموضوع الهام ، في كل وقت ، ننشر على حلقتين مقالة للمفكر الافغاني نجم الدين بامات ، حول مفهومه للحضارة العربية في أبعاد ثلاثة : الحضارة العربية كواقع ثقافي ثم علاقة العرب بالعرب وعلاقة العرب بالغرب فضلا عن صور من نهضة العرب في كل الميادين التي يرى لها تأثيرات على مجريات الحضارة بعامة ، ونحن في نشرنا هذه المقالة نترك للمفكرين وللمؤرخين وللقراء حرية نقدها بعد التأمل في ما سيرد فيها ، كنظرة مسلم قريب ، إلى الحضارة العربية وامتدادها .

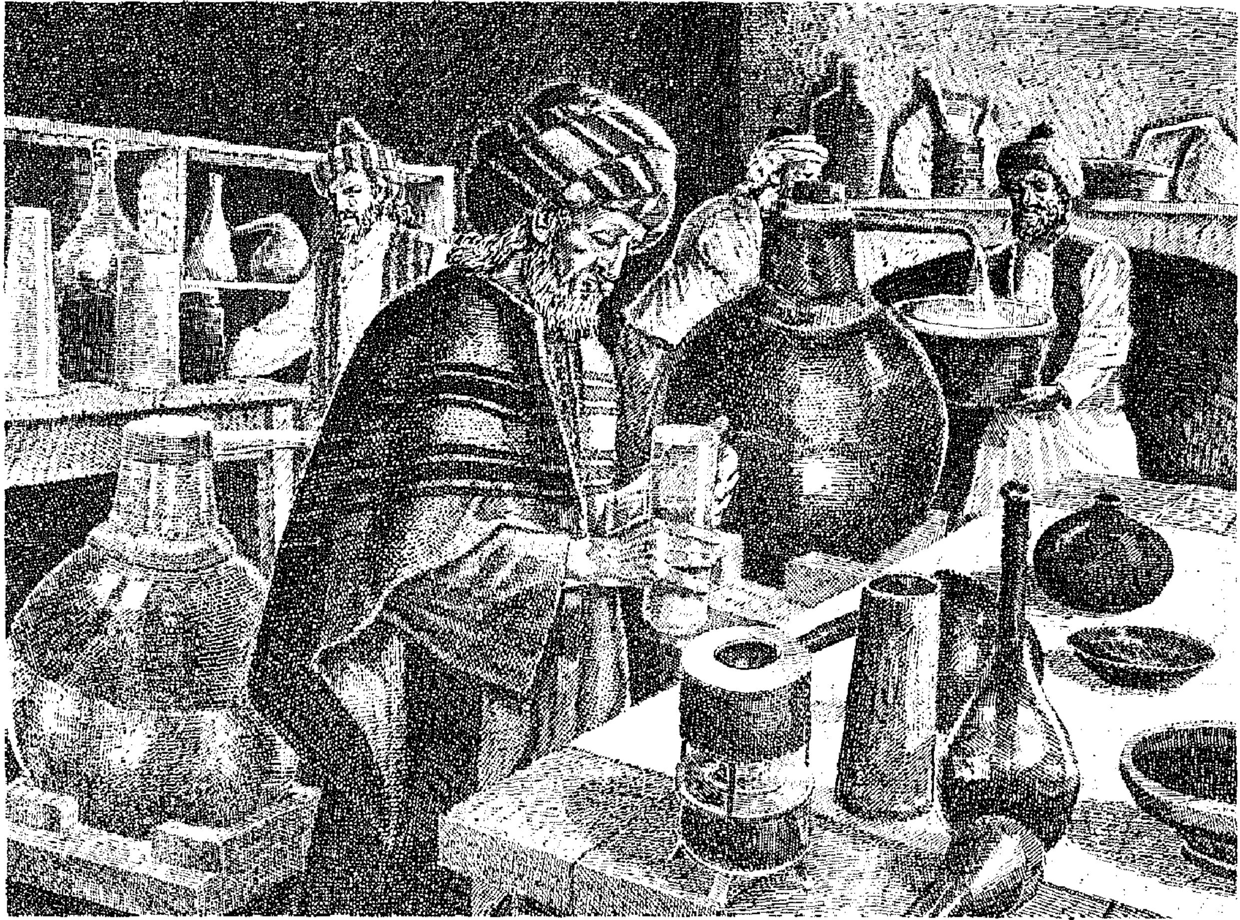
من الواضح انه لا يمكن إزاء موضوع متسع اتساع موضوعنا هذا إلا أن أقدم بعض الشهادات الأولية وبعض الانطباعات التي لا تخلو من الصبغة الذاتية ، ولن يكون الأمر بأي حال من الأحوال متعلقاً بحديث سبق لي التفكير فيه وإعداده ولا كذلك بتصريحات أو بيانات رسمية . وينبع السؤال الأول الذي تنبغي مواجهته تلقائياً من مجرد كوني أنا بالذات قد دعيت لأقدم شهادة شخصية وربما أمكن له أن يفتح أمامنا طريق التفكير والمناقشة .

لماذا وقع الاختيار علي للخوض في هذا الموضوع ؟. انني لست عربياً ، وما أنا بالكاد إلا محب للعربية ودارس لها ، مما يشعرني بشيء من الخجل من نفسي في واقع الأمر . ومع ذلك فلطالما قطعت تلك البلاد العربية في الشرق طولا وعرضاً . ولكن هناك حقيقة اخرى عشتها وأحسستها مرات ومرات سواء في جاكارتا أو تومبوكتو أو سمرقند أو مكة المكرمة . يكفي أهل تلك المدائن أن يعرفوا أن اسمي الأول هو « نجم الدين » أو يكفيهم مجرد « فاتحة » نتلوها معاً ، بل ويكفيهم أن يسمعوا مني بعض الكلمات أنطقها بالعربية ، حتى تتبادل الاشارات ويتردد على الفور صدى الدعوات وتتلاشى الحدود بين البشر أندونيسيين كانوا أو بدواً من بدو الصحراء أو ماركسيين من سمرقند أو تجاراً من الشام . فجأة يولد شيء حي نابض يزخر بالأمل والحنين والعاطفة المشتركة بيننا . ذلك لأنه في لحظة تلاقي اللغة العربية على أفواهنا فان ذكرى الاستعراب وذكرى ثقافة دفينة نائية على نحو أو آخر ، ولكنها نابضة بالحياة على الدوام ، تستيقظ لتنشر التآلف بين قلوبنا .

الحضارة العربية واقع ثقافي

وربما كان ذلك هو التلمس الاولي الذي ينبغي أن يزيل الغموض الذي أحاول القيام به للموضوع المطروح أمامنا . فالقارئ المتمعن يستطيع بسهولة أن يدرك الغموض والابهام اللذين يشتمل عليهما عنوان هذه المقالة ، وقد قبلتهما عن طيب خاطر بل وقدر لي أن أختار العنوان بنفسي ، انه يشمل على الأقل تقدير ثلاثة عناصر متميزة : الحضارة العربية والحضارة الاسلامية ثم العالم الغربي . وهذا الموضوع ذو الروافد الثلاثة ربما تسبب بتداخل عناصره بعضها مع البعض في خلق كثير من الفوضى والتشوش ، ولكن هذا التداخل قد يكون في حد ذاته مصدراً للثراء والغنى .

ففكرة الثقافة العربية من خلال الأمثلة التي سقتها منذ قليل تظهر لنا أولا انها واقع ثقافي أكثر منها واقعاً قومياً أو واقعاً عنصرياً (عرقياً) . فحين تستطيع مجرد الاشارة الى الثقافة العربية ان تحرك أوتار العاطفة في قلب افغاني مثلما تحركها في قلب تركماني أو جاوي أو دمشقي ، فان ذلك ليجعلنا نشعر بمدى ما تحتوي عليه فكرة الثقافة العربية تلك من انسجام وبما فيها من امتدادات فكرية وعاطفية . وانه لمن أمتع ذكريات مكة حياة في نفسي هو طوافي حول الكعبة جنبا إلى جنب مع غالبية من الحجاج ، وأستطيع أن أؤكد هنا على كلمة غالبية ، قادمة سواء من افريقيا أو من اندونيسيا ، لكل منهم لهجته التي هي حلقية بالنسبة لبعضهم وحاسمة بالنسبة للبعض الآخر ، ولكنهم ينطقون الكلمات نفسها ويرتلون الدعوات نفسها ويطلقون النداء ذاته « لبيك اللهم لبيك .. » وكل ذلك باللغة العربية . والحق أن روح الاخاء التي أشرت إليها لتوي إنما



جابر بن حيان

تتكون في جانب كبير من جوانب المودة والعاطفة وتتداخل فيها آصرة قوية هي آصرة دينية لا تتفق تمام الاتفاق مع المفهوم العربي الذي هو متعدد الأديان ، على اننا قد كنا جميعاً عرباً وغير عرب مشدودين إلى نداء يتعالى باللغة العربية وكان محورنا أو « قطب » تجمعنا في مكة بشبه الجزيرة العربية . وهنا نستطيع أن نلاحظ الثنائية الاولى أو التوتر الجدلي الاول ولكنه كذلك الاثراء التاريخي الاول الذي استطاع أن يتخطى العصور بين العرب وغير العرب .

ولقد وجدت فكرة الحضارة الاسلامية نفسها تتجسد وتنتقل تاريخياً وتعرف حقيقتها بالعودة الى الثقافة العربية والى اللغة العربية ، وعلى العكس وجدت الثقافة العربية نفسها منخرطة في علاقة تبادل حي تأخذ صبغة الصراع والتصادم ولكنها تنتهي دائماً بالاستيعاب وخلق التعاونيات الجديدة مع الثقافات الايرانية والتركية في بادئ الأمر ، ولا ينبغي القول بأن تلك العلاقة قاصرة على لحظة تاريخية زائلة ولا أن ذلك كان يطبع الحضارة في الفترة العباسية فقط على سبيل المثال . فمن أقرب الأمور إلى الاحتمال ان تكون فرصة تلك الثقافة في التجدد وأن يكون نفسها الجديد مرتبطاً بجدلية مشابهة ولكن على نطاق واسع ، وأعني ان الدور الذي لعبته في الماضي في الشرق الاوسط ثقافات مثل ثقافة العالم الايراني والعالم التركي انما يستأنف اليوم على اثر انتقال مراكز الأهمية السكانية والاقتصادية لهذا العالم أو ذاك من ناحية في اتجاه افريقيا السوداء ومن ناحية اخرى في اتجاه جنوب شرق آسيا . بحيث لا ينزل هذا المفهوم في بوتقة القومية الضيقة بل على العكس من ذلك يواصل لعب دوره كنموذج وكواقع كما يلعب دوره كمستوعب وناشر داخل العالم الافرو - آسيوي وهذا موقف في غاية الأهمية عندما تحافظ الثقافة على كنهها مع انفتاح مستمر على الاحتكاك بالثقافات التي تحترم كيانها أو تغنيها . هناك وسائل كثيرة لمعالجة موضوع العلاقات بين العالم العربي والعالم الغربي ولقد

قلت بأنني سأعالج هذا البحث على ثلاث مستويات مختلفة – من جهة علاقات العالم العربي مع العالم الاسلامي وهو الموضوع الذي تحدثنا عنه منذ حين – ومن جهة اخرى علاقات العالم العربي مع العالم الغربي ، وأخيراً علاقة المفهوم العربي وثقافته ، بين كلاسيكيته وتجدده بين حنينه للماضي وأمله في المستقبل .

علاقة العرب بالغرب

وأريد الآن طرق الموضوع الثاني ، وهو العلاقة مع العالم الغربي . كثيراً ما حاولت التقريب بين الحضارتين ، وذلك بالرجوع إلى عناصر مشتركة مثل الكتاب (الانجيل والقرآن) والأنبياء المشتركين وابراهيم الذي هو أبو الجميع ، وكذلك إلى الحكمة الاغريقية كما نقلها وعاشها ابن سينا وابن رشد ، كما وقع الرجوع إلى البحر الأبيض المتوسط . ولكنني أريد أن أتناول ناحية مختلفة عن كل ذلك ، وقد أوحى لي بها الاستاذ جاك بيرك ، عندما التقينا وسأل كل منا الآخر : من أين أتيت وإلى أين أنت ذاهب ؟

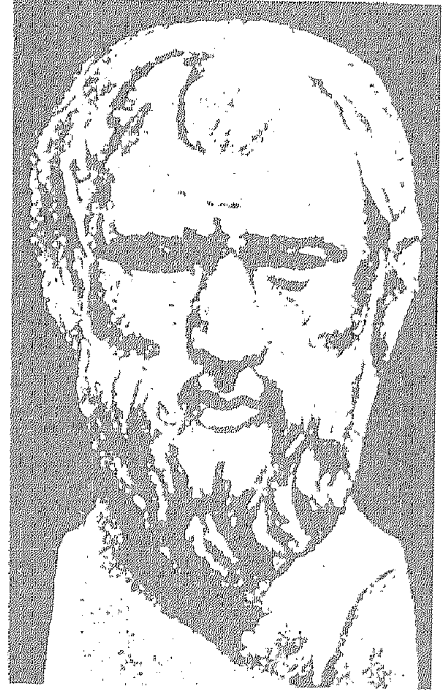
فمصيرنا كان دائما أن تتقاطع طرقنا إما في الذهاب إلى الشرق أو في الرجوع من الشرق فعلمت انه أتى من الشرق وأنه ذاهب إلى بيروت وأنا أيضاً أتيت من الشرق الاقصى . وأود أن أتحدث عن الشرق الأقصى عوض أن أتناول موضوع الحوار بين اوروبا والعالم العربي إذ أن هذا الموضوع الذي لا ينضب قد تناوله غيري كثيراً . أود أن أحط الرحال في اليابان ومن هناك أنظر إلى كل من العالم العربي والعالم الغربي واني لأشعر بأن فكرة تراودني وهي ان اليابان يمثل في الظاهر ومن النظرة الاولى غرباً أقصى . اني أذهب كل سنة إلى اليابان منذ خمسة عشر سنة لتعلقي بهذا البلد ، وألاحظ فيه مجتمعاً يثير اهتمام كل باحث وملاحظ للحياة الثقافية وتطور الحضارة .

واليوم تصل اليابان إلى قمة الحضارة لا أقول الصناعية بل ما بعد الصناعية وانا لنشعر لأول وهلة ونحن في طوكيو باننا أقرب ما نكون إلى نيويورك أو لندن من القاهرة أو الاسكندرية أو دمشق أو بغداد . هذه مدينة توحي بالقوة الصناعية مثل أغلب البلدان الغربية فنحن نجد فيها قاطرات بأكملها تدخل المغارات الكبرى وتخرج منها ، تلك المغارات الكبرى التي تجد في طوابقها الثمانية إما ملعباً لكرة الصولجان أو معرضاً للصور الزيتية أو الاثنين معاً .

ولكن حالما نغادر مستوى الانجاز الاقتصادي والاجتماعي وحالما نصل الى المستوى اليومي البسيط في لقاء الانسان بالانسان فاننا نبعد تماما عن الغرب إذ نشعر ان هناك مفهوماً ونظاماً اخلاقياً وطرقاً معاشية لا يمكن للتفكير الغربي أبداً التسلل إليها وان العلاقات لم تعد هي نفسها في الغرب . فمن المعروف وفق الديانة البوذية أن مفهوم موقف الانسان أمام الاله ومفهوم التاريخ والموقف تجاه الحب والموت يختلف تمام الاختلاف . فالياباني يعيش حضارتين في آن واحد ويتحمل هذا التمازج ويتعرض إلى انغلاق ثقافي دون أن يفقد توازنه بل يلقي بنفسه بقوة عجيبة نحو المستقبل ، وهذا يدهش الملاحظ .

على انه يوجد هناك انقطاع واضح بين الجانبين ؛ فالرجل الذي يسير مؤسسته في النهار يدخل إلى منزله في المساء ويتناول حمامه فيظهر بمظهر الرجل الذي أنتجته الحضارة البوذية والتجارب الروحية والاجتماعية والاخلاقية التي لا يمكن ان تتناسب مع المقاييس الغربية السائدة في حياته ظاهرياً .

وعندما تصل إلى القاهرة وتنظر عن بعد وعندما تنظر إلى دمشق عن بعد أو اثينا فان الشعور لأول وهلة معاكس تماماً فالنظرة الاولى تريك بأنك بعيد جداً عن مجتمع ما بعد الصناعي بعيد عن اوروبا إذ تجد نفسك في عالم غامض حيث ترى الفلاحين والرحل ، عالم يبدو فيه التقدم خطراً ومغامرة ، عالم متمزق ، ولكن عندما تلتقي وجهاً لوجه مع الرجل في دمشق أو في احد مصارف بيروت أو في إدارة بالقاهرة فانك تجد ان العلاقات بين الأفراد والقيم هي نفسها التي تجدها في الغرب وان مفهوم المسؤولية الفردية والاخلاقية ومسؤولية الفرد أمام الآخرين واحد وتشعر بأنك تعيش في العالم النفساني والخلقي نفسه ، أي ان كل ما هو مظهر خارجي في اليابان مطابق للغرب وكل ما هو نفساني داخلي مختلف تماماً بينما يمكن ان نقلب الصورة بالنسبة للعالم العربي بحيث نجد التشابه في التكوين الداخلي


ارسطـو

والاختلاف في الوضع السيـاسي والاجتماعـي والاقتصادي . وهناك عامل آخر ، لقد قلت منذ حين أن اليابان قامت بتزاوج وعلى العكس من ذلك فان العالم العربي وخاصة الاسلامي منه يمثل حضارات تقوم على الوحدة سواء وحدة الشخص أو العائلة أو المجموعـة فتعيش على هذه الوحدة .

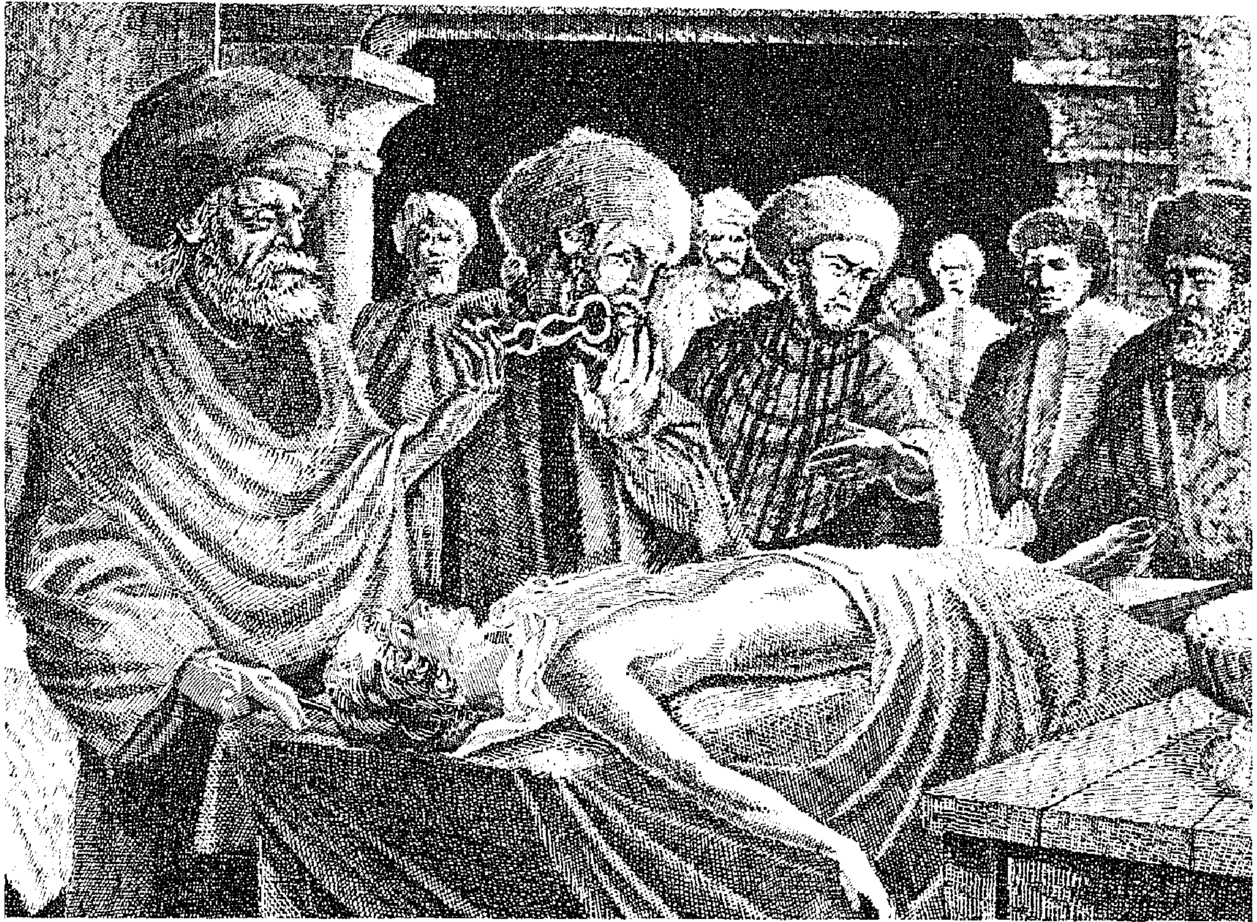
أي ان السلوك في المجتمع والأدب وقواعد اللياقة وطريقة الجلوس على الطاولة وطريقة قطع الخبز وطريقة التعبير ، كل هذه النواحي من حياة الفرد والمجتمع تخضع إلى تقاليد وقوانين ورثت عن الماضي وبالنسبة للمسلمين يأتي هذا النموذج من وزن « سيرة النبي » و « الحديث » أي نموذج السلوك الصالح في كل ظروف الحياة هذه الوحدة في المجتمع حيث يتضامن الكل مع الكل في معاملة الأبناء والزوجة وطريقة التكلم في السوق .. تمثل مجموعة من العلاقات تشكل نسيجاً محبوكاً وتكون « بنياناً مرصوصاً » . بينما يعيش اليابان على التزاوج . والحضارة العربية تعودت على الاختيار والتفضيل . أقول ان تختار نفسها بنفسها بينما كل محاولة للشرق ان يعترض على التقاليد تعد تمزقاً وكل تجديد يعتبر انتزاعا ، مما أعطى لحركة التجديد في العالم العربي كل تلك الحدة التي تعرفها ؛ فكل شيء يصبح فيه اساسياً ولا شيء عرضياً سواء اعتبرت فيه سرعة الشعر أو انتزاع القناع عن المرأة فان ذلك يعتبر ثورة ويصدم عالماً ذهنياً بأكمله بينما تستطيع — في عالم تتعايش فيه طرق ومستويات متنوعة — مد مجال الأذواق والاختيارات الفردية دون أن يعين ذلك بقيم أساسية مما سمح بالتطور والتجدد .

علاقة العرب بالعرب

وأصل الآن إلى علاقات العالم العربي فيما بينه وهو أهم جانب في العلاقات العربية ، وهنا لا أجرؤ على المغامرة لاني أنا نفسي أوجد خارج هذا العالم . ولكن سأعبر عن مجرد شعور . من الواضح ان الثقافة العربية ليست مجرد ثقافة لشعب في طريق النمو ، وإنما هي — قبل كل شيء — ثقافة أمة لها كلاسيكيتها ، بل أقول أكاديميتها ، فالعالم العربي قد توصل إلى إنشاء مجتمع وحضارة متكاملة إلى حد جعل الخطر الذي يهدده ليس هو التخلف أو البدائية بل عكس ذلك ، أي الاكاديمية والتعقيد ، وقد كان خطـر الفلسفـة دائمـاً الانحـدار الى الاستعارات وخطر الأدب الاغراق في البلاغة وخطر الفن الاكثار من التزويق ، ولكن هذه البلدان تحن الى ماضيها لأنه يمثل بالنسبة لها النموذج المتناسق لحضارة متكاملة منغلقة على نفسها ولها مقياس ونظرة منتهية عن العالم والفرد ، ومعنى ذلك ان العالم العربي يخسر كثيراً إذا ما تخلى عن شخصيته وماضيه وهو أكثر من أي شعب مهدد بالخطر الذي تحدث عنه « بوقينال » عندما قال : « لكي نحيا نفقد أسباب وجودنا » .

ومن الهين على شعب لا تاريـخ له ولا كلاسيكية تثقله أن يندفع في تجربة المجتمع الجديد ، أما العالم العربي فيتشبث بأساسه المتين ولا يريد التنكر لطرق الآباء .

لقد قلت في بداية هذا العـرض بأنـي سأطرح القضية العربية في علاقاتها بالعالـم الاسلامي والعالم الغربي وعلاقات العالم العربي في داخله . وبالنسبة للعلاقات مع الغرب فيبدو بأنه من الواضح ان العالم في القرون الوسطى كان يخضع لفكرة واحدة حتى خلال الحروب الصليبية كان سببها الدين والحياة الروحية التي يدعي كل طرف الانتماء إليها وهي الله الحي الحكم والمنصـف ، الله الـذي يحـب



ابن الهيثم

ويعاقب : فالتاريخ عند الاسلام في العهد الوسيط وعند العرب والغربيين له هدف وغاية ، أي انه ينتهي الى حكم ، الحكم الأخير إلى بعث لا زال منظره الروحي والذهني هو نفسه عند كل هؤلاء بينما تختلف القيم تمام الاختلاف في حربنا الباردة حسبما إذا كنا رأسماليين او غير ذلك . فقد كانت الشعوب تتحارب في الحروب الصليبية ولكن مظهرها الروحي والذهني وأذواقها وقيمها واحدة بل وحتى طريقة اللباس كانت تتقارب في ذلك العهد ومن جهة اخرى ، هناك مستوى ثالث خارج هذا المستوى الفلسفي واللاهوتي المشترك ، اذ هو يعتمد على الحدس والعواطف أكثر منه على التدليل والبرهان ، وهو أن العالم العربي وعالم ضفة البحر الابيض المتوسط يعيشان في الوسط نفسه ويمارسان الحياة اليومية نفسها ، إذ نجد فيهما الاسواق نفسها والطرق نفسها لحجب المرأة ومخاطبتها ، كما نجد الفلاح نفسه والمنظر الطبيعي نفسه (التين والزيتون) ، وهذا المنظر نصف بحري ونصف صحراوي يمتد من اثينا إلى ما وراء دمشق وتركيا وايران بل يمتد حتى الهند « الله آباد » ولكن فيما بعد تغيرت المفاهيم والقيم التي كانت رائعة ومحترمة فتوقف التاريخ عن تدرجه نحو الكمال لينغلق على نفسه في مفهوم دائري مستكمل .

إن العالم العربي شرقي ولكنه ليس آسيوياً في الاساس ، وهذا البعد الحقيقي ولكن غير الكافي بين العالم العربي والعالم الغربي قد ولد كل الصعوبة في الحوار ، فالبعد ليس في رفض الواحد للآخر كأجنبي وإنما منشأه الغموض . وفعلا فان عدم فهمنا للياباني يرجع إلى صمته بينما عدم تفاهم العربي والاوروبي يرجع إلى الخطيئة التي يتهم كل منهما الآخر بها لعدم اتباعه الطريق السوي ، فهو راجع إلى كونهما متشابهين ولكنهما عرفا مصيراً مختلفاً وكل منهما يمثل بالنسبة للآخر سلسلة من الفرص الضائعة ومن الاوضاع التي كان يجب ان تتحقق ولم تحصل ، فهو وضع الأخ الخادع . إذن ليس الصمت هو الحاجز المنيع بين الاثنين وإنما هو الشعور بالخيانة المتبادلة ، وهذا

ما يخلق توتراً مستمراً في العلاقة بين الاثنين .

التأثيرات العلمية

وأصل الآن إلى صميم الموضـوع ، أي ما قدمته الحضارات العربية والاسلاميـة إلى العالم الغربي ، وهذا موضوع واسع إلى حد يجعلني أختار جانباً معيناً أشرح من خلاله الجوانب الاخرى ؛ وهذا أفضل ، في رأيي ، من أن أقدم عرضاً سطحياً عن كل ما قدمته هذه الحضارات . وما أريد تجنبه هو أن أذكر قائمة عما أضافه ابن رشد على فلسفة ارسطو أو ما نقله دانتي عن محي الدين بن العربي عن طريق فلان أو فلان . أي اني أود الابتعاد عما يعتبره المستشرقون تأثيرات مباشرة وسأتناول موضـوعاً لم يطـرق كثـيراً وهـو : العلـوم الصحيحة . قلت انه موضوع لم يطرق كثيراً ، وذلك راجع إلى كون المستشرقين كانوا إما علماء في اللاهوت وإما لغويين أو مؤرخين كما انه لم يطرق لكون التخصص فيه يمثـل عقبـة كبيرة ، فقد كان تعليم اللغات الثلاث (العربية والفارسية والتركية) في وقت من الأوقات مفخرة المدرسة المستشرقة الفرنسية لمعرفـة العالـم العربي والفارسي والتركي . وان الحضارة تظهر لنا من خلال المستشرقين حضارة دينية وأدبية وقانونية نظراً لكون المستشرقين كانوا علماء دين ومؤرخين ولغويين ، ومن المؤكد ان حضـارة الشرق كانـت تظهـر بمظهـر آخـر لو كان للمستشرقين تكوين آخر بل اننا نشاهد ذلك اليوم فتقسيم الأرض يقع بطريقة اخرى فترى العالم العربي من زاوية المستقبل الاقتصادي والاجتماعي ، وقد نتج عن ذلك ان كل ما يمثل نوعاً من الأمانة أو الأصالة لدى العرب يبدو كجانب عتيق أو رجعي أي كمجتمع مثقل بينما هو في الحقيقة أحد العوامل التي دفعت تلك الحضارة والتـي تعطيهـا وزنهـا وكثافتهـا الحقيقية . ولقد اخترت عمداً الحديـث عن العلوم التطبيقية والعلوم الطبيعية ، ولن أقول إلا بضع كلمات فيما يتعلق بفلسفة الفنون والآداب .

أولا : ان العلوم الاسلامية تأثرت بالتمازج الذي حصل بين العالم العربي والعالم الغربي ،

ابن سينا



والعالم الشرقي والعالم الاسيوي . وأول ما نلاحظ هو أن للعلوم العربية في اصولها مصادر وفيرة ، وطابعاً عالمياً . فهي أولا تولدت عن المعطيات اليونانية ، وعن هجرة الأدمغة التي حصلت في أواخر هذا العهد البيزنطي ، في الوقت الذي كان فيه النوسطوريون وأنصار وحدوية طبيعة المسيح مرغمين لتأسيس مدارس مثل مدرسة « جندي سابور » . ومن التواريخ التي يمكننا ذكرها هي إغلاق مدرسة النوسطورية في عام ٤٨٩ .

ومعنى هذا ان في التنقل من الرها الى جندي سابور ، ومن الاسكندرية إلى بغداد ، أعطت مساهمة العلماء المسيحيين ومؤلفات النساطرة المكتوبة باللغة السريانية في الشرق الأدنى ، أعطت إذن للعلوم العربية منذ البداية أول أسلوب لها . فهي علوم تركيبية ، وهي أيضاً علوم ذات طابع موسوعي ، ويعود طابعها الموسوعي إلى سببين : أولا ، لأنها علوم تجلت للعرب ككل ، كمعطى ، وجدت في مكان ما كمجموعة كاملة من الدلائل ينبغي قبل كل شيء ترجمتها قصد استيعابها . لقد أنشأ الاغريق العلوم ، فكانت كلا مركباً تركيبياً تاماً ، كان يجب ترجمته ، وكان ذلك عملا شاقا لم يحلل كما ينبغي ، فهو يتطلب دراسة متعمقة لتفسير كيف تم النقل من اللغة الاغريقية إلى لغة سامية ، وإلى مفاهيم علمية . إلا ان الطابع الموسوعي تولد أولا من كون ان العلوم تجلت للعرب ككل أنتجه الاغريق خارجاً عن محيطهم .. وثانياً ، ان العلوم ظهرت للعرب موسوعية،مجموعة من الدلائل يجب تأويلها . فالطبيعة في عمقها مجموعة من الدلائل أو الذكريات ، ومن واقع متعدد التلاحم . هذا ما جعل هذه العلوم العربية موسوعية ومتفائلة في آن واحد . فللعالم تفسير ، والعالم منسجم ، ولذلك أسباب تاريخية (اكتشاف منهج متلاحم الاجزاء ، ألا وهو المنهج الاغريقي) ، كما ان لذلك أسباباً روحية ودينية .

العلوم العربية تجريبية

ولكن هناك مظهراً آخر للعلوم العربية ، يبدو لي انه قل ما اشير إليه ، بل وكثيراً ما اسيء فهمه ، وهو طابعها التجريبي أساساً . وهنا أود أن أقدم لكم بعض الاستشهادات :



الاسكندر

فالكندي في « رسائل الفلسفة » يقول : « ليس هناك أجهل من ذلك الذي يأخذ أحكامه من كتب العلم القديمة ، وعلى الخصوص في العلوم الطبيعية » . ويواصل قائلا : « وعلى الذي يبحث عن برهان منطقي أن يتمسك بالبراهين الرياضية والهندسية ، لأنها سهلة الفهم ، بحكم

انها تعبر بالضبط عن براهين محسوسة » ، وان هذا قد يتنافى مع فكرة علم موسوعي ، لكن ذلك أيضاً أحد التيارات الأساسية للعلوم العربية . فالعلماء العرب هم قبل كل شيء مختبرون .

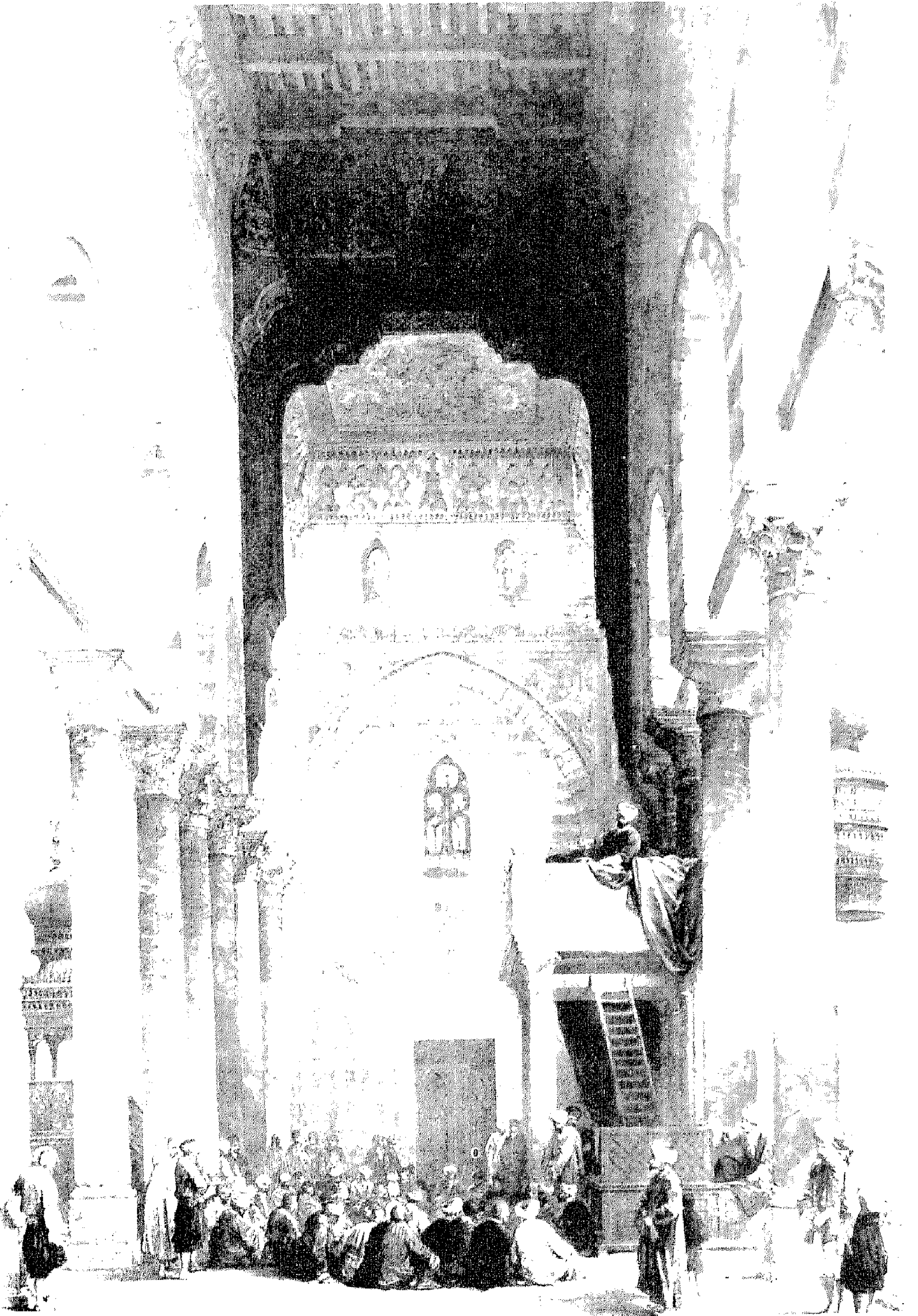
وعند قراءتك لابن الهيثم في مؤلفه « علم البصريات » تجده يحدثك عن الكيفية التي يضع بها مراياه ويرتب أدواته بالأهمية نفسها التي يحدثك بها عن نظرية الضوء . وعندما تقرأ البيروني مثلا تجد ملاحظات متعددة عن الطريقة التي رتبت بها الأدوات لدى قيامه بتجربه . وعند قراءة « الرازي » تجد مجموعة كاملة من الأوصاف والعمليات ، ويمكن أن أقول حتى مجموعة من التجارب عن كيفية الطبخ ، بحيث تجد مجموعة من المراحل الفيزيائية .

لقد كان عالم الحضارة العربية تقنياً ومجربا يدوياً أكثر منه باحثا نظرياً ، كما كان شأن العالم والمهندس اليوناني ، الذي كان فيلسوفاً قبل كل شيء ، فالعالم العربي أقرب إلى الانسان الصانع . بينما العالم الاغريقي يعترف بمنطقية العقل الانساني وبنية معصومة . فالعربي بالمقارنة ، يبدو مهتماً بالمدى القريب وبالحالات الخاصة . فنجد أنفسنا أمام معرفة موسوعية ، ولكنها في آن واحد رمزية وفلسفية وتجريبية ، وهي في معظمها مستعارة من الاغريق . إن هذه المعرفة تأخذ أصالتها ونوعيتها من كونها قبل كل شيء علمية ومنهجية . وسنرى بعد قليل أسباب ذلك . ويبدو لي انها أسباب ملتبسة بعض الالتباس : فالكندي عندما يبحث مثلا في نظرية الحرارة ، فهو يأخذ أولا في تحديدها حسب النظريات الارسطية للحركة الدائرية ، ثم يأخذ في الكلام تدريجاً عن ملاحظاته عند تسخينه الماء حسب درجات حرارية مختلفة ، ثم يواصل الكلام عن تجارب ملموسة وعادية ونوعية . كما ان ابن سينا يعطينا التفاصيل الدقيقة في بحثه عن (مختلف) الامراض . فهو قبل كل شيء يقدم لنا مؤلفاً من الملاحظات العيادية وليس نظرية في الأمراض . وبما انني أتحدث عن ابن سينا ، فها هو نص قيم يبرهن لنا عن مدى كون هذا الاهتمام التجريبي والوصفي والمنهجي تقريباً مسيطراً على علماء الحضارة العربية . « إن الجبال ناتجة إما عن هزات مثل التي تحدثها الزلازل ، أو عن الحملة التدريجية للمياه والرياح التي تحفر شيئاً فشيئاً الأودية في الأراضي السهلة التفتت . وقد حدثت هذه التغيرات في الأزمنة الغابرة » .

وهنا نصل إلى مقطع غريب جداً يصف فيه الأحجار التي تحتوي على آثار للأصداف بها أسماك متحجرة ، ثم يحصيها ، وينتهي قائلا : « نستطيع أن نؤكد بأن الماء كان العامل الأساسي إذ اننا نجد في هذه الأحجار آثار حيوانات مائية وأصداف ، وليس للأراضي الصفراء الموجودة على الاديم الاصل نفسه المتولدة عنه الصخرة المركزية ، وربما نتجت هذه الاراضي عن تحلل النباتات » . وقد اخذ هذا النص من كتاب « الشفاء » لابن سينا .

تلك إذن هي مجموعة الاصطلاحات والملاحظات التجريبية والخاصة التي وضعتها العلوم العربية ، مما أعطاها اسلوبا يختلف كل الاختلاف عن التراكيب الفكرية الكبرى والهندسية لدى الاغريق ، ولم يحصل العرب على تقدم كبير في الميدان النظري بالنسبة لما قام به أبقراط وغالين ، ولكنهم أضافوا أوصافاً لأمراض خاصة كما في بحث الرازي عن الجدري ، ذلك البحث الذي ظل أساسياً حتى القرن الثامن عشر ، والأمر نفسه صحيح بالنسبة للخوارزمي الذي لم يأت بالكثير في الميدان النظري بالنسبة لاقليدس . ولم يكن هناك نظام مسبق ولكن عدداً من المشاكل الرياضية ، تم حلها بلباقة بطرق التبسيط في أساليب حسابية بارعة .

والأمر نفسه بالنسبة للاسكندر الذي كان لديه تراجم عن اقليدس ولكن الشيء الذي يقدمه لنا هو بحث في المقاييس يستطيع استعماله تطبيقياً مراقبو الأراضي العقارية ، ومن هنا انطلق في وضع تركيبه النظري . وقد صرح هو نفسه عن ذلك بالحرف ، وبما ان هذا يمثل شهادة هامة من الكندي تستحق أن نوردها لأنها تبين أن بعضاً من هؤلاء العلماء كانوا واعين كل الوعي ، لكل ما حاولت قوله في التناقضات فهو يقول « إننا ضعاف أمام ما ورثناه عن الاغريق من نظريات في التركيب إذ ان القدماء يمتازون باكتشاف مبادئ أساسية بابتكار معاني » ، والمقصود بالقدماء ، الاغريق : أما المحدثون فهم العرب وقد تميزوا باختراع كثير من التفاصيل وبتبسيط المشاكل بتركيب المتناقضات ، وهذا ما سمح للمستشرق الانكليزي الكبير « غيب » بالقول : « ان تركيز



لوحة للفنان العالمي دافيد روبرتس : حلقة دراسية يومية في صحن الجامع الأزهر - القاهرة .



ابن خلدون

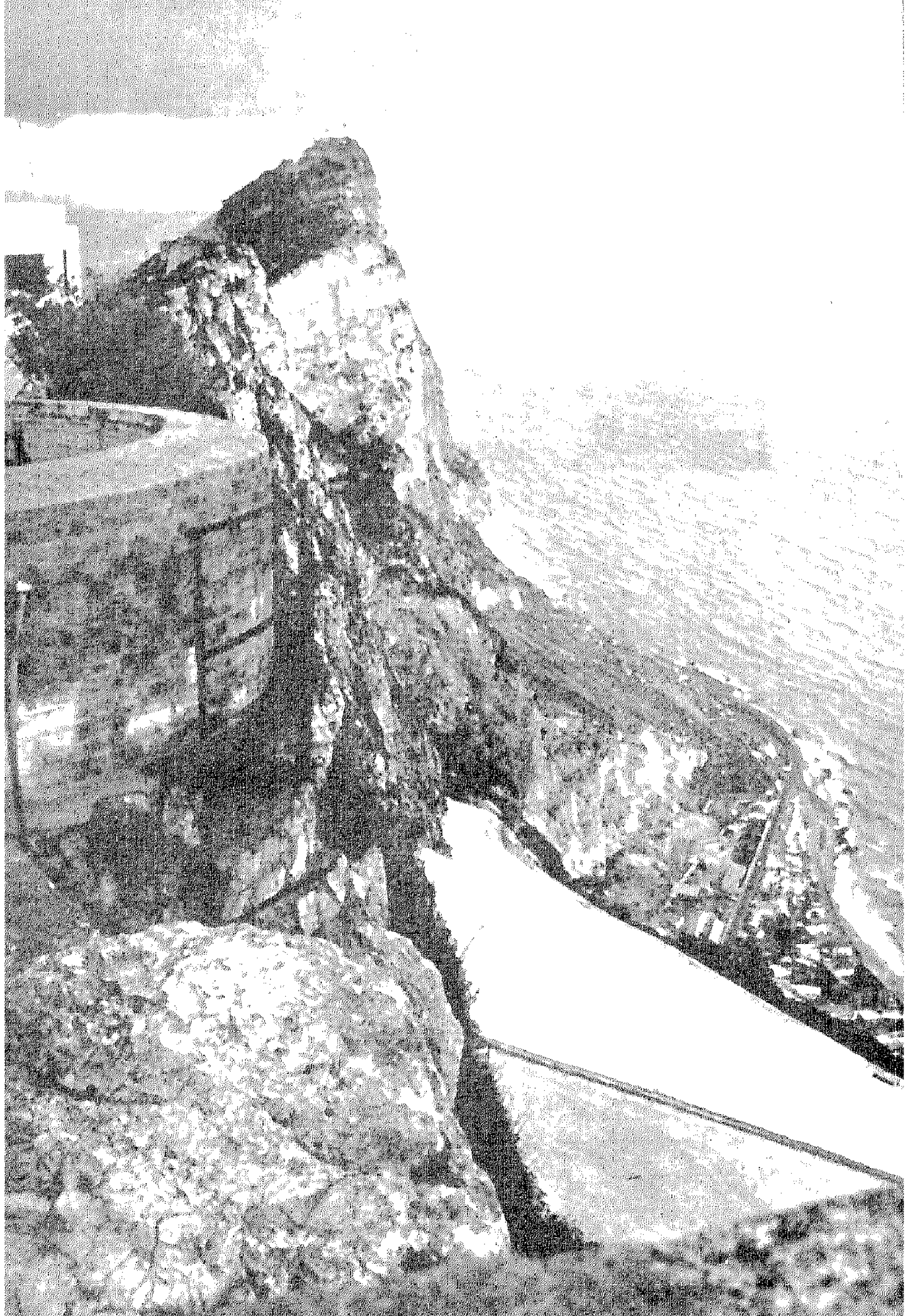
الاهتمام على حوادث تجريبية فردية سمح للعلماء العرب بتطوير الطريقة التجريبية أكثر بكثير من أسلافهم في اليونان وفي الاسكندرية » . وكذلك فان الروابط بين العلوم العربية والتكنولوجية قد زادت في هذا المظهر العملي والتجريبي للعلم – وقد سبق لي أن أشرت إلى عدد الحسابات المرتبطة بحسابات الضرائب والارث ، وإلى ارتباط علم الفلك بضرورة معرفة أوقات الصلاة ، وحلول رمضان . أما فيما يتعلق بعلم الحيوانات فالأبحاث تقتصر في غالب الأحيان على الماشية وخاصة منها الخيول والاكباش بجانب حيوانات خرافية ، أكثر منها على تصنيف عالم الحيوان في مجموعه .

وأما فيما يتعلق بالزراعة ، فيهتمون بالسقي وبالبساتين ، وترتبط العلوم ارتباطا وثيقا بالصناعات التقليدية . ويوجد تواطؤ بين العالم والتقني ورجل التعاونيات ، وفي اكتشاف ألوان جديدة ، وفي اكتشاف طريقة نقش الخزف ، ومساهمتهم في اكتشاف الأدوية وفي طرق نقل السوائل ، والأهمية التي تحتلها سواء في الميدان العلمي أو التقني والتنفرات المرصعة ، أو جلود قرطبة ، أو شاش الموصل ، أو أساليب صناعة الزرابي والخزف ، فكل هذا يعتبر ميدانا يمثل تعايشاً بين الصانع التقليدي والتقني والعالم . فالعالم ليس له نظام خاص ، فهو إما أن يكون فيلسوفاً أو صانعاً تقليدياً أو الاثنين معا ، ومن المفيد أن نشير مثلا إلى أن جابر بن حيان عندما يعلق على بحثه يعوض الميزات الحسية عند ارسطو ، الحرارة ، البرودة ، الجفاف ، الرطوبة بميزات علمية ، المطولية ، قابلية الذوبان ومقاومة الطرق والسحق والتمدد . وقد نميل الى القول استناداً إلى ما كنت أقول منذ قليل ان العرب كانوا المنشئين للطريقة التجريبية ، وان الاغريق كانوا نظريين كباراً ، أسسوا نظاماً هندسياً عظيماً ومنسجماً ، فالعرب كانوا خلاقين للعلوم العصرية بملكتهم التجريبية والاختبارية ■

وادي لكّه

أو معركة العبور إلى الأندلس

العقيد الدكتور
ياسين سويد



الموقع ودوافع الفتوح :



يمتد الساحل الشمالي للمغرب العربي (الافريقي)، ما بين مدينتي «الجزائر» شرقا و «طنجة» غرباً، بموازاة الساحل الجنوبي لشبه جزيرة «ايبيرية» من قارة اوروبا، او الساحل الاسباني، ما بين «قرطاجنة» في اقليم «تدمير» على البحر المتوسط، شرقا، و «قادس» على المحيط الاطلسي جنوبيا؛ وتفصل بين الساحلين مياه البحر الأبيض المتوسط التي تتصل، ما بين «المرية» على الساحل الاسباني، و «وهران» على الساحل الافريقي، بما كان يسمى قديماً بـ «بحر الزقاق». ويقترب الساحلان الاوروبي والافريقي، فيكادا يتعانقان ما بين «سبتة» شرقا، و «طنجة» غربا، على الساحل الافريقي، وبلدة «طريف» على الساحل الاوروبي، عند المضيق الذي يصل بين البحر والمحيط، والمنسوب إلى ذلك الجبل المسمى اليوم باسم القائد المسلم، طارق بن زياد الليثي، فاتح الاندلس.

وكان المسلمون، في أواخر القرن الاول الهجري، اي في أوائل القرن الثامن الميلادي، وفي عهد الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك، قد أكملوا بسط سلطتهم على شمالي افريقيا، باستثناء «سبتة» فقد قعد عنها موسى بن نصير، بعد أن لقي مقاومة عنيفة من حاكمها البيزنطي، جوليان، الذي كان يتلقى المدد والعون من مملكة القوط في شبه جزيرة «ايبيرية» (اسبانيا)، وكانت «سبتة» هذه آخر معقل للبيزنطيين في افريقية الشمالية. كما انها لم تكن لتشكل أي خطر على الولاية الاسلامية الجديدة، بل، بعكس ذلك، أضحت تحت رحمة المسلمين الذين استولوا على «طنجة» ولم يبقوا لحاكم «سبتة» إلا شريطاً ساحلياً ضيقاً ومحدوداً، وربما كان ذلك هو السبب الأساسي في تساهل المسلمين مع حاكم سبتة البيزنطي.

وجعل موسى مدينة «القيروان» عاصمة لولايته في افريقيا الاسلامية، ثم انصرف الى تنظيم الحكم في هذه الولاية، بعد ان سلم حكم «طنجة» الواقعة على حدود «سبتة» لواحد من أكفأ قادته وأجدرهم، والذي سوف يعرف فيما بعد بفاتح الاندلس، وهو طارق بن زياد.

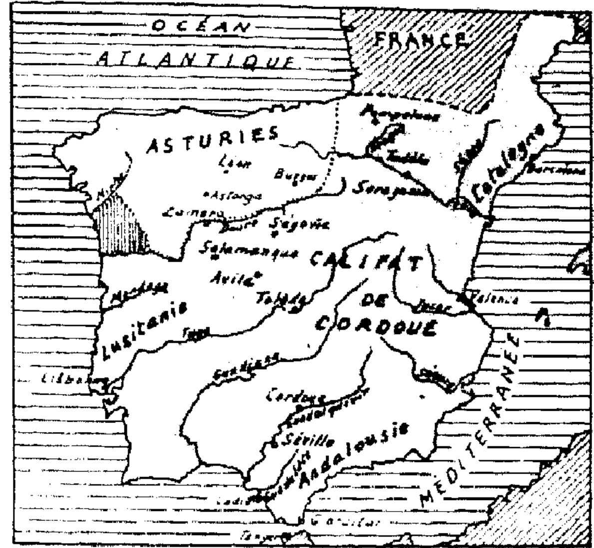
ولعله خطر ببال طارق، وهو يسرح ببصره فوق مياه البحر الزرقاء، من مقره في المدينة الافريقية الواقعة على الساحل المقابل والقريب من الساحل الاندلسي، ان ينطلق، عبر هذه المياه، ليكتشف معالم القارة الغريبة عنه وعن عالمه الصحراوي، ولكنه لم يكن يدري، ولا شك، ان القدر قد أعده ليكون أول قائد مسلم تطأ قدماه أرض تلك الديار، فاتحاً.

ولسنا هنا في مجال مناقشة دوافع فتح العرب المسلمين للأندلس، إذ انها، في نظرنا، لا تتعدى الدوافع نفسها التي قادت هؤلاء الفاتحين إلى حدود تلك البلاد وإلى حدود بلاد سواها في أقاصي المعمورة، وهي ولا شك:

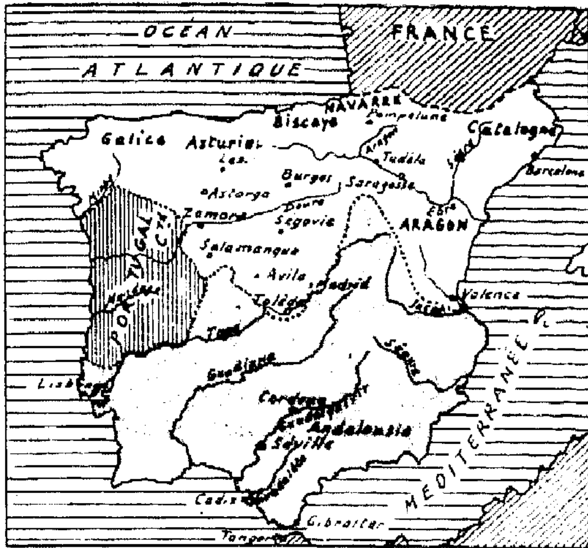
في الأساس، الدافع الديني الذي يتجسد في سبيل نشر الدعوة الاسلامية، واستطراداً الدافع الاقتصادي الذي يتجسد في تطلع المسلمين إلى حياة أفضل، إذ كان عليهم أن يسدوا حاجات اقتصادية فرضها ازدياد عدد المسلمين ونمو جيشهم، والظروف المعيشية القاسية التي كانوا يعيشونها، قبل الاسلام، في جزيرتهم؛ وقد ظهر هذا الدافع واضحاً في خطبة للخليفة عمر بن الخطاب يوم ولي الخلافة، إذ قال: «لكم علي أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني عليها، لكم علي أن لا أجتبي شيئا من خراجكم ولا ما أفاء الله عليكم من وجهه، ولكم علي إذا وقع في يدي أن لا يخرج مني إلا في حقه، ولكم علي ان أزيد عطاياكم وأرزاقكم ...» وفي تحريضه للمسلمين على فتح العراق قال: «إن الحجاز ليس لكم إلا بدار على النجعة، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك، أين الطراء المهاجرون عن موعود الله؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها».

وإذا كان للمسلمين طموح، أو مطمع، لا فرق، في فتح بلاد الاندلس، في ذلك الحين، وبعد ان استتب لهم الحكم في شمالي افريقية، فان ظروف الحكم القائم في شبه الجزيرة الايبيرية قد ساعدتهم، إلى حد كبير، على تحقيق هذا الطموح، فقد كان رودريك (Rodrique) (أو لذريق «كما يسميه المؤرخون العرب») ملك القوط في تلك البلاد، يعاني من مشاكل داخلية ضاغطة وصعبة الحل، فهو كان قد انتزع الملك من أصحابه آل غيطشة (Witiza) فلم يحسن إدارته، فكثر

خرائط تمثل امتداد الحكم العربي في اسبانيا



١ – من ٧١٢ إلى ٧٢٠.



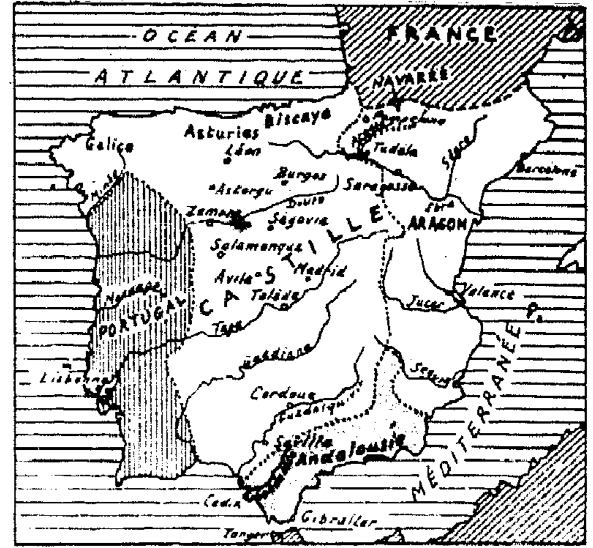
٢ – ٧٥٦ – ١٠٣١.

لذلك خصومه بالاضافة إلى اولئك الذين كانوا ، في الاساس ، حلفـاء للملك المخلـوع ، وكان جوليان ، حاكم سبتـة ، واحـداً من هؤلاء الحلفاء ، فلجأ إليه أولاد غيطشة سراً ، يطلبون منـه مؤازرتهـم لاستعـادة ملك أبيهـم من غاصبيه .

وكان لأولاد غيطشة أنصار كثر في مملكة « لذريق » مما شجع « جوليان » ، وهو خصم للذريق ، على السعي لخلع هذا الأخير ، بأية وسيلة من الوسائل ، ولم يكن أسهل عليه من الاتصال بجيرانه العرب المسلمين ، وإغرائهم بسهولة احتلال بلاد الأندلس وقهر مليكهـا والتمتع بخيراتها ، وفي اعتقاده ، هو وأولاد غيطشة وأنصارهم من خصوم لذريق ، ان هؤلاء العرب لا يهمهم من احتلالهم لبلاد الاندلس سوى الفوز بالغنائم ، وانهم لن يكونوا فيها سوى « مجرد وافدين ، مقامهـم موقـوت .. ينشدون ملء أيديهم من الغنائم والخيرات ثم يعودون من حيث أتوا » ، واتصل جوليـان بطارق في طنجة وعرض عليه الفكرة ، فأعجبت طارقاً وأغرته المغامرة ، وهـو القائـد الفـذ الطموح ، واتصل بموسى بن نصير في القيروان ، فكان موقف موسى كموقف طارق نفسـه من الفكرة ، ويقال ان لقاء تم في عرض البحر بين القائدين العربي والبيزنطي ، حيث تم الاتفاق بينهما على التعاون في عملية الفتح المقترحة ، ولكن أيا من القائدين العربيين ، موسى وطارق ، لا يتمكن من أخذ مثل هذا القار الخطير دون العودة إلى رأي الخليفة في دمشق ، فكتب موسى إلى الوليد يفيده بالأمر ويستأمره ، فكان جواب الخليفة بالموافقة شرط أن يمهد لذلك بحملات استطلاعية صغيرة تستكشـف ، من جهـة ، الوضع العسكري في بلاد العدو ، وتتأكد ، من جهة اخرى ، من صدق نوايا جوليان وحلفائه ، بمساعدة المسلمين في حربهم الجديدة ، بمـا يقدمونه لهم من دعم وعون .

ونفذ موسى أوامر الخليفة بأن أعد سرية مؤلفة من اربعماية من المشـاة ومايـة من الفرسان ، أمر عليها ضابطاً من البربر شديد المراس محنكاً في امور القتال هو طريف بن مالك المعافري ، وأبحرت السرية من سبتـة (رمضان ٩١هـ = تموز ٧١٠م) على أربع سفن قدمها جوليان لها ، حيث نزلت في الموضع الذي قامت عليه فيما بعد بلدة حملت اسمه « طريف » بالقرب من جزيرة تدعى « الجزيرة الخضراء » ، فجاس في الجزيرة بارشاد من جوليان نفسه ، واستطلع أخبار العدو ، ثم عاد مع سريته ليحدث موسى عن ما تنعم به تلك البلاد من خيرات وعن الود الذي استقبـل وجماعته به ، إذ يظهر ان أهل تلك الجزيرة كانوا من الموالين لغيطشة وأولاده .

بعد هذه الحملة الاستطلاعيـة ، أصبح أمر فتح الاندلس في نظر موسى ، وطارق ، وفي نظر الخلافة في دمشق ، أمراً جدياً ، وبدأت الاستعدادات للحملة على قدم وساق ، حيث بنيت السفن في دار الصناعة بتونس ، ولبث



٣ – في ١٢٧٠ . الخرائط من (Historia) ايلول ١٩٧٩ .

موسى ، في طنجة ، ردحاً من الزمن ، يعمل مع طارق على تنظيم الجيش الذي سيقوم بهذه المهمة الخطيرة ، ولم يمر عام على الحملة الاستطلاعية التي قادها طريف حتى كانت طلائع حملة الفتح تبحر من سبتة (رجب ٩٢هـ = نيسان ٧١١م) بقيادة طارق نفسه ، ولم تبحر هذه الحملة دفعة واحدة ، خشية ان يثير ذلك انتباه العدو ، بل أبحرت فوجاً اثر فوج ، حتى اكتمل قوامها سبعة آلاف مقاتل ، كلهم من البربر ، ما عدا ثلاثماية فقط من العرب المسلمين ، وانضم إليهم فيما بعد جوليان بنفر من صحبه وأتباعه . وإذا كان للبربر المسلمين فضل تكوين أول حملة لفتح بلاد الأندلس ، وعلى رأسهم قائدهم البربري الاصل ، طارق ، فذلك لأنهم كانوا أعرف من العرب بتلك البلاد وأكثر منهم خبرة بدروبها ومسالكها ، كما ان ذلك دليل على ثقة موسى بصدق إسلامهم رغم حداثة عهدهم بالاسلام .

ولكن ذلك لم يمنع موسى من أن يبعث مع طارق ، وبامرته ، خيرة القادة العرب في المغرب أمثال عبد الملك المعافري وعلقمة اللخمي ومغيث الرومي وسواهم .

وما أن اكتمل عقد الجيش الاسلامي على الساحل الجنوبي للأندلس ، عند جبل كالبي (Calpe) الذي سمي فيما بعد بجبل طارق أو جبل الفتح ، حتى باشر طارق باحكام رأس الجسر الذي أقامه بجيشه على الساحل الأندلسي ، وتوسيعه ، فذكر بعض المؤرخين انه أقام قاعدة حصينة له عند سفح الجبل ، وأنشأ مرفأ يصله بسبتة ، أنشأ حول الجبل سوراً

طارق بن
زياد الليثي



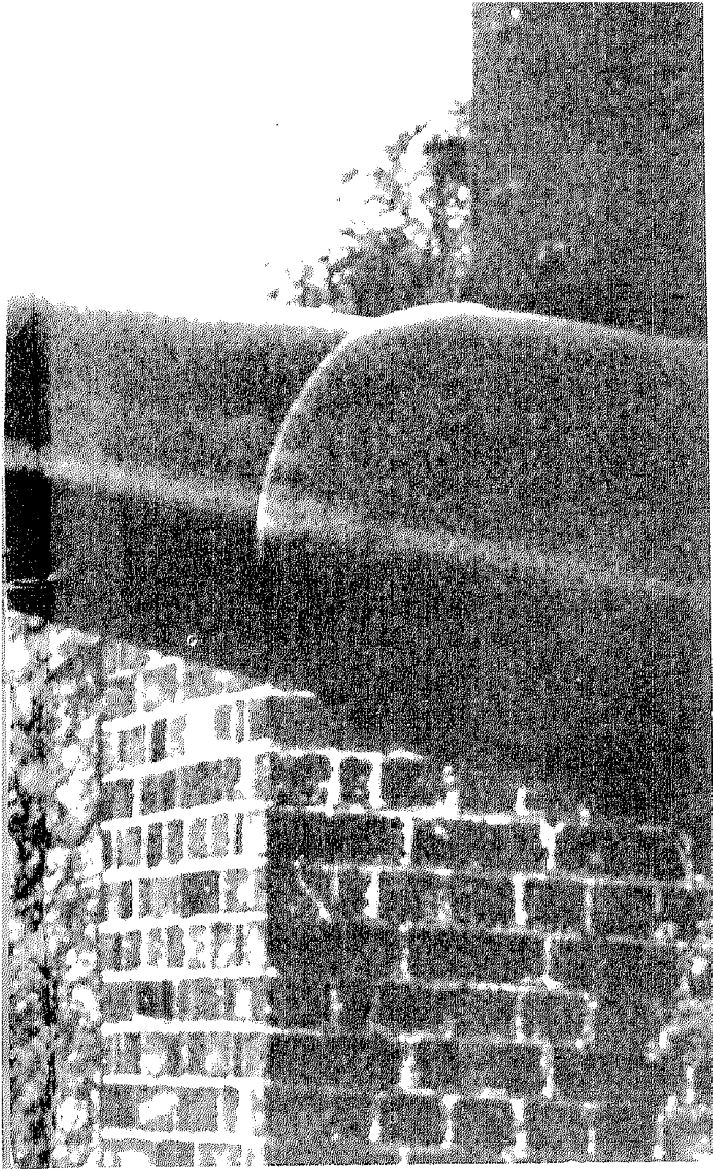
رودريك ملك القوط

سمي « سور العرب » . ويعتقد كثير من المؤرخين ان طارقا أحرق سفنه ، بعد أن أنزل جيشه على الساحل الاندلسي ، ثم خطب بجنده خطبته الشهيرة : « أيها الناس ، أين المفر ، البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، الخ .. » ولكن بعضهم يرى ان طارقاً لم يحرق سفنه ، بل أعادها إلى الساحل الافريقي ، وان الخطبة المنسوبة إليه هي من وضع مؤرخين محدثين ، إذ ان طارقا كان بربري المحتد ، ولا يعقل أن يكون فصيحا بالعربية إلى هذا الحد ، بالاضافة إلى أن الجيش الذي قاده إلى أرض الاندلس كان ، في أغلبيته ، بربري اللسان ، وليس عربياً .

الاستعدادات والاستطلاع :

وفي كل حال ، فان أول عمل قام به طارق ، حين وصوله إلى ساحل الأندلس ، بالاضافة إلى ما قدمناه ، هو استكشاف المنطقة المحيطة ببقعة النزول ، فأرسل فرقة من جنده ، بقيادة عبد الملك بن أبي عامر ، لاستكشاف القسم الشرقي من الساحل ، حيث انطلقت ، شرقاً حتى وصلت إلى قرطاجنة (Carteya) القرية الفينيقية القديمة القائمة على هذا الساحل ، فاحتلتها ، ثم انحرفت غرباً بجنوب نحو « الجزيرة الخضراء » قرب (جبل طارق) .

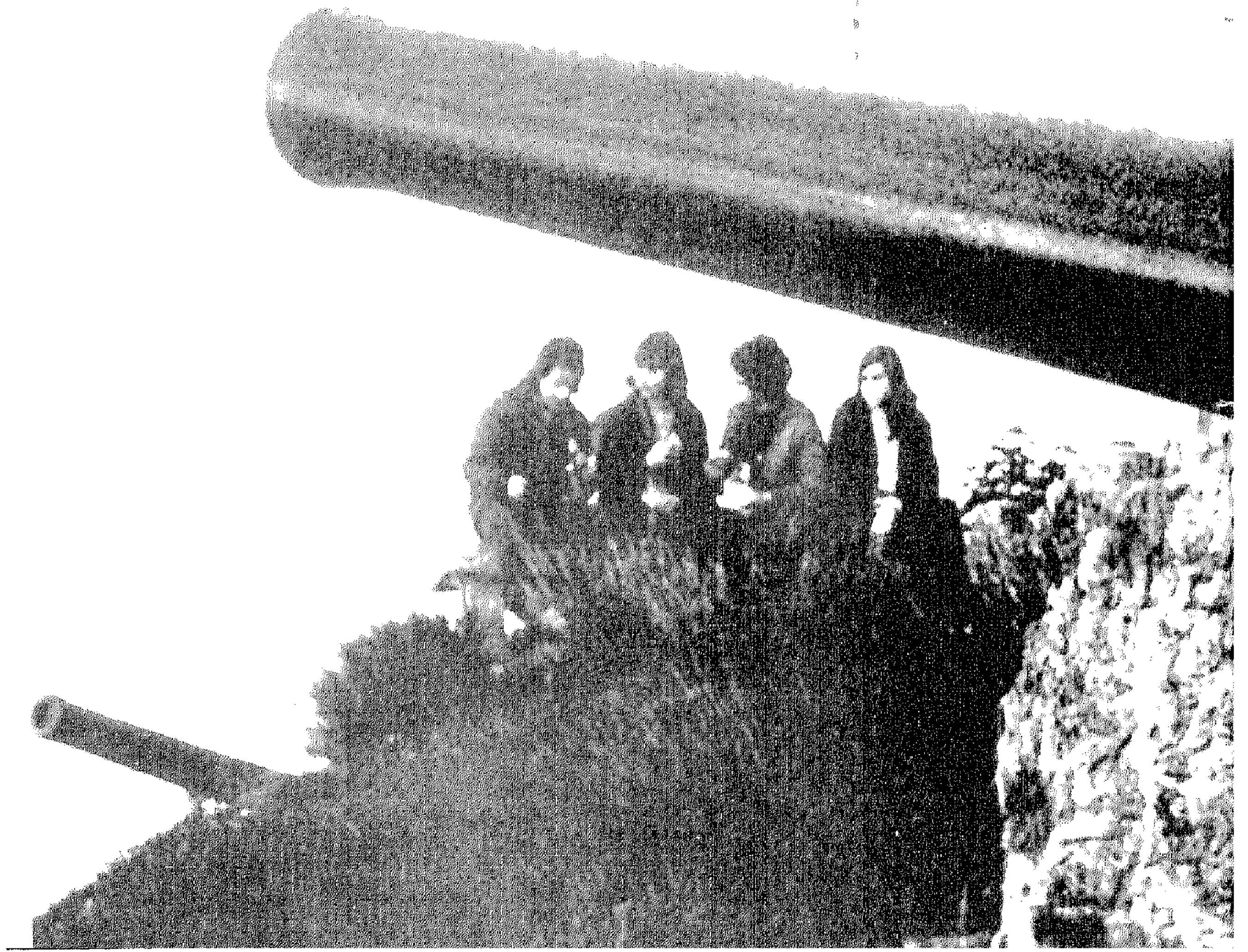
في هذه الأثناء ، كان طارق قد انتهى من إعادة تنظيم الجيش ووضع خطة التحرك



جبل طارق اليوم .. منظر سياحي للجميع .

المقبلة ، وبعد أن اطمأن إلى وضعه العسكري ، وإلى ضعف الجهاز الدفاعي للعدو على طول الساحل الجنوبي الشرقي ، قرر الزحف شمالا نحو عاصمة القوط ، طليطلة ، فزحف على ولاية الجزيرة (الخضراء) ، وكان يحكمها قوطي يدعى « تيودومير » فاحتل قلاعها ، وتصدت له قوة من العدو قرب تلك الجزيرة بقيادة قائد قوطي يدعى « بنج اوبنثيو (Bencio) فهزمه طارق وقضى على تلك القوة ، ثم تابع تحركه شمالا باتجاه العاصمة طليطلة .

ولا يخفي معظم المؤرخين الدور الهام الذي لعبه جوليان ، حليف طارق ، في المرحلة الاولى من نزول المسلمين في الاندلس ، حتى انهم يصفونه بالدليل المرشد لطارق ، يدله على عورات عدوه ونقاط ضعفه ، في حين كانت قوات المسلمين تجهل كل شيء عن العدو تقريبا في تلك



الارض ، كذلك فان كثيراً من المؤرخين يرون ان طارقاً ، بعد ان احتل الجزيرة الخضراء ، أقام فيها قاعدة عسكرية حصينة ، وأوكل إلى جوليان حماية هذه القاعدة ، وحماية مؤخرة جيشه من أي هجوم قوطي .

وصادف أن كان ملك القوط « لذريق » في هذه الأثناء ، في الجزء الشمالي من البلاد ، يخمد ثورة قام بها الباسك ضده ، فوصلته انباء اجتياح المسلمين لبلاده ، فلم يقم في البدء وزنا لهذه الأنباء ، اعتقاداً منه انها غزوة بدو لا بد وأن تقنع من البلاد بالغنيمة والاياب ، ولكن الخطر استفحل بعد ذلك وأضحى الأمر مقلقاً ، وخاصة عندما علم بسقوط ولاية « الجزيرة الخضراء » بيد المسلمين ، وهزيمة قائده « بنج » على يدهم ، فأسرع عائداً إلى عاصمته « طليطلة » ليعد العدة لقتالهم ، وكلف واحداً من قادته يدعى « اديكو » مهمة إعاقة تقدمهم ريثما يتم تجهيز جيشه للقتال ، إلا ان « اديكو » سرعان ما هزم أمام طارق في معركة جرت بينهما في منطقة تدعى « الفرونتيير La Frontiera » : وهكذا لم يعد بين طارق وخصمه لذريق سوى عاملي الزمن والأرض ، وأصبح من الواضح ان طارقاً أكثر حرية من خصمه في اختيار ساحة القتال ، فانحاز بجيشه ، عبر أرض كثيرة المستنقعات ، إلى سهل يقع ما بين وادي برباط (Berbate) شمالاً وغرباً ، وبحيرة « خاندا Lago de JANDA » شرقاً ، وجبال « سييرا دي ريتين » جنوباً ، حيث قرر طارق ان يلاقي عدوه في المعركة الحاسمة .

وكان اختيار ميدان القتال من قبل طارق من أهم عناصر نجاحه في هذه المعركة ،

لا الاختيار .

وما ان وصل « لذريق » الى طليطلة حتى استنفر جميع مواطنيه ، الأنصار منهم والخصوم ، ضد الخطر الداهم الآتي من الجنوب ، كما استدعى إليه ابني خصمه السابق « غيطشة » (ألمند وأرطباس) ، وطلب منهما تسلم قيادات في الجيش ، فتظاهرا بالانصياع لأوامره ، ضامرين الشر له ، وكان لهما في الجيش اتباع كثر ، كما كانا على اتصال مستمر بجوليان ، حليفهم وحليف طارق في آن واحد ، وهكذا تمكن لذريق ، في فترة وجيزة ، من أن يجمع حوله جيشاً ضخماً قدره بعض المؤرخين بماية ألف مقاتل ، كما قدره آخرون بتسعين ألفاً ، أو سبعين ألفاً ، ولكن ما قاله ابن خلدون من ان عديد هذا الجيش قد بلغ « زهاء اربعين ألف » مقاتل ، هو الأقرب الى المنطق والواقع .

وعلم طارق بالحشود التي يعدها لذريق للقائه ، فكتب الى موسى بن نصير ينبئه بضخامة هذه الحشود ويطلب منه مدداً ، فأمده موسى بخمسة آلاف مقاتل على رأسهم طريف بن مالك ، فاصبح جيش المسلمين في الاندلس اثني عشر ألف مقاتل الى قوة صغيرة من أنصار جوليان .



في جامع قرطبة ، اعمال فنية رائعة .

وما ان استكمل لذريق عدة الجيش وعديده حتى تحرك جنوباً للقاء طارق في المكان الذي اختاره هذا الأخير، فوصله في الأيام الأخيرة من شهر رمضان عام ٩٢ هـ - = أي في مطلع النصف الثاني من شهر تموز عام ٧١١ م ، وعسكر بجيشه على الضفة الشمالية للنهر، بينما عسكر طارق على الضفة الجنوبية منه كما قدمنا ، وأضحى النهر (نهر البرباط) هو الفاصل بين الجيشين .

إذ كان قد أسند ميمنة جيشه إلى بحيرة خاندا شرقاً ، الممتدة عدة كيلومترات ، والتي يصب فيها نهر البرباط الذي يمر بوادي البرباط (أو وادي لكه الذي سميت المعركة باسمه ، والذي يسميه بعض المؤرخين بوادي بكه نسبة إلى مدينة قديمة في كورة شذونة بجنوبي الاندلس) ، وميسرته إلى الوادي المذكور ، غرباً ، واسند مؤخرة هذا الجيش إلى جبال « ريتين » العالية جنوباً ، منتظراً ان يأتيه عدوه من الشمال ، بعد ان وضعه في موضع الاضطرار

بدء القتـــــال :

وفي يوم الأحد في ٢٨ رمضـان سنـة ٩٢هـ - (١٩ تموز ٧١١ م) ، التقى الجيشان على وادي البرباط ، وذلك بعد ان عبر طارق بجيشه النهر لينازل لذريق في موقعه ، واستمرت المناوشات تراشقاً بالسهام ، بين الجيشين ، طيلة ثلاثة أيام ، تعمد طارق أن يشن في خلالها ، على العدو ، عمليات هجومية محدودة لاستطـلاع قوته ، ومكامن ضعفه ، ثم ليتيح أن يكمل عبور النهر وأن يتمركز في الأماكن المحدودة له ، وفي هذه الأثناء ، كان المند وارطباس ، ولدا غيطشة ، يقودان ميمنة الجيش القوطي وميسرته ، وكان كل من معهمـا من أنصارهمـا وحلفائهمـا والناقمين على لذريق ، فاتصلا بطارق ، بواسطة حليفه جوليان ، وساوماه على أن يعيد إليهما ، فيما إذا ساهما في هزيمة لذريق بتخليهما عن القتال وانسحابهما في وقت محدد ، الضياع التي اغتصبها الملك القوطي من أبيهما ، وتعدادها ثلاثة آلاف ضيعة (وقد سميت فيما بعد بنفائس الملوك) فاجابهم طارق إلى ذلك وعاهدهم عليه .

وفي اليوم الرابع ، شن طارق هجومه العام ، ودارت رحى معركة عنيفة قاتل فيها فرسان القـوط بشجاعـة منقطعـة النظـير ، واستمرت المعركة زهاء أربعة أيام ، لم تلن لأي من الفريقين في خلالها شكيمة ولا بان في أي منهما وهن أو ضعف ، إلى ان كان اليوم السابع والأخير من المعركة ، إذ بدأ الوهن يدب في صفوف القوط ، وبدأت ضربات المسلمين لقلب الجيش وجناحيه تشتد ، فاغتنم ولدا غيطشة الفرصة المتاحة من ظهور ذلك في صفـوف الجند ، وباشرا بتنفيذ خطة الانسحاب المتفق عليها ، وما ان انسحب جناحا الجيش القوطي ، حتى انكشف قلبه ، وأخذ يترنح تحت ضربات المسلمين وقد أضحى يتلقاها لوحده ، ، وكان لذريق يقود القلب بنفسه ، وهو مضطجع في هودج من العاج على جواد سرجه مرصـع بالزبرجد والياقوت . وبدأت مقاومة القلب تنهار ، وبدأ جند لذريق يلوذون بالفرار شمالا ، وأسقط في يد لذريق وقادته فولوا الأدبار . وطارد المسلمون فلول الجيش المنهزم وأوقعوا بها خسائر فادحة واستولوا على معظم الخيول التي كان الفرسان يمتطونها ، وظل المسلمون يطاردون المنهزمين طيلة ثلاثة أيام «لم يرفعوا السيف عنهم» ، فتمزق الجيش القوطي وفر معظمه إلى الجبال يحتمي بها ، أما لذريق ، فقد اختلفت الروايات العربية في شأنه ، فمنها ما قال انه مات غرقاً دون ان يعثر له بعد المعركة على أثر (ابن عبد الحكيم وابن القوطية وابن عـذارى) ، ومنهـا ما قال انه استطاع النجاة لكي يعود فيؤلف جيشاً جديداً يقاتل به موسى بن نصير سنة ٩٤هـ - (٧١٣ م) في وقعة السواقي ، ويلقى مصرعه في تلك الوقعة على يد مروان بن موسى ابن نصير ، ويقول المؤرخ الاسبانـي سافـدرا (Saavedra) ان اتباع لذريق حملوا جثته ودفنوها في مدينة فيزو (Viseo) وان الملك الفونس العظيم قد أورد في حولياته انه شاهد قبر لذريق وقد نقش عليه « هنا يريد لذريق ملك القوط » ، كما تحدث عن مصرعه الكثير من الملاحم الاسبانية .

وقد بلغ قتلى المسلمين في هذه الوقعة نحو ثلاثة آلاف قتيل ، أما قتلى القوط فكانوا أكثر من ذلك بكثير ، إذ ذكر الرازي ان المسلمين قتلوا من القوط في هذه الوقعة خلقاً كثيراً وقد « أقامت عظامهم بعد ذلك بدهر طويل متلبسة تلك الأرض » ،

وهكذا انتهت معركة « وادي لكه » التي كانت بداية النهاية الحاسمة لحكم القوط في الاندلس ، كما كانت ، بحق ، معركة عبور العرب المسلمين إلى الاندلس ، الباب الجنوبي الغربي للقارة الاوروبية . ■

المراجـــــع :

- الدولة العربية في اسبانيا للدكتور ابراهيم بيضون .
- دولة الاسلام في الاندلس ، ج ١ ، ق ١ لمحمد عبد الله عنان .
- تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس للسيد عبد العزيز سالم .
- فن الحرب ، ج ٢ ، لبسام العسلي .
- تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، للطبري .
- الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، لابن الاثير .
- تاريخ اسبانيا الاسلامية للسان الدين بن الخطيب .
- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب لاحمد بن محمد المقري .
- تاريخ ابن خلدون ، المجلد الرابع .

المفكر والمناضل الفلسطيني



نقولا الدر

١٩٠٩-١٩٦٧

أديب قعوار



في فلسطين ، في شمالها ، في الجليل ، في شفا عمرو وعلى الهضبة العالية التي تشرف على الساحل من رأس الناقورة حتى جبل الكرمل .. ، في شفا عمرو حيث تلتقي على مشارفها ثلاثة انهر تعربد عند تلاقيها ... ولد هناك في الخامس عشر من تموز / يوليو ١٩٠٩ نقولا ابراهيم الدر . وقد اكتسب من الطبيعة شاعريتها وفنها ، ومن القلعة صموده الفكري ومن عربدة الأنهر ثورته ضد الصهيونية والاحتلال والتخلف العربي وطبعا التجزئة والتشتت العربيين .

شفا عمرو .. القرية العربية الفلسطينية ذات الآلاف الخمسة من السكان ذوي الانتماءات الدينية المختلفة ، تقع على هضبة ذات موقع استراتيجي منيع ، وقد اشتهرت بالآثار القديمة : فهناك الآبار الرومانية وقلعتها التي بناها ضاهر العمر على أنقاض حصن قديم اتخذه صلاح الدين الأيوبي مركزاً لعملياته الحربية إبان حصاره للصليبيين في عكا . وتشرف هذه القلعة على مناظر طبيعية تمتد نحو الأفق البعيد متدرجة من السفوح التي تغطيها كروم الزيتون والعنب .. الى السهول المغطاة ببيارات البرتقال والليمون وحتى الشاطئ الأزرق .

بيئته العائلية :

في هذا المحيط التاريخي والطبيعي ولد ابراهيم الدر في بيئة عائلية على مستوى ثقافي وعلمي وفني جيد .. الجد الأكبر للعائلة نقولا الدر والجد المباشر يوسف ابو ابراهيم والد نقولا كانا مثقفين ، والثاني ابو يوسف كان يقتني مكتبة حافلة ، وهو الى ذلك اول من أسس في القرية مطحنة للحبوب ومعصرة للزيوت ، كذلك كان ابراهيم نقولا الدر شغوفاً بالعلم والصناعة . الى جانب ذلك توارثت العائلة هواية العزف على العود والكمان والهارمونيكا ، وقد ورث نقولا عن العائلة الشغف بالعلم وهواية العزف على الآلات الموسيقية .

مرحلة الدراسة :

في هذا المحيط العائلي ظهرت على الفتى نقولا الدر علامات النباهة والتفوق العلمي ، فعرضت عليه أكثر من منحة دراسية كانت اولها منحة للدراسة في « كلية الكاردينال فراري » في القدس ، حيث تلقى علومه الثانوية وتخرج بدرجة ممتاز الى جانب وسام ذهبي .

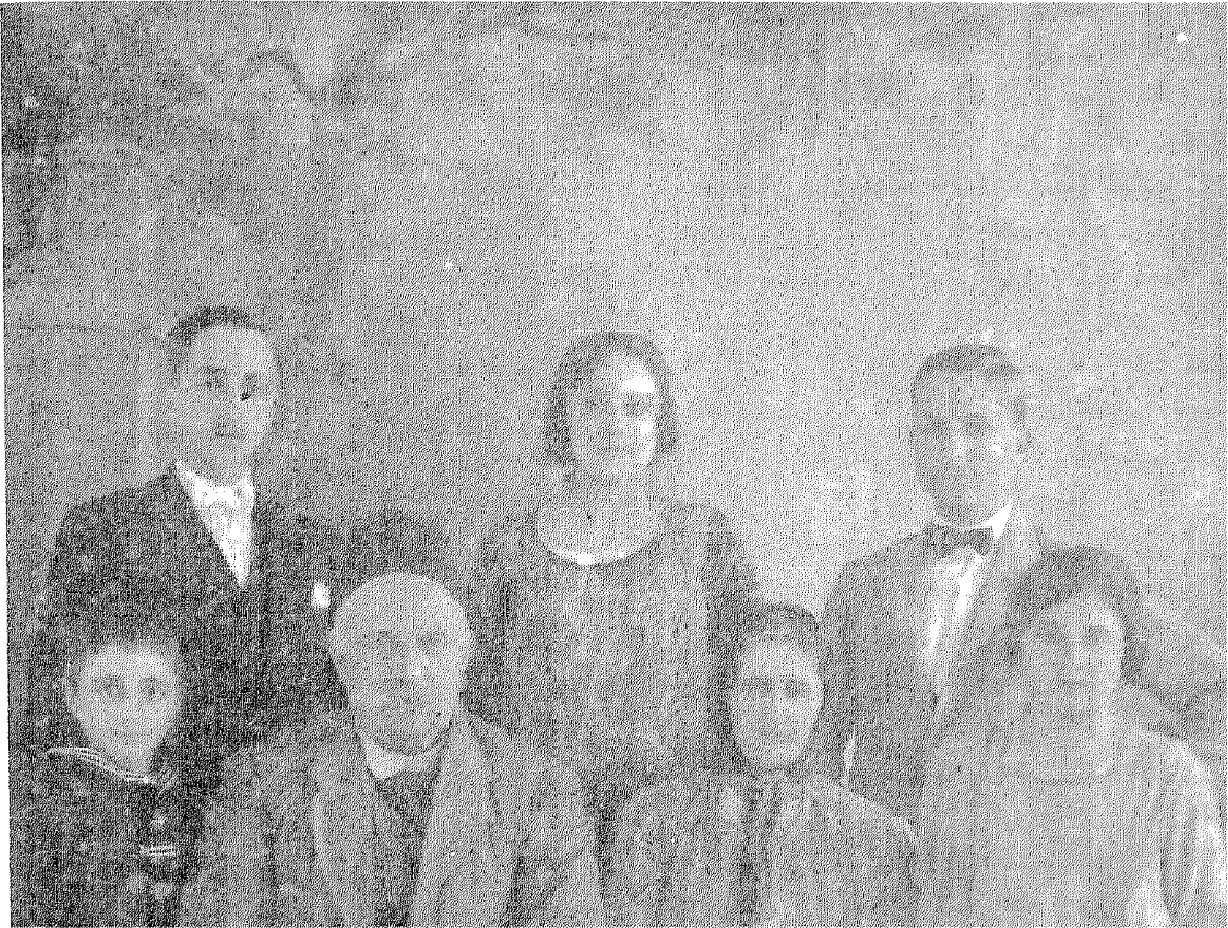
العمل الوظيفي والنضالي في فلسطين :

وبعدها عرض عليه مدير المعارف في فلسطين آنذاك « مستر فاريل » منحة للدراسة في جامعة اوكسفورد ، كذلك عرضت عليه منحة للدراسة في « معهد الدائرة الشرقية » في الفاتيكان . ولكنه رفض هذه المنح لأنه أراد دراسة الطب . وعندما لم يسمح له والده بالانتقال الى بيروت لمباشرة دراسة الطب فيها دخل ميدان الوظيفة وعين عام ١٩٢٧ موظفاً في دائرة الجمارك وكان له من العمر ثمانية عشر عاما . وتقلب في الوظائف الحكومية الى ان عين في قسم النفط ، الأمر الذي فتح عينيه على الأهمية القصوى لدوره ، وكان لذلك التأثير الفعال على فكره السياسي المستقبلي كما سنرى عند بحث مفاهيمه السياسية والنضالية بالنسبة الى القضايا العربية ، وبشكل خاص قضية العرب المركزية اي قضية فلسطين . وكان نقولا الدر دأ في هذه المرحلة المبكرة من العمر القراءة بنهم في السياسة والأدب والتاريخ فجمع مكتبة كبيرة وهو لم يزل في مقتبل العمر . وما لبث ان بدأ يكتب في السياسة وينشر ولكن تحت اسم مستعار لأن النشاط السياسي كان محظوراً على موظفي حكومة الانتداب في فلسطين . والى جانب كتاباته السياسية كان يكتب وينشر القطع الأدبية في الصحف والمجلات واولها عام ١٩٣٤ في جريدة « فلسطين » اليافية ، وفي عام ١٩٣٦ في مجلة « المقتطف » القاهرية .

ومع انه كان ينشر كتاباته السياسية تحت اسم مستعار الا انه لم يفلت من ملاحقة سلطات الانتداب البريطاني له فاستجوبته دوائر الامن حول افكاره ومعتقداته : ماذا ولماذا يقرأ ويكتب ويعتقد .. لأن كل ذلك يتعارض كما قال في كتابه « كيف ضاعت وكيف تعود » مع اهداف الاستعمار البريطاني لفلسطين : « ولكن لماذا اجترحت بريطانيا كل هذه الكبائر والآثام ؟ » « اجترحتها لوضع فلسطين في احضان عملائها الصهيونيين – لخلق الدويلة اليهودية – لضرب العرب واذلالهم » .

النزوح

وتبدأ المراحل الأخيرة للحرب الفلسطينية ١٩٤٧ – ١٩٤٨ ويتشبث المناضل نقولا الدر بأرض فلسطين ويرفض النزوح الى ان سقطت حيفا نتيجة للمؤامرة الانكليزية في يد اليهود في الرابع عشر من تموز / يوليو ١٩٤٨ ، فيضطر الى النزوح الى الاسكندرية ولكن السلطات المصرية رفضت السماح له ولرفاقه بمغادرة



في سن الشباب بعد التخرج .

السفينة ، فانتدبوه لمفاوضة هذه السلطات وتمكن بحجته من اقناع المسؤولين ، فسمح لهم بالنزول الى الاسكندرية .

الانتقال الى بيروت .. والعمل الصحفي :

ومن الاسكندرية انتقل الى بيروت في نيسان / ابريل ١٩٤٩ حيث باشر الكتابة بغزارة ، ونشر ابحاثه وانطباعاته عن « النكبة » الى جانب المقالات الأدبية والسياسية . وما لبث في عام ١٩٥٣ ان تولى تحرير قسم الشؤون العربية في جريدة « ذي ديلي ستار » البيروتية الناطقة بالانكليزية . ثم اسندت اليه رئاسة تحرير هذه الصحيفة حتى عام ١٩٥٩ ثم ما لبث ان تركها لأسباب عقائدية مبدأية تتعارض مع الخط الذي اتبعته الدار التي تصدر عنها الصحيفة ، فعاد الى نشر ابحاثه في الصحف العربية .

نشاطه في الخمسينات وآراؤه :

تميز نشاط الدر ابان الخمسينات بالمجالات التالية :

● المقالات التوجيهية لما يراه السبيل الأفضل لاستعادة فلسطين المحتلة .

● الرقابة الشديدة على اعمال هيئة الاغاثة الدولية (الاونروا) والتمني على الدول العربية ان تنشىء جهازا يعطي الفلسطينيين مجالا اوسع للعمل بدلا من وكالة الغوث ، ولكن الدول العربية في ذلك الوقت ما كانت لتنصت للأسباب ذاتها التي ادت الى ضياع فلسطين .

● مقابلة وتوجيه الوفود المشتركة في المؤتمرات التي تعقد لمعالجة القضية الفلسطينية والوفود الزائرة لمخيمات النازحين لشرح وجهة نظره ومحاولة اقناعها بتبنيها .

● حذر العرب من استيلاء اسرائيل على مياه الاردن ، التي ما لبثت ان حولتها الى

داخل الاراضي المحتلة فيما بعد .

● قضية البنك العربي : بعد النكبة جمدت الحكومة البريطانية ودائع الفلسطينيين العرب في البنوك ومنها « البنك العربي المحدود » فهب الدر يدافع عن حقوق الفلسطينيين ويفضح نوايا بريطانيا ، وكان لهذه الحملة التي شارك بها الدر النتيجة الايجابية ، فتمكن « البنك العربي المحدود » من تحرير هذه الودائع واعادتها الى اصحابها النازحين وهم بأمس الحاجة لها بعيدا عن ارضهم وبيوتهم واعمالهم .

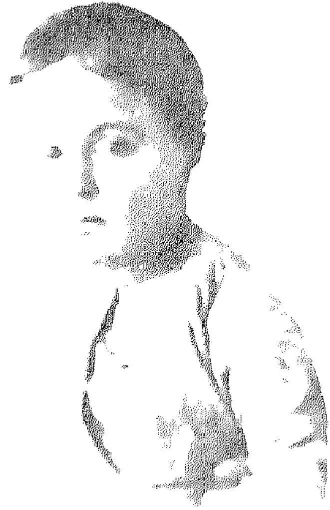
العمل لأجل التنظيم وولادة منظمة التحرير :

هذا وفي الخمسينات طلب منه تمثيل الفلسطينيين في هيئة الامم المتحدة وغيرها من المؤتمرات ، فرفض ذلك ، مفضلا التفرغ للعمل في اوساط الشباب المناضل في سبيل انشاء كيان عربي فلسطيني سياسي وعسكري ايمانا منه بأن السبيل الأوحد للحل الجذري لقضية فلسطين هو التنظيم السياسي والعسكري داخل فلسطين وخارجها . وفي سبيل تحقيق هذه الغاية كان يجتمع بالطلاب والسياسيين منسقا وموجها في سلسلة طويلة من المحاضرات والاجتماعات .

وفي الستينات تابع جهده في سبيل التنظيم الفلسطيني السياسي والعسكري ، وكانت له الى جانب العمل في اوساط القاعدة الشعبية الفلسطينية ، اتصالات مع اكثر الشخصيات الفلسطينية وقيادات المنظمات المستقلة ، وقد حصر تفكيره وجهده حول قضية انشاء جهاز موحد منظم يمثل الشعب العربي الفلسطيني ويناضل في سبيل قضيته ، وهكذا جاء اعلان انشاء « منظمة التحرير الفلسطينية » تكليلا لجهوده . ويعبر الدر عن مفهومه لمشروع « الكيان الفلسطيني » الذي كان مطروحا آنذاك في سياق محاضرة القاها في ٢٦ آذار / مارس ١٩٦٥ بما يلي :

« انه جهاز يمثل ارادة الشعب الفلسطيني ويعبر عن تلك الارادة في جميع المجالات ، وان انشاء الجهاز ما هو الا في مصلحة الفلسطينيين كما هو في مصلحة الشعوب العربية ودولها ، ولا سيما دول المواجهة » .

واوضح الدر اسباب خوف الصهيونية من الفلسطيني المنظم بقوله :



نقولا الدر
عام ١٩١٢

« ... لانهم لا يتوقعون ان ياتيهم الخطر الا من اهل فلسطين - اصحاب الاراضي المغتصبة وحقهم المباشر فيها - ولان شرعة الامم المتحدة وميثاق حقوق الانسان يؤيدان الفلسطيني في الوصول الى هذا الحق وضع الصهيونيون سياستهم العامة على النحو التالي :

« ١ - طمس اسم « فلسطين » طمسا تاما من جميع الكتب والنشرات والمذكرات .

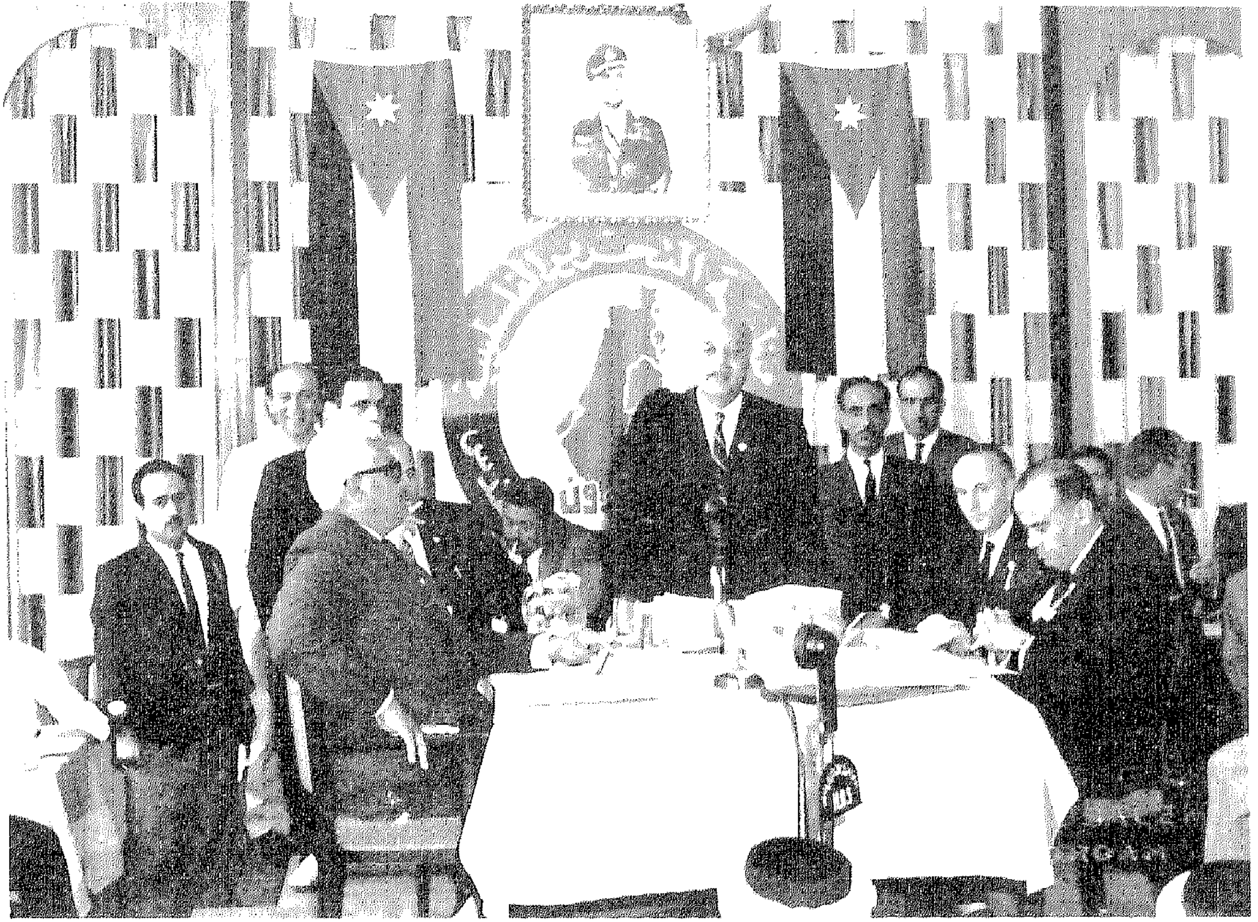
٢ - طمس كلمة « الفلسطينيين » والاشارة اليهم بلفظة لاجئين .

٣ - تذويب الفلسطينيين واسكانهم خارج وطنهم فلسطين والحصول على تنازل منهم عن وطنهم اذا امكن ذلك .

٤ - اظهار الدول العربية بمظهر المتدخل بما لا يعنيه ، لذلك كان الصهيونيون يأملون بتذويب الفلسطينيين في البلدان العربية لكي ينسوا وطنهم والاشارة اليهم فقط باسم لاجئين . اذن فالجهاز الفلسطيني المطلوب هو الذي يمثل ارادة الشعب » .

ولما اعلن قيام « منظمة التحرير الفلسطينية » في مؤتمر القدس الأول « لتكون قيادة معبئة لقوى الشعب الفلسطيني لخوض معركة التحرير ودرعا لحقوقه وامانيه وطريقا للنصر » ، قال نقولا الدر :

« ان منظمة التحرير باقية حية نامية . لذلك فان من يجد نفسه غير راض عن مسؤول فيها لسبب وجيه عليه ان يسعى فورا الى تغيير اولئك المسؤولين واحلال من هم أفضل منهم مكانهم » . ويقول : « ولكننا حملنا واجبا لأن الواجب الوطني فرض علينا فرضا ، ان منظمة التحرير ليست ملكا لأحد وليست ملكا لرئيس اللجنة التنفيذية ولا لأحد من اعضائها ، انها ملك للشعب الفلسطيني ، فالمنظمة هي الشعب والشعب هو المنظمة » .



مع المرحوم احمد الشقيري .. عملا سويا في منظمة التحرير الفلسطينية في بداية عهدها .

ولما كان يؤمن ويقول بان مواجهة « التنين الصهيوني الهائل » دفاعا عن الأمة العربية واجب وشرف مفروض على ابناء فلسطين ، وهو الطريق الى فلسطين ، انضم الى منظمة التحرير ، وكان عضوا في المؤتمر الاول الذي عقد في القدس في ايار / مايو ١٩٦٤ ، وانتخب نائبا لرئيس المؤتمر ، واختير عضوا في اول لجنة تنفيذية للمؤتمر واستمر في هذا المنصب حتى استقالته في ايار / مايو ١٩٦٥ . ومع انه تابع نضاله في سبيل فلسطين وفق خطه الوطني الا انه لم يقبل اي منصب رسمي فيها وذلك تمشيا مع الانتقادات التي وجهها الى المنظمة فيما بعد .

تحليل نقولا الدر لأسباب النكبة ، اي كيف ضاعت ؟

يحلل الدر اسباب النكبة عام ١٩٦٣ في كتابه « هكذا ضاعت وهكذا تعود » فيقسمها الى قسمين رئيسيين : الاستعمار والدول العربية آنذاك . ولكنه يعود ويؤكد على الترابط العضوي الوثيق بينهما .

١ – الاستعمار او السبب الخارجي :

« ولسنا كما زعم وايزمن هذا ، ولا كان اليهود هم الذين قهرونا عام ١٩٤٨ – خسئوا – انما قهرنا عدو تستر باليهود ، فكان هو الذي ضرب ، اذا ضرب اليهود ... »

هكذا هو الوضع برأي نقولا الدر . الاستعمار وبريطانيا باطماعها في الدرجة الأولى هو الذي اوجد « اسرائيل » وخلقها : « ولذلك عدونا الحقيقي ليس اسرائيل ، وانما عدونا هو الذي خلق اسرائيل ويمد اسرائيل باشكال شتى من العون المادي والأدبي والسياسي وحتى العسكري ... عدونا هذا هو الذي يتستر باسرائيل ويضربنا باسرائيل ، وفي يده اسباب موتها وحياتها ... وعدونا هذا انما توخى – من جملة ما توخاه من خلق اسرائيل – ان يلهينا بها عنه ، كي نحول انظارنا عن شروره وآثامه ، ولكي يستنزف دماءنا ، بتوجيهنا الى محاربة الذنب لا محاربة الرأس » .

لقد اصدرت بريطانيا وعد بلفور ، برأي الدر ، للأسباب التالية :

١ – الوطن العربي ممر طبيعي كبير يصل الغرب بالشرق وبالعكس .

٢ – بلاد العرب مركز استراتيجي لا مثيل له في الدنيا .

٣ – في الوطن العربي ثورة هائلة تقوم على رأسها كنوز النفط ولبريطانيا الحظ الأوفر فيها .

٤ – الانفراد بالميراث العربي للامبراطورية العثمانية وابعاد فرنسا عنها .

٥ – بريطانيا كانت تخشى الوعي العربي آنذاك ، لذا ارادت ان تضرب الاسفين الصهيوني في وسط الوطن العربي وتجزئته قسمين منفصلين جغرافياً .

لهذه الأسباب ، برأي الدر ، اصدرت بريطانيا وعد بلفور ، فان انشاء دولة يهودية في فلسطين تأتمر بأمر خالقيها الانكليز ، كما كانوا يتصورون ، سيفتح لهم مجال السيطرة على فلسطين وما حولها الى ابد الآبدين . لذا قبلت بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية قيام دولة عربية في سورية ، بينما قاومت مثل هذا الحكم في فلسطين والاردن والعراق

فرنسا : كان هم فرنسا برأي الدر الانتقام من بريطانيا واخراجها من فلسطين كما اخرجتها بريطانيا من سوريا ولبنان وذلك بوضع فلسطين تحت الوصاية الدولية ، ولكن تهديد الصهيوني بقطع معونة مشروع مارشال عنها جعلها تؤيد مشروع تقسيم فلسطين .

الولايات المتحدة : النفوذ الصهيوني كان (ولا يزال) متغلغلاً فيها ، في الدوائر الرسمية وغير الرسمية ، اي في حقول العلم والادب والعمل والاقتصاد والصحافة والاذاعة والسينما وكل ما له علاقة بالروح والعقل والدولار بصورة مباشرة او غير مباشرة .. وكان البيت الأبيض يعج بالموظفين الصهيونيين وعملاء الصهيونية ..

هذا هو سبب التأييد الاميركي الجامح لقيام الدولة اليهودية ، والسبب الآخر ، كما يرى الدر ، هو ان الاميركي الساذج كان لا يزال حديث العهد بالدعاية الصهيونية حول الفظائع النازية ، فصورت له الماكينه الدعائية الصهيونية ان التعويض على اليهود بايجاد دولة لهم في فلسطين وفي غياب اي تأثير عربي على النطاقين الرسمي والشعبي الاميركيين تمكن الصهيونية من تحقيق اهدافها .

اما الاتحاد السوفياتي فانه ايد مشروع

الأب يحتضن الابن نقولا الدر .





مع المؤرخ البريطاني توينبي في ٢٩/٤/١٩٥٧ .

التقسيم لانه يخدم مصالحه في منطقة الشرق الأوسط ومنها :

١ - يؤدي الى خروج القوات البريطانية من فلسطين .

٢ - يكون بمثابة رد حاسم على مواقف بعض الدول العربية المؤيدة للعرب .

٣ - يورط الاستعمار الغربي ويكشفه في العالم العربي .

٤ - يخلق فرصة ، قد تكون مؤاتية ، لاستغلال الدولة اليهودية الجديدة .

٢ - الرجعية العربية - او السبب الداخلي :

ينقل الدر عن « جلوب باشا » في كتابه « جندي مع العرب » ، ان ارنست بيفن ، وزير خارجية بريطانيا يومئذ ، قال لأحد رؤساء الوزراء العرب في ذلك الحين « لا تذهبوا لمهاجمة المناطق التي خصصت لليهود » ... واطاع « رئيس الوزراء » هذا الأمر . ويزيد قائلا : « وجلوب نفسه هو الذي يقول : لو سمح العرب لقواتهم كلها بالعمل كما يجب في ١٥ ايار / مايو وزحفوا زحفا جديا ، لنجحوا على الأرجح في اكتساح الدولة اليهودية الجديدة » .

التشرذم والمحورية وانحياز العرب للغرب الذي كان يؤيد قيام دولة اسرائيل ويغرر بالعرب منع العرب من استعمال طاقاتهم وامكانياتهم الكبيرة حتى في عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨ ، ومن الوقوف في وجه اليهود المحدودي الامكانيات انذاك .

ويصف الدر التشرذم العربي انذاك قائلا : « وحتى نذر كارثة فلسطين قد فشلت لسوء الحظ في احلال الوئام بين العرب ولو مؤقتا ، كما فشلت في توحيدهم امام العدوالاجنبي الذي كان يهدد دولهم باوخم العواقب وافدح الشرور » .

ويحدد الدر الامكانيات والطاقات العربية :

١ - الامكانيات العسكرية وان كانت محدودة الا انها كانت متفوقة بالنسبة الى الامكانيات التي كانت متوفرة لليهود انذاك .

٢ – النفط العربي : « سلاحنا الفتاك الذي رفضوا استعماله » في ذلك الوقت :

يركز الدر على اهمية استعمال النفط العربي بشكل واسع والحاح كبير ويفيض في تبيان اهميته الاقتصادية والحياتية والاستراتيجية للغرب ، ونلخص ذلك بما يلي :

١ – مصدر الطاقة الرئيسي : النفط عامة والنفط العربي منه بشكل خاص هو مصدر الطاقة الرئيسي للغرب . وقال الدر في ذلك : « لو توقف تدفق النفط العربي على بريطانيا (١٩٦١) لتوقفت سيارتين من اصل كل ثلاث سيارات تسير فيها » . كذلك فان النفط العربي هو مصدر الطاقة الرئيسي لادارة المصانع وتوليد الكهرباء والتدفئة والتبريد والنقل .. الخ ...

ب – « النفط اهم مادة خام في تاريخ العالم : النفط هو عصب الحياة اليومية في العالم اليوم وبشكل خاص للغرب ، فالنفط اذن ليس مصدر طاقة فقط ، ولكنه ايضا مادة خام تدخل في صنع عشرات الالاف من المواد البيتروكيمائية » . وقد قدرت المواد والمنتجات والمركبات الكيمائية التي يدخل في صناعتها النفط عام ١٩٥١ باكثر من نصف مليون .

ج – النفط العربي اكبر مصدر للثروة لبريطانيا خاصة والغرب عامة : يقول الدر : « ان نفطنا العربي ارخص من البصل عشرين مرة او اكثر ، وارخص من الويسكي سبعمئة مرة او اكثر .. اذن فاعلم انك تشتري الطن الواحد من البصل بـ ٤٠٠ ليرة لبنانية او ٥٠٠ ليرة بينما يفرض عليك الاجنبي ان تبيعه الطن من نفطك به ١٨ ليرة فقط ... » يشترون منا بـ ١٨ ل .ل . (هذا ما قاله الدر عام ١٩٦٣) ما يربحون منه ليس ١٨ ل ل . اي بمعدل ١٠٠٪ ، ولا بمعدل ٢٠٠٪ او ٥٠٠٪ ، بل بمعدل ١٣٨٠٪ ، فتأمل . ويزيد قائلا : « فلو اننا اضفنا ارباح المركبات الكيماوية لبلغ الربح الذي تجنيه الشركات النفطية من الطن الواحد من النفط نحو عشرة الاف بالمئة ، وربما اكثر من ذلك بكثير » . وهو يقول بأن حيلة الشركات « اقتسام الأرباح مناصفة » ، انها قاعدة لا اساس لها من الصحة .

ويؤيد الدر استنتاجاته بنقله من وثائق وزارة الخارجية الاميركية بحادثة تلفونية جرت في ١٩٣٧/٧/٢ بين ولز أحد رجال الحكومة الاميركية وج . أ . موفيت ، مدير شركة زيوت البحرين انذاك . قال موفيت : « ان جميع عملياتنا في شبه الجزيرة العربية والخليج سوف تكون مهددة اذا اتبعت وزارة الخارجية سياسة يهودية ضد العرب ، بل الأغلب ان « العرب » سوف يطردوننا من اراضيهم في تلك الحالة » . وقد رد ولز : « انني اقدر صراحتك ولكن وزارة الخارجية لم تقرر بعد موقفها فيما يتعلق بقضية فلسطين » .

كان هذا قبل التقسيم بعشرة اعوام ولكن العرب مع الأسف لم يستغلوا هذه المخاوف ، ولم يستعملوا سلاح النفط الفتاك الذي كان بأيديهم ، علما بان الولايات المتحدة ردت على مذكرة جامعة الدول العربية على بالغ قلقها من دعم الولايات المتحدة للصهيونية بقولها : « فمنذ نهاية الحرب العالمية الاولى عاضدت الولايات المتحدة ، حكومة وشعبا ، فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، واذن فحكومتي انما تتصرف طبقا لسياسة الولايات المتحدة التقليدية عندما تدعو الى اتخاذ التدابير التي ترمي الى تعزيز ابراز هذه الفكرة الى حيز الوجود » . هكذا كان رد الولايات المتحدة على مذكرة جامعة الدول العربية المتخمة بعابرات الصداقة بين البلدان العربية والعالم الاسلامي من جهة والولايات المتحدة من جهة اخرى والخوف عليها من الانفصام .. ؟

وهكذا تعود ...

برأي نقولا الدر ، لخوض معركة فلسطين ثلاثة اسلحة هي :

١ – « سلاح القانون ، اي السلاح الدولي ، وهو سلاح لا يرجى منه ايصالنا الى حقنا لأن العالم الدولي لسوء الحظ شرير لا يحترم القانون ولا يفهم الا القوة » .

٢ – سلاح النفط ، وفي ذلك يقول الدر : « ولذلك نضع الدول العربية امام مسؤولياتها لافتين انظارهم الى ان قضية فلسطين هي قضية حياة او موت بالنسبة الى الامة العربية كلها من الخليج الى المحيط » .

٣ – سلاح القوة : اما سلاح القوة فمعناه الحرب التي تبيد اسرائيل بقوة الحديد والنار . وهذا هو السلاح الذي يجب ان نبذل كل نفيس وكل عزيز في سبيل استعماله واتقان صنعه .

ويستدرك الدر ان المسألة ليست مسألة

اسرائيل وحدها وانما هي مسألة من يقف وراء اسرائيل ... ومصلحتنا ، اذا استطعنا ، اكراه هذه الدول التزام الحياد على الأقل ، وذلك عن طريق « اقناعها » بان صداقتنا خير لها واكثر نفعا من وجود اسرائيل ، والا كان علينا ان نخوض المعركة ضد اسرائيل وضد الدول التي تقف وراء اسرائيل . وعندئذ تتطلب منا المعركة هذه استعدادات خاصة اهمها :

١ - العمل الجدي للوحدة العربية التي هي صمام الامان لأي تحرك عسكري جدي ضد اسرائيل . وينقل الدر عن كتاب انتوني ناتنج (« شاهدت بعيني » ، ص ٩٣) : « ان زعماء وزارة الخارجية الاسرائيلية قالوا له ان حكومتهم ستلجأ الى كل وسيلة ممكنة من اجل ابقاء العرب ممزقين ، لان وحدة العرب في نظرها ليست الا مرتفعا يملون منه شروطهم او يشنون منه حربا انتقامية » .

٢ - الاقبال على التصنيع : «اما العلم الصناعي وما ينتج عنه من تصنيع البلاد ، فانه عصب الامة وعضلاتها وانيابها ومخالبها ... والتصنيع لا بد له من المال الوفير الذي يمكن الدولة من تحمل ما يتطلبه من نفقات ، لقد صنع المستعمرون بلادهم بالاموال التي نهبوها من المستعمرات ، ولكننا لا نريد ان ننهب ، فماذا نفعل ؟ هنا تبرز مشاريع التنمية ومبدأ العدالة الاجتماعية حلا فريدا لهذه المشكلة ... فبالتنمية وبالعدالة الاجتماعية وحدها تستطيع الدولة في هذه الايام ان تستثمر ما تملكه الامة من ثروات مالية وطبيعية في سبيل التصنيع وغيره مما يعود على الأمة كلها بالخير والنفع ، كرفع مستوى التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية وما ماثلها .. وبالتالي تنقل الشعب من القرون الوسطى الى العصر الحديث المتمدن .

ولا ينسى الدر « الفداء الفلسطيني » فيقول : « كل فلسطيني وفلسطينية مطلوب منه ان يعتبر نفسه فدائيا ومغوارا دائم الاستعداد لخوض معركة الثأر على ثرى فلسطين ... اذ لا حياة لابن فلسطين خارج فلسطين ، ولا كرامة الا على ثرى فلسطين ... » .

ويقول الدر « .. النكبات ليست عارا ولا الهزائم شنارا ، شرط الا يستنيم اليها المنكوب والمهزوم . فاذا هب يتحدى ويتلظى وهو يعمل بعناد واصرار ، طلبا للثأر ، فلا عليه النكبة ولا عليه الهزيمة » .

* * *

ظهر يوم الاحد في ١٩ اذار / مارس ١٩٦٧ مات نقولا الدر عن ثمانية وخمسين عاما متأثرا بالتهاب مزمن في امعائه وقد تسربت الجراثيم فيها ببطء الى الكلى والكبد فقضت عليه على حين غفلة وهو لم يزل في اوج كفاحه ونضاله في سبيل القضية التي نذر نفسه لها ... في سبيل فلسطين .

لقد عاش نقولا الدر حياة غنية بالنضال العربي الفلسطيني وان عاش بالحرمان والفقر المادي .

■



● قدم هرون الرشيد الرقة فاجتمع الناس خلف عبد الله بن المبارك وثار من نعالهم الغبار، فأشرفت زوج الرشيد على هذه الجموع وقالت : ما هذا؟ قالوا : عالم أهل خراسان عبد الله بن المبارك قدم الرقة . فقالت : هذا والله الملك الذي لا يجمع الناس بشرط واعوان .

● لتكن كلمتك طيبة ، وليكن وجهك بسيطا تكن احب الى الناس ممن يعطيهم العطاء ..

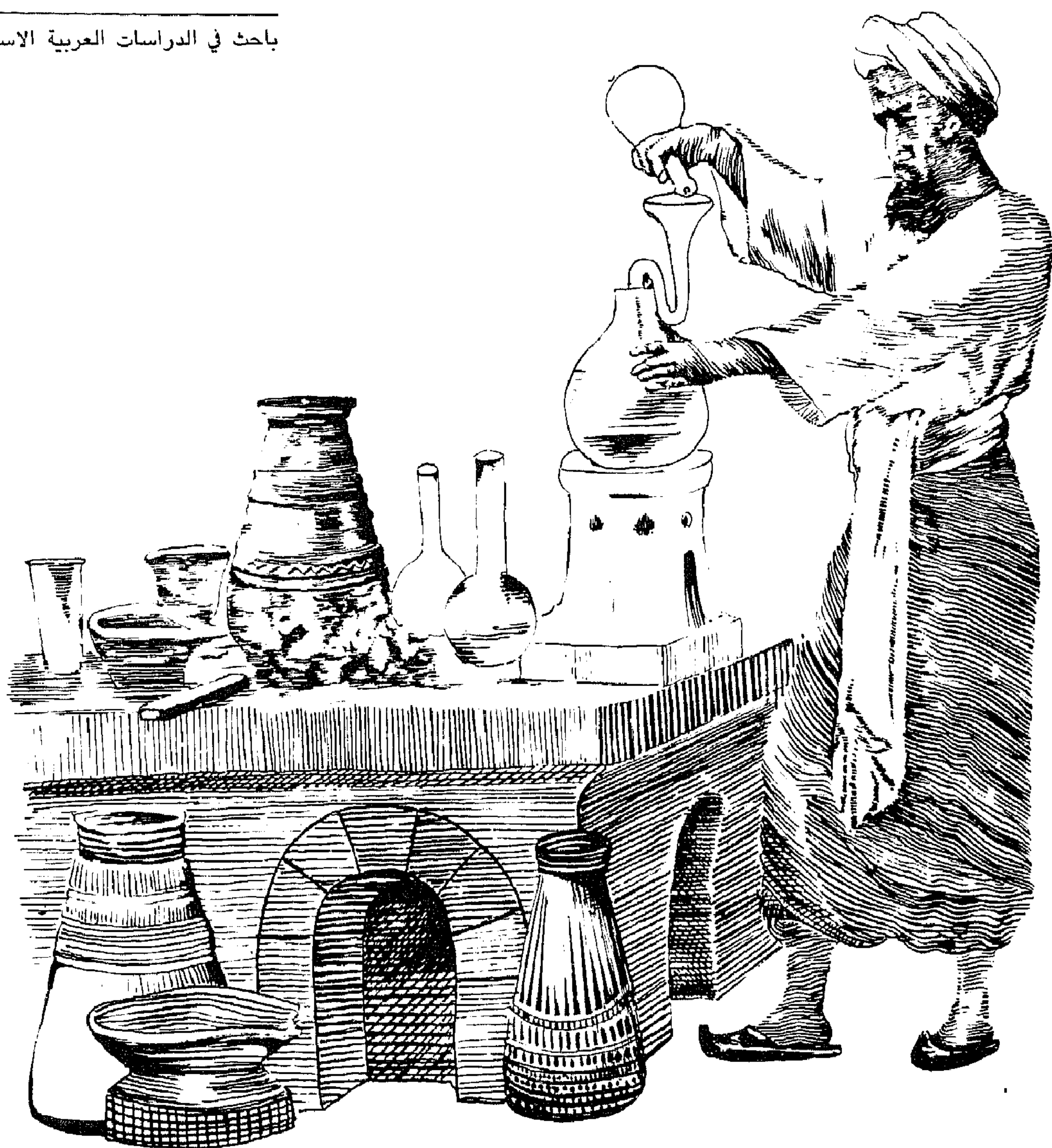
لقمان الحكيم

تقاليد وآداب المهنة الطبية

بين قسم أبقراط وقسم ابن رضوان

اسماعيل سرور شلش

باحث في الدراسات العربية الاسلامية



من الثابت ان العلوم والمعرفة الطبية عند العرب لم تبدأ من فراغ. بل كان اليونانيون من اول وأهم من أخذ عنهم العرب العلم والمعرفة، ومن كتبهم استحث العرب البحث والتأليف، وحملوا رسالة العلم وتقدموا في العلوم، وبرزوا فيها بدرجات واسعة.

ولو أن المشهور بين المؤرخين أن اليونان هم واضعو أسس العلم والمعرفة، إلا أنهم في الحقيقة أخذوا كثيراً عن المصريين القدماء، ونقلوا عنهم ما هو أكثر، وذلك بما كان لهم من وثيق الصلات والعلاقات بهم، وبما كان يقوم به كثير من علمائهم من زيارات لمصر والتجول خلال تلك البلاد، ومقابلاتهم مع كهنة المعابد وغيرهم، فلقد ذكر « هيرودوت » المؤرخ اليوناني الذي زار مصر وبلاد ما بين النهرين وغيرهما، وكذلك « ديودور الصقلي » الذي زار مصر عام ٥٩ ق. م. « أن كثيراً من علماء اليونان كانوا يزورون مصر، ويمضون فيها ردحاً من الزمان ينقبون ويبحثون ويجمعون المعلومات » .... وقد ذكر في المراجع أن أفلاطون قد درس في مدرسة « أون » مدة ١٣ سنة علم الفلك والكيمياء وغيرها، كما ذكر « وارن دارسون(W.Dawson.) أن الفاظاً وتعبيرات مصرية قديمة قد ظهرت بوضوح في مجموعات أبقراط وديسقوريدس وجالينوس، كما ذكر « كريمرز » و « أردنج »[١] - أن « ديسقوريدس » أورد في كتابه « المادة الطبية »(De Materia Medica) ٨٠ عقاراً منوهاً بمصدرها المصري. هذا بالاضافة الى أن « جيمس لير (J. Liuer) » قد ذكر في كتابه « تاريخ الصيدلة »[٢] « أن اليونانيين أخذوا كثيراً عن المصريين، وأنهم - بدون شك - ليسوا الا شارحين للعلوم المصرية ». ولقد كان بعض المؤلفين اليونان وغيرهم يثبت المعلومات دون ذكر مصادرها فتظهر وكأنها لهم أنفسهم، وفي ذلك يقول « سنجر (Singer) » في كتابه علم الاغريق والعلم الحديث[٣] : « إن العلم الذي ورثوه - أي اليونانيون - من القدم، وكان غفلا من أسماء عارفيه الأصليين، وأصبح، على العكس منسوبا وبقي على هذا الحال حتى الآن ».

ويقول « دي لاسي أوليري DeLacy Oleary » في كتابه « علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب » : « وعلى الرغم مما كانت تدعيه الثقافة اليونانية القديمة من الأصالة، فانها لم تكن تخلو من المؤثرات الشرقية، ويمكن ان نرجع الكثير من مظاهر الحياة والفكر اليوناني إلى أصول مصرية وبابلية ...... ».

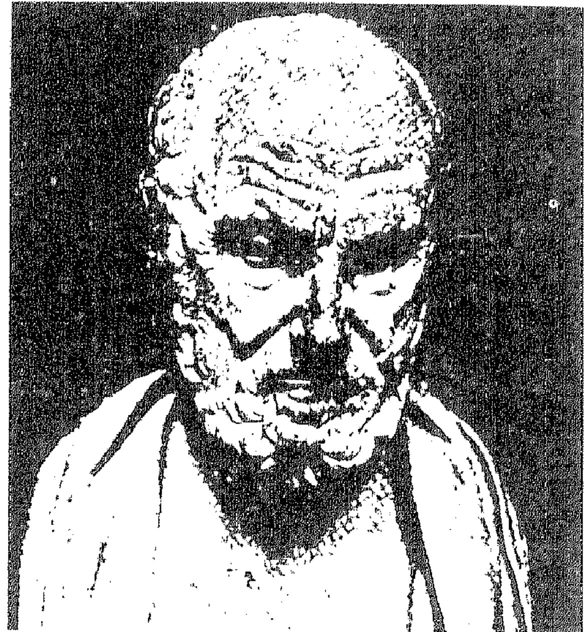
ومع ذلك فعلماء اليونان (الاغريق) لم يتوانوا في دراسة الطب والصيدلة بل ضربوا بسهم وافر في هذا السبيل، وتقدموا بهما خطوات كبيرة وجددوا، فهم أصحاب نظريات العناصر الأربعة [الماء والهواء والأرض والنار]، والأمزجة والأخلاط التي تحكم الجسم بتناسقها في الصحة والجسم السليم، وعدم تناسقها في المرض والجسم العليل، وتأثير العقاقير في علاج هذه الحالات واختلاف نسبها. وكانت لهم مدارس يدرس فيها الطب والصيدلة، اشتهر منها ماكان في أثينا، وكوس، وكنيدوس. ولقد نبغ كثير من علماء اليونان واشتهروا في هذا المضمار، بل صاروا المعلمين لأجيال العصور التالية، منهم « أبقراط » [ابو الطب]، و « ديسقوريدس » [ابو العقاقير]، و « جالينوس » وغيرهم.

مدرسة الاسكندرية :

وفي حوالي النصف الأول من القرن الرابع الميلادي انتقلت الدراسات المختلفة ومنها الطب والصيدلة الى مدرسة (جامعة) الاسكندرية التي انشأها بطليموس الأول، ونقل اليها العلماء من جامعة « أون » أي عين شمس المصرية القديمة، كما أحضر اليها العلماء من اليونان (من الأكاديمية والليسيوم). فتميزت هذه المدرسة بعلمائها الأفذاذ، والمكتبة العظيمة الملحقة بها، وفاقت غيرها شهرة وعلماً، بل وخلفتها وحلت محلها، فأمها الطلاب من جميع البلاد والجهات، واصبحت قبلة العلماء وطلاب العلم، كما تخرج فيها من العلماء من حاز الشهرة والسبق في العلم مثل الطبيب الصيدلي « جالينوس » الذي نقل العلم الى روما، ومنها انتشر الى كثير من أنحاء العالم. ومن علمائها بطليموس، وإقليدس، وأوبياسوس، وأرشميدس ... الخ.

أبقراط والمدرسة الأبقراطية (Hippocrates)

أبقراط هو بلا نزاع من أعظم اطباء العالم في التاريخ. وقد سماه العرب « أبو الطب »،



ابقراط : ابو الطب .

ورفعوا نسبه الى عائلة اسقيليبيوس . ولا يتردد إبن أبي أصيبعة الذي خصص له ترجمة طويلة في تاريخه أن يشير إلى مـا كان عليـه من « التأييد الالهي » .

ولد أبقراط في جزيرة (قوص) وهـي جزيرة صغيرة من الجزائر اليونانية في القرن الخامس ق . م .(حوالي ٤٦٠) . وكان الطب في هذا الزمن لا يزال في أيدي أناس تنقصهم الروح العلمية ، كثيراً ما يلجأون إلى السحر والشعوذة ، مستغلين سذاجـة المرضى . وكان أبقراط متضلعاً من العلوم الطبيعية ، فأدخل الطب في إطـار علمي ، مستعمـلا الفحص الاكلينيـكي (Clinical Observation) والاستنتاج المنطقي السليم .

وقد بنى علاجه على بعض مبادىء يمكننا أن نحصرها في النقط الثلاث الآتية :

أولا : مبدأ الحيوية (Vitalism) يعتقد أبقراط أن هناك عنصراً خاصاً غير مادي يحيا به الجسد هو النفس (Psyche) . وهـو بمثابة نسيم عابر ينقرض بانقراض الجسد وهذا المبدأ الحيوي صدى للآراء الروحيـة السائدة في ذلك الزمن .

ثانياً : مبدأ الأخـلاط (Humorism) المبني على الاعتقاد بأن الأشياء مكونة من العناصر الأساسية : الحار والبـارد والرطـب واليابس . فالجسم الانساني مزيج متناسب من الـدم والبلغـم والمرارة السـوداء والمرارة الصفراء ، فاذا كانت هذه الأمزجة في تناسق محكم من الكيفية والكمية تمتع الجسد بصحة جيدة وهي حالة الكرازيس (Crasis) (أي الامتزاج) . ولكن اذا زاد أحد الأمزجة أو نقص أو أمتنع من الامتزاج بالعناصر الأخرى حدثـت الأمـراض (Dyscrasis) . وأكثـر الأمراض ناجمة من ازدياد في البـرودة او الحرارة .

وهناك تماسك وتضامن في أعضاء الجسم ووظائفه . فاذا مرض عضو أثر على الجسم كله .

ثالثاً : المبـدأ الطبيعـي (Naturism) – أي محاكاة الطبيعة في المعالجة . لقد تحقق أبقراط بالملاحظة – ان هناك طبائع لا تتغير ذات صفات ثابتة . ولكل مرض تطور طبيعي ونضوج محدود السير والمصير . وهناك مبدأ بسيط واحد في ذاته متعدد بمفعوله هوالطبيعة . وهذا المبدأ يشرف على جميع الوظائف الحيوية ، ويقاوم العوامل الهامة للجسم . وعلى الطبيب أن يساعد هذه الطبيعة لكي تقوم بعملها . فلا بد من أن يعرف البحران أو الحومة (Crisis) ، وهي النقطة الفاصلة في المرصد التي تؤذن بالاتجاه نحو التحسن او التفاقم ، وأن يعرف الأيام الحاسمة . فالقوة الطبيعيـة للشافيـة (vis medicatrix naturae) هي حجـر الزاوية في الطب الأبقراطي . ولذا يجب على الطبيب أن يكون حذراً ، والا يتسرع في التدخل

طبيب يوناني يجري جراحة على ذراع على احد العمال .





الاسعاف الاولي في ساحة القتال

في سير المرض خوفا من أن يحول دون عمل الطبيعة . ولكن اذا حدث تأخر في ظهور البحران فعليه أن يساعد بازالة المواد السقيمة بواسطة الفصد او الأدوية المقيئة او المسهلات .

ولقد وصف ابقراط وصفا دقيقا بعض الأمراض مثل السل والتشنج النفاسي (Eclampsia) ، والصرع والحميات المختلفة . وفي وصفه المشهور ، الطلعة الأبقراطية (Facies Hippocratica) - أشار بدقة الى العلاقات التي تنذر بالموت المقترب . وقد وصف بدقة ٤٢ حالة مرضية و٢٥ منها مصيرها الموت .

وقد ظل علم الجراحة الأبقراطي في بعض اقسامه لا يضارع حتى أواخر القرن الثامن عشر .

ومن أنبل مميزات أبقراط سمو أخلاقه في مهنته طبيبا ، فظل قسمه المشهور رمزا للأخلاق الطبية الراقية ، وارتفاعها عن الاندماج في الشبهات التجارية - وها هو هذا القسم (الذي سماه العرب : عهد ابقراط) :

قسم أبقراط (The OATH of Hippocrates)(٥)

« إني أقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء ، وكل علاج ، وأقسم بأسقليبيوس وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعا على أنني أفي بهذه اليمين وهذا الشرط ، وأرى أن المعلم لي هذه الصناعة بمنزلة آبائي ، وأواسيه في معاشي ، واذا احتاج الى مال واسيته وواصلته من مالي . وأما الجنس المتناسل منه فأرى انه مساو لاخوتي ، وأعلمهم هذه إن احتاجوا الى تعلمها بغير أجرة ولا شرط . وأشرك اولادي ، وأولاد المعلم لي والتلاميذ الذي كتب عليهم الشرط وحلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة ، وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك ، وأقصد في جمع التدبير ، بقدر طاقتي ، منفعة المرضى .

وأما الأشياء التي تضر بهم ، وتدني منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيي . ولا أعطي اذا طلب مني دواء قتالا ، ولا أشير ايضا

بمثل هذه المشورة . وكذلك ايضا لا أرى أن أدني من النسوة فرزجة تسقط الجنين ، وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الذكاء والطهارة .
ولا اشق أيضا عمن في مثانته حجارة ، لكن أترك ذلك الى من كانت حرفته هذا العمل .
وكل المنازل التي أدخلها انما أدخل اليها لمنفعة المرضى ، وأنا بحالة خارجة عن كل جور وظلم وفساد ارادي مقصود اليه في سائر الأشياء ، ومن الجماع للنساء والرجال الأحرار منهم والعبيد .
وأما الأشياء التي اعانيها في اوقات علاج المرضى ، او أسمعها أو في غير اوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا ينطق خارجا ، فأمسك عنها وأرى ان مثالها لا ينطق به . »
فمن أكمل هذا اليمين ولم يفسد منه شيئا كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها ، وأن يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً ، ومن تجاوز ذلك كان بضده .
ثم توفي ابقراط مخلفا وراءه عددا من الأطباء تشبعوا من مبادئه . ولكن شتان بين المعلم وتلاميذه . فعلى مر السنين فقدت المدرسة الأبقراطية حيويتها ، واتخذت العناصر القليلة من الفسيولوجيا الموجودة في مذهبها الطبي اساسا لتفسيرات طبية منهجية لا تخلو من التصنع . فنهضت مدرسة الاسكندرية التجريبية (Empirical School) . ضد هذا التيار العقلي المتزمت وقالت انها لا تهتم بعلل الأمراض كما تهتم بعلاجها : « ليس المهم ، على قولهم ، ان تعرف ماهية الهضم بل ما هو سهل الهضم » .
وقد جمعت الكتب الأبقراطية ورتبت في الاسكندرية ، ولكن هاجر بعد ذلك الطب الى روما التي أصبحت مركز الحضارة .
والذي حقق هذا الانتقال هو أسقلبيوس - (Asclepius) (القرن الأول ق .م .) كان طبيباً ذا شخصية قوية متضلعا من الطب والفلسفة . وسريعا ما أصبح الطبيب الرسمي للطبقة الراقية في روما . وكان يعتنق الفلسفة الذرية (Atomism) للوقيبوس (Leucippus) ، وديمقريطس (Democritus) وأبيقور (Epicurus) والتي كان قد أدخلها الى روما الشاعر لوكرتيوس (Lucretius) في كتابه « في طبيعة الأشياء » (de Rerum Natura) . وقد حاول احد تلاميذ اسقلبيوس التوفيق بين النزعتين المتضادتين ، فأسس المدرسة المنهجية - أشهر ممثل لهذه المدرسة « سوارانوس » الملقب بالذهبي (Soranus of Ephesus) (القرن الأول م) وهو مؤسس فن الولادة وامراض النساء .
وقد وجد ، حتى قبل المدرسة الابقراطية ، اشخاص في اليونان كانوا يختصون بالأعشاب الطبية ، يجمعونها في الوقت المناسب ويخزنونها ويبعونها وكانوا يسمون العشابين (Rhizotomoi) وكثيرا ما كانوا يعالجون المرضى بانفسهم . وقد واصلوا تجارتهم اثناء رواج المدرسة الأبقراطية وبعدها .

المهنة الطبية عند العرب

مارس العرب مهنة الطب في اطار من التقاليد والنظم ، يمكننا ان نستخلصها من الدراسة التحليلية لتاريخ الطب العربي ، وعلى وجه الخصوص من القصص التي تدل على سلوك الأطباء العرب في ممارستهم لهذه المهنة ، او ما وصل الينا مما وضعوه من نظم وقوانين تنظم هذه الممارسة .
« كما ان التقاليد التي تحدد الاطار العام لسلوك الأفراد في المجتمع تنشأ من حصيلة موروثة ، واخرى تتولد داخل المجتمع نتيجة الظروف الزمانية والمكانية السائدة ، فان تقاليد ممارسة مهنة الطب لدى العرب لا شك أنها قامت ايضا على مزيج مما توارثه العرب من تقاليدهم العربية الأصيلة ، ومما نقلوه عن الأمم السابقة ، وعلى الأخص اليونان والفرس . ثم ما أضافوه على ذلك كله من ظروفهم الخاصة التي نشأت نتيجة لقيام الدولة العربية الاسلامية .
وعلى ذلك فانه يمكن القول ان الأسس التي تقوم عليها تقاليد ممارسة الطب لدى العرب هي :
١ - التقاليد العربية الأصيلة بما تتضمنه من اخلاقيات اظهرها الشهامة والمروءة .
٢ - التقاليد المنقولة عن حضارات اليونان والفرس وغيرهم من الأمم التي نقلوا منها معارفهم الطبية .
٣ - ظهور الاسلام ، وقيام الحضارة



الطبيب والفيلسوف
العربي الكبير ابن سينا .

العربية على أساسه ، وتحكم مبادىء الدين واخلاقياته ، وأحكامه في شؤون الدولة والعلاقات بين الأفراد .

٤ – قيام الدولة المترامية الأطراف عن طريق الفتوحات الاسلامية ، وما استتبع ذلك من حروب واتصالات بحضارات جديدة ، ثم ما نشأ عن كل ذلك من ضرورة وضع نظم لادارة هذه الدولة الكبيرة للتحكم في كافة شؤونها .

وقد دعا الاسلام الى الأخذ بالعلم بوجه عام بما في ذلك بالطبع ما يتصل بأمور الطب ، ولم يقف منه موقف العداء كما وقفت بعض العقائد ليس فقط في العصور القديمة ، بل ايضا في العصور الوسطى ، فقد اطلق الاسلام العلم من عقاله ، وحث المؤمنين على طلبه اينما كان ، وفصل بين الطب القائم على العلم المتوارث عن معارف الأقدمين او التجربة وبين السحر ، واثر العلاج بالنباتات والوصفات الطبية والحجامة والكي وغيرها مما

حققت فائدته تجارب الأولين ، ودعا الناس الى طلب العلاج والتداوي والعناية بابدانهم . وكان ذلك منذ نشأة الاسلام الأولى ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ما انزل الله من داء الا انزل له شفاء »(٦) .

واستمرت رعاية الاسلام للعلم ، ولم نسمع عن اضطهاد اصاب عالما في ظل الدولة الاسلامية لشأن من شؤون العلم . ويمكننا القول بوجه عام - ان العمل بالشريعة الاسلامية ، وما اقتضته من اساليب في الحياة وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض يكسب الانسان اسمى مراتب السعادة الصحية والنفسية والعقلية .

ولقد كان من تقاليد المهنة الطبية منذ نشأتها توارث هذه المهنة أبا عن جد ، مثلها مثل كثير من المهن والصناعات ، ولقد استمر هذا التقليد خلال العصور المختلفة للطب العربي ، حيث امتازت بعض الأسر بتوارث هذا الطب ، ولعل اشهر هؤلاء اسرة « بختيشوع » التي مارست الطب في ظل الدولة الاسلامية أجيالا متعاقبة اثناء الخلافة العباسية ، ومنهم ايضا اسرة « ابن زهر » التي توارثت الطب في الأندلس ، وأشهر أفرادها « أبو مروان عبد الملك بن زهر » ونبغ منهم عدد كبير في الفترة بين القرن الحادي عشر وابتداء القرن الثالث عشر .

أجمعت التقاليد على احترام مهنة الطب ، وعمل الطبيب ، ورفع مكانة ممارسيها غير المسلمين منهم والى اسمى المراتب ، فقد دعا الرسول الكريم الى التطبب على الحارث بن كلدة . واستعان خلفاء بني امية بالأطباء امثال « ابن آثال » ، الذي كان نصرانيا ، وكان طبيبا لمعاوية ، وقد كرمه وقربه ، و« ابو الحكم الدمشقي » وابنه « الحكم » وحفيده « عيسى »(٧) » . ومنهم ايضا « ابن ماسرجويه الطبيب البصري ، وكان سريانيا في زمن عمر بن عبد العزيز . اما خلفاء العباسيين فقدكرموا اسرة « بختيشوع » الفارسية الأصل ، كما اشتهر في زمنهم اطباء من غير المسلمين امثال « حنين بن اسحق » و« اسحق بن حنين » ، و « يوحنا بن ماسويه » ، وقد بلغوا اسمى مراتب التكريم في زمانهم .

وكان من الولاة العرب ايضا من اتخذ طبيب بلاطه من الأطباء اليهود ، كما فعل صلاح الدين الأيوبي مع موسى بن ميمون الذي كان رئيسا للطائفة اليهودية في مصر ، ثم دخل في خدمة السلطان صلاح الدين . ولو لم يكرم الولاة المسلمون العلماء اليهود ما نبغ احد منهم ، اذ ان كثيرا من الأطباء اليهود كانوا يلاقون في اوروبا الاضطهاد ، ولم يكن لهم هناك حق دخول الجامعات حتى وقت قيام الثورة الفرنسية .

ولقد بلغ من تكريم مهنة الطب ان وصل ممارسوها الى اعلى مراتب وظائف الدولة الى جانب الطب ، فكان منهم من ولي الوزارة ، ولعل اشهرهم الرئيس ابن سينا . وبلغ بعضهم من الجاه والسلطان مبلغا جعلهم يتبارون مع الخلفاء في الانفاق عن سعة ، والعيش في ابهة ورخاء(٨) .

ومنهم من ولي مناصب القضاة ، مثل القاضي ابن المرخم يحيى بن سعد الذي اصبح قاضي القضاة بمصر ، كما صار سعد الدين بن البطريق بطريركا بالاسكندرية .

ولقد سمحت تقاليد العرب للنساء بممارسة مهنة الطب والمداواة ، ولم يقف الاسلام ضد اشتراك المرأة في هذا العمل ، كما سنورد القول عند الحديث عن دور نساء العرب في ممارسة الطب والتمريض - بمعنى ان النساء العربيات قد مارسن فن التمريض في مختلف العصور ، ولم يكن فن التمريض عندئذ متميزا كفن قائم بذاته ومنفصلا عن فنون الطب والمداواة في الأزمنة الماضية كما هو الحال في وقتنا الحاضر ، حيث تتوفر له فئة خاصة متخصصة للتمريض لها مهام محددة تختلف عن واجبات الأطباء ، مع انها جزء أساسي مكمل لها .

ولقد لعبت بعض النساء ادوارا سجلها مؤرخو الطب العربي منذ فجر الاسلام ، ومن اولى النساء « رفيدة الأسلمية » التي اتخذت خيمة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم . كانت تداوي فيها الجرحى . وقد ذكر ابن اسحق في السيرة « كان رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد جعل سعد بن معاذ الذي اصيب في يوم الخندق في خيمة لامرأة من بني اسلم يقال لها رفيدة كانت تداوي بها الجرحى ، وقد كان رسول الله قد قال حين اصابه السهم بالخندق « اجعلوه في خيمة رفيدة حتى اعود من قريب » .

وكانت نساء المدينة يشاركن الرجال في



الطبيب العربي الشهير البيروني يجري جراحة قيصرية لأمرأة حامل .

الغزوات . فقد جاء في تاريخ الاسلام للذهبي ، ان ام عطية الأنصارية قالت : « غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ، فكنت اصنع لهم طعامهم ، وأخلفهم في رحالهم ، وأداوي الجرحى ، وأقوم على المرضى » .

وفي اواخر الدولة الاموية كانت زينب طبيبة بني اود من الماهرات في صناعة الكحالة عالمة بصناعة الطب والمداواة ، ولها خبرة جيدة بمداواة الام العين والجراحات وشهرت بذلك بين العرب .

وكانت اخت ابي بكر بن زهر ، وكذلك ابنتها عالمتين بصناعة الطب والمداواة ولهما خبرة جيدة بمداواة النساء ، وكانتا تدخلان على نساء المنصور ابي يوسف يعقوب ، وكان المنصور لا يرضى ان يتولى قبالة اهله الا اخت الحفيدة او بنتها

وكانت « ام الحسن بنت القاضي احمد بن عبد الله الطنجالي » من أهل لوشة بالأندلس تجود القران . وتشارك في فنون الطب وتنظم الشعر .

وساهمت النساء في مساعدة الطبيب في عمله ، فقد جاء ان الزهراوي كان يقف خلف ستار خفيف ، ويعطي ارشاداته المناسبة للقابلات في الحالات العسرة من التوليد .

ومع ان العلم العربي كان علما موسوعيا ، بمعنى ان الأطباء العرب مارسوا الى جانب الطب علوم الشريعة والفلسفة ، والفلك ، والكيمياء ، والصيدلة وغيرها ، فقد عرفوا ايضا مبدأ التخصص في المعالجة ، ولعل المجال قد اتسع لذلك في ممارسة الطب داخل البيمارستانات حيث كان يقوم على كل قسم من اقسام البيمارستان اطباء متخصصون من الباطنيين او الجراحين او الكحالين او المجبرين وغيرهم ، وكان اذا دعا الحال استدعى طبيب من قسم اخر غير القسم الذي فيه المريض للاستشارة .

ولقد عرف العرب في تنظيم ممارسة مهنة الطب صورا من ضبط الحقوق والواجبات ، على نحو ما تقوم به في العصر الحاضر بصورة دقيقة قوانين النقابات الطبية وقواعد ممارسة المهنة .

فمن ناحية حقوق الأطباء ، كانت اجور الأطباء بالبيمارستانات (المستشفيات) تنظم على أساس المرتبات الشهرية ، وكانت لهم الأجور الاضافية مقابل اعمال اخرى كالتدريس او الترجمة . ويذكر المؤرخون قصصا نستطيع ان نستخلص من ثناياها الحرص على الزام المرضى القادرين بتسديد اجور الاطباء مقابل تنازل الاطباء بحكم واجبهم الانساني عن اجور معالجة الفقراء(١٠).

اما من حيث واجبات الأطباء ، فقد تفوق

العرب في رسم تقاليد تضمن اداءهم لهذه الواجبات على خير وجه ، وتضمن للمجتمع محاسبتهم اذا اخطأوا عن جهل فاضح او عمد . ولعل اول صورة لذلك ما جاء في الحديث الشريف من تحديد لمسؤولية الطبيب في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ومن تطبب ولم يعرف عنه طب فهو ضامن » . بمعنى انه مسؤول عن عمله محاسب عليه .

ثم يبلغ تنظيم الرقابة على ممارسة مهنة الطب اوج عظمته في التقاليد التي استنها العرب في اجازة الطب ، وفي نظام الحسبة على الأطباء والصيادلة . فقد كان الأطباء في اول عهد الدولة الاسلامية يمارسون الطب بعد قراءته على اي طبيب من مشاهير الأطباء او في كتب الأقدمين ، او يمارسونه اخذا عن ابائهم ثم يباشرون الصناعة بعد ذلك بغير قيود ، واستمر الحال على ذلك حتى نظم الخليفة العباسي المقتدر بالله هذه الممارسة ، اذ فرض على من يريد ممارسة الطب ان يؤدي امتحانا لاجازته ، وأمر بأن يكف عن ممارسة الطب جميع الاطباء الا من يمتحنه « سنان بن ثابت » . وفي ايام الخليفة المستنجد بالله فرضت رئاسة الطب ببغداد على امين الدولة بن التلميذ امتحان الأطباء .

وقد نظمت الرقابة على الأطباء والصيادلة ، وكان يقوم بها مأمورون يطلق على كل منهم « المحتسب »[11] (وهو الذي يأخذ على الأطباء عهد ابقراط .....) وعليه ان يتأكد من ان الطبيب لديه جميع الات الطب مما تحتاج اليه صناعته ، وان يمتحن الأطباء فيما جاء في كتاب حنين المعروف « محنة الطبيب » . اما الكحالون فيمتحنون في كتاب « حنين بن اسحق« عشر مقالات في العين » في معرفتهم تشريح العين وعدد طبقاتها وامراضها ، وفي تركيب الاكحال وغيرها مما يلزم لمعالجة العين . اما المجبرون فلا يحل لأحدهم ان يتصدى لذلك الا بعد معرفة المقالة السادسة من « كناش بولص لايحين » ، وان يعلم عدد عظام الآدمي ، وأما الجراحون فيجب عليهم معرفة كتاب جالينوس في الجراحات والمراهم ، وان يعرفوا التشريح ، واعضاء الانسان وما فيه من العضل والعروق والشرايين والأعصاب ، ليربح ذلك في وقت فتح المواد وقطع البواسير ، ويكون معه كذا .. وكذا .. من المباضع والأدوات الجراحية المختلفة .

ونظمت ايضا عملية الحسبة على الصيادلة بما يضمن (ان مراقبة الله في ذلك . وينبغي للمحتسب ان يخوفهم ويفطنهم بالعقوبة والتحذير ، ويعتبر عليهم عقاقيرهم كل اسبوع)[12] .

خصال الطبيب عند ابن رضوان

واذا كان ابقراط هو الذي وضع العهد للطبيب بأن يلزم الطهارة ، والفضيلة في ممارسة مهنة الطب ، فقد التزم العرب بهذا العهد ، بل اضافوا تقنينا اوفى لآداب المهنة كما فعل « أبو الحسن علي بن رضوان » — العالم المصري الذي جعله الحاكم رئيسا على سائر الاطباء ، فأراد ابن رضوان ان تجتمع في الطبيب سبع خصال .[13]

١ — ان يكون تام الخلق ، صحيح الاعضاء ، حسن الذكاء ، جيد الرواية ، عاقلا ذكورا ، خير الطبع .

٢ — ان يكون حسن الملبس ، طيب الرائحة ، نظيف اليدين والثوب .

٣ — ان يكون كتوما لأسرار المرضى لا يبوح بشيء من امراضهم .

٤ — ان تكون رغبته في ابراء المرضى اكثر من رغبته فيما يلتمسه من الاجرة ، ورغبته في علاج الفقراء اكثر من رغبته في علاج الأغنياء .

٥ — ان يكون حريصا على التعليم ، والمبالغة في نفع الناس .

٦ — ان يكون سليم القلب عفيف النظر ، صادق اللهجة ، لا يخطر بباله من امور النساء والأموال التي شاهدها من منازل الأعلياء فضلا عن ان يتعرض الى شيء منها .

٧ — ان يكون مأمونا ثقة على الأرواح ، لا يصف دواء قتالا ، ولا يعلمه ، ولا دواء يسقط الأجنة ، ويعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه .

وتتساءل الدكتورة أمنة مراد « أليست هذه الصفات اشمل مما جاء في قسم ابقراط » . وتتمنى لو ان كليات الطب العربية جعلت من هذه الخصال التي ارتآها ابن رضوان قسماً لخريجيها واسمته قسم ابن رضوان .

ولعل من تقاليد العرب التي التزموا بها في الطب حقا ما وصى به ابن رضوان في وصفه للطبيب : «يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه » .

واستمد العرب من صفاتهم الموروثة المتميزة بالمروءة ما حفزهم على الالتزام بهذا السلوك ، حتى في انتصاراتهم .. ولعل فيما كان من اتصالات معروفة بين الأطباء العرب وبين اعدائهم من الفرنجة اثناء الحروب الصليبية ما يؤكد ان التقاليد العربية الأصيلة حرصت على ذلك كل الحرص وهناك أربع سمات امتاز بها الطب العربي ، واصبحت من التقاليد الرفيعة ولا تزال باقية حتى اليوم وهي :

١ – طرق التعليم الطبي الاكلينيكي القائم على مشاهدة المرضى ، والاستماع بدقة الى شكاويهم ، واستقصاء احوالهم ، وزيارة منازلهم . ومن وسائل ذلك المرور على اسرة المرضى بالبيمارستانات (المستشفيات) حيث كان شيوخ الأطباء يصاحبون تلاميذهم يفسرون لهم احوال المرضى ، ويشيرون عليهم بالعلاج ، وهي وسيلة التعليم الطبي السليم القائم على المشاهدة والتجربة ، وليس نقلا عن الكتب والمخطوطات فقط .

٢ – المناقشات العلمية التي كانت وسيلة التعليم الطبي . كان اساتذة الطب يجلسون وأمامهم الكتب الطبية في قاعات مخصصة يتباحثون مع تلاميذهم . كما ان نظام تقديم رسالة او اطروحة تمهيدا للحصول على إجازة علمية هو نظام عربي . [وكان الطالب يسأل من كل ما يتعلق بما في رسالته من الفن ، فاذا احسن الاجابة اجازه الممتحن بما يطلق له التصرف فيه من الصناعة] .(١٤) .

٣ – المؤتمرات العلمية اذ عرف العرب نظام الاجتماعات التي كانت تعقد في دار الحكمة ببغداد ، وهي الدار التي انشأها المأمون عام ٨٣٠ م ، أو دار العلم التي أنشأها الحاكم في القاهرة عام ٩٩٥ م ، فكان على الطلبة والعلماء ان يحضروا الى تلك الدور وغيرها ليجتمع بعضهم ببعض .

٤ – وفي مجال التأليف العلمي التزم اغلب الأطباء العرب تقاليد منهجية في كتاباتهم ، بالحرص على ذكر مصادر ما ورد فيها عمن سبقوهم من المؤلفين . فنجد الرازي مثلا وغيره يذكر في مؤلفاته الباب او الفصل الذي استمد منه المادة ثم يميز اراءه وخبرته الشخصية بلفظة « لي »(١٥) .

هذه لمحات مما التزم به الأطباء العرب من أداب وتقاليد مكنت لطبهم ان يرتفع الى المكانة السامية التي بلغها خلال قرون عديدة اتيح للانسانية فيها ان تنتفع به أجل انتفاع . ■

الهوامش

١ – "History of Pharmacy", By Kremers and Urding. —

٢ – "History of Pharmacy", By J. Liuer. —

٣ – "Irees Science and Modern Science", By Singer. —

٤ – راجع في تفصيل ذلك تاريخ العلم لجورج شارتون . الترجمة العربية ، جـ ٢ القاهرة ١٩٥٩ – الفصل الثالث عشر : الطب اليوناني في القرن الخامس ، وطابعه الأبقراطي .. ص ٢١٥ – ٣٤٥ .

٥ – منقول من عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ، جـ ١ ، ص ٢٥

٦ – عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضا ، فقال الا تدعو لك طبيبا . قال وانت تأمر بهذا يا رسول الله ؟ قال : نعم – (ان الله لم ينزل داء الا وانزل له دواء) » . عن تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٤ ص ٣٤٨ نقله التيجاني الماحي ص ٤١ .

٧ – كان ابو الحكم طبيبا عالما بانواع العلاج ، سيره معاوية مع ولده يزيد طبيبا الى مكة عندما سير يزيدا اميرا على الحج في ايامه . وذكر القفطي ان ابنه الحكم عمر مائة سنة وخمس سنين ، اما عيسى بن الحكم فكان خبيرا بالطب .

٨ – أحصى القفطي ما جمعه جبريل بن بختيشوع في ثلاثة وعشرين عاما ، خدم فيها الرشيد ، وثلاثة عشر عاما ، في خدمة البرامكة . فكان يوازي ثمانية وثمانين الف درهم وهو ما يوازي بتقدير هذه الأيام ٢,٥ مليون جنيه – القفطي ص ٩٩ . نقله التيجاني الماحي ص ٥٥ .

٩ – تاريخ البيمارستانات في الاسلام – احمد عيسى ، ص ٣٧ .

١٠ – مثل ما نقله ابن ابي اصيبعة (ج ٢ ص ١٣٠) عن رجل من خراسان ادعى الفقر حتى ارتضى الطبيب « ابن وصيت الصابي » ان يعالجه مقابل ثمانين درهما ، فلما ثبت كذب ادعائه للفقر رفض علاجه .

١١ – تاريخ البيمارستانات في الاسلام لأحمد عيسى ص ٥٢ .

١٢ – المصدر السابق ص ٥٧ .

١٣ – د . امنة خيري مراد ، لمحات في تاريخ الطب القديم ، ص ٢٨٧ .

١٤ – تاريخ البيمارستانات – لأحمد عيسى – مصدر سابق – ص ٤٣ .

١٥ – دراسات في المنهج العلمي لدى الأطباء العرب . عرب موسى وابو ريان – مجلة الاسكندرية الطبية ص ٢٧ ، عام ١٩٧٢

شجرة الدّر

سُلطانة مصر

جوتس شريجليه

تحدثنا كتب التاريخ الاوروبية أن لويس التاسع ، ملك فرنسا ، قام على رأس حملة صليبية في عام ١٢٤٩ بهدف الاستيلاء على بيت المقدس عن طريق القاهرة ، وأن جيوش الصليبيين قد منوا بهزيمة نكراء على مقربة من المنصورة ؛ وفي هذه الموقعة سقط لويس التاسع أسيراً في أيدي المسلمين . لكن ترى من يدري أن ملك فرنسا قد وقع أسيراً في يد سيدة – هي الوحيدة من بين بنات جنسها التي اعتلت عرش مصر الاسلامية ، واحدة من قلة شحيحة من نساء تربعن على عرش السلطنة في تاريخ الاسلام بأجمعه ؟ إنها شجرة الدر .

كانت تركية ، مملوكة في الأصل للملك الصالح ، سلطان الأيوبيين . أعتقها وتزوجها بعد أن ولدت له ابنه خليلا .

وعندما رست جيوش الصليبيين ، وعلى رأسها لويس التاسع ، على أرض مصر ، واستولت على دمياط ثم اتجهت صوب القاهرة ، كان الملك الصالح يرابط بجيوشه عند المنصورة ، بينما يعاني مرضاً عضالا . وقد وافاه الأجل في موقف شديد الحرج بالنسبة لوطنه : فهناك جيش صليبي ذو بأس وشدة يتأهب للاستيلاء على مصر ، وفي سوريا سلاطنة الأيوبيين ينتظرون سقوط القاهرة في يد الفرنسيين للتحالف المغرض معهم ، ثم طورانشاه ولده الوحيد الذي على قيد الحياة وولي عهده كان في أقاصي شرقي المملكة بعيداً عن مصر .

في هذا الموقف الحافل بالأخطار تتولى شجرة الدر زمام الأمر بحزم وهمة . ولكي تتلافى حدوث زعزعة في صفوف الجيش المصري ، لا سيما وأن جيش الصليبيين مقبل عليه ، أخفت نبأ وفاة زوجها ، وبعثت بجثته سراً إلى القاهرة في قارب نيلي . بينما أمرت الأطباء بمواصلة عودة خيمة السلطان ، صباح مساء ، وظل الطعام يحمل كذلك إلى خيمة السلطان الراحل . أما الذين كانوا يطلبون زيارة الملك الصالح فكانوا يصرفون بحجة أن حالته الصحية لا تمكنه من استقبال أحد . وفي نفس الوقت بعثت لاستدعاء ولي العهد طورانشاه . وظلت تخفي نبأ موت السلطان مدة ثلاثة أشهر ولم تعلن عن وفاته إلا بعد حضور ولي العهد . وقد أحدث ظهور السلطان الجديد موجة عارمة من الحماس ، فتدفقت جيوش المسلمين على الأعداء مما كان له أكبر الأثر في هزيمة الصليبيين وأسر ملكهم .

وبدلا من استغلال هذا النصر ، ومواصلة الكفاح ، لطرد الغزاة المعتدين عن أرض الوطن طرداً لا رجعة فيه ، راح طورانشاه يتمرغ هو وبطانته في أحضان البذخ ومسرات الحياة . أثار سلوكه هذا حنق المماليك الأتراك ، الذين كانوا



ضريح الملك الصالح نجم الدين ايوب - منظر خارجي .

يؤلفون نواة الجيش المصري ويشكلون باطراد عامل السلطة الفعلية في الدولة . فمن ثم قتلوا طورانشاه آخر حكام مصر المتحدرين من أسرة صلاح الدين ، وولوا شجرة الدر أمور السلطة .

أما أن تعتلي امرأة سلطة القاهرة في العصور الوسطى ، فحدث خارج عن المألوف بالنسبة لوجهة نظر المسلمين التقليدية تجاه المرأة . ولقد انتهز الأيوبيون في سوريا هذه الفرصة لدعم مصالحهم المناوئة لمصر ، مستنكرين الاعتراف بسلطنة سيدة « كانت مملوكة سابقاً » وكان لاستعمالهم لهذه العبارة أثر كبير في القاهرة آنذاك . ولكي تدحض حجج السوريين باعتراضهم على « سلطنة امرأة » ، قرر امراء مصر لأسباب تمليها الظروف السياسية أن تتنازل أرملة الملك الصالح عن عرشها لأيبك ، قائد الجيش ، وبعلها الثاني فيما بعد .

وهكذا كانت شجرة الدر التي انفردت بحكم مصر مدة ثلاثة اشهر نقطة تحول في تاريخ المملكة : فبعض المؤرخين العرب يعتبرها آخر سلاطنة الأيوبيين ، والبعض الآخر يرى أنها اولى حكام المماليك . وتشير الدلائل إلى أنها كانت الحاكمة الفعلية في مصر طيلة سبع سنوات هي مدة سلطنة أيبك ، زوجها الثاني . فكانت ولا زالت تلقب بالسلطانة ، وتصدر مراسيم السلطنة حاملة توقيعها . إلا أن علاقتها ببعلها أيبك صارت بمرور الزمن تزداد سوءاً على سوء . وعندما علمت انه يمهد من وراء ظهرها للزواج من ثانية بلغ السيل الزبى ، فتخلصت منه باغتياله . وقد أثار هذا العمل الدموي اضطرابات شديدة في القاهرة استمرت أياماً طويلة قتلت أثناءها شجرة الدر في القلعة . ولا زالت مقبرتها التي أقامتها أثناء حياتها ماثلة حتى الآن في شارع الخليفة بالقاهرة . وهي تعد من الآثار النادرة للفن الاسلامي لفسيفسائها البيزنطي الطابع .

أدت هذه النهاية المفجعة إلى أن صارت غرابة تربع امرأة على عرش السلطنة موضوعاً تتناقله الروايات والقصص الشعبية ، ناسجة حول القليل من الأنباء التي خلفها معاصرو السلطانة خيوطاً جديدة من الخيال تكاثفت عبر القرون .

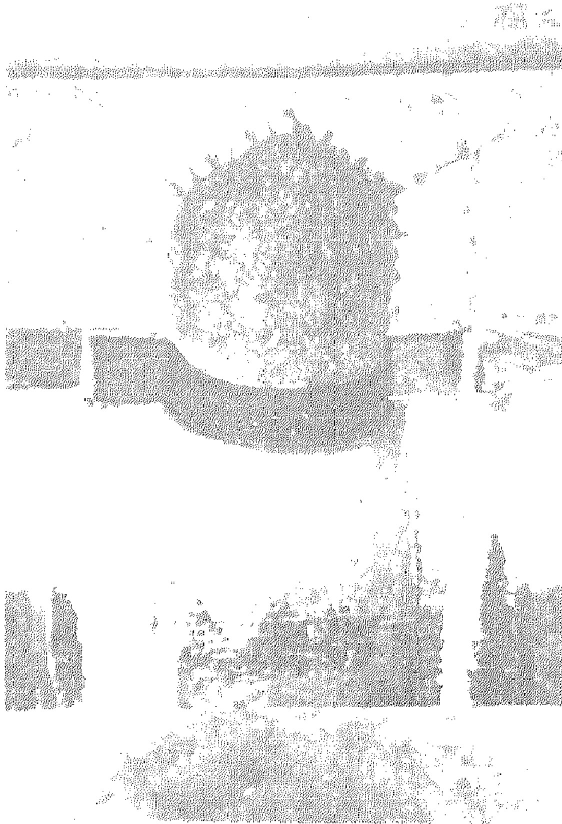
وقد بلغت الأساطير الشعبية التي كتبت عن شجرة الدر ذروتها في تاريخ « سيرة الظاهر بيبرس » ، وما نشأ عنه في القاهرة من قصص في أواخر القرون الوسطى . وفي هذه الأساطير

تتحول صورة السلطانة المسلمة حتى تصبح في مراتب الأولياء الصالحين . فمن ذلك أن والدها الخليفة كان قد أهداها وهي في ربيعها السابع رداءاً ثمينا تحليه اللالئ والدر . وعندما دخلت عليه به قال لها : « إنك الآن ، يا بنيتي ، كشجرة الدر » فصارت منذ ذلك الحين تدعى بشجرة الدر . كانت تقية صالحة ، تتصدق على الفقراء ، وتحج إلى مكة ، وقد اهداها الخليفة مصر ، فأسست المحمل . بل إن ما لجأت إليه من بطش في أواخر حياتها ما هو إلا نابع من إخلاصها للزواج ، وهو تحقيق لوصية زوجها الأول الذي كان أحد الأولياء .

وعندما احتك العالم العربي بالمدنية الاوروبية في القرنين التاسع عشر والعشرين لم تمر الأفكار والأهداف السياسية الحديثة على شجرة الدر مر الكرام ، بل اعتبرتها حاكمة مسلمة تمكنت بحصافتها وشدة بأسها من إنقاذ مصر من جيوش الاعتداء الصليبية — وإنها لشخصية تاريخية تستحق أن تتبوأ ما يليق بها من مكانة في عصر القومية العربية وتحرر المرأة في العالم العربي .

ضريح شجرة الدّر

ديتريش براندنبورج

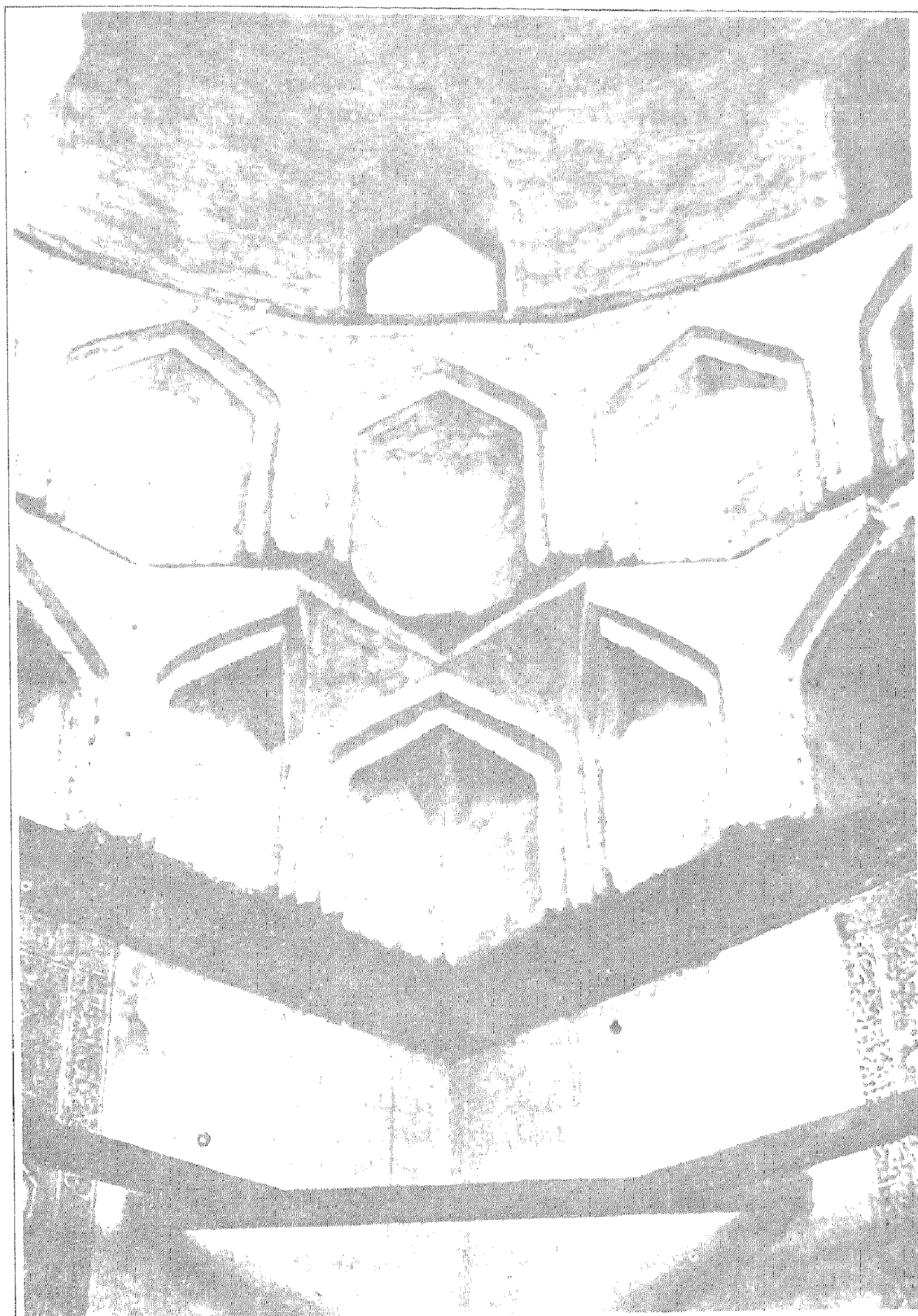


محراب ضريح شجرة الدر



كانت شجرة الدر جارية الخليفة المستنصر ، اشتراها ثم أهداها للملك الصالح نجم الدين الأيوبي فاتخذها زوجة له . وقد تمكنت بعد مقتل ابنها طورانشاه وتردد المماليك في اختيار من يتبعه على كرسي الحكم أن تدفعهم إلى تنصيبها سلطانة على الديار المصرية . وبذا كانت المرأة الوحيدة التي تربعت عرش مصر لمدة لا تزيد على بضعة شهور ، وإن يكن دون موافقة أمير المؤمنين ، خليفة بغداد . فقد رفض واستنكر أن تتولى الحكم وبعث — لأمراء مصر — كتابا يقول فيه : « إعلموا ، إن كان ما بقي عندكم في مصر من الرجال من يصلح للسلطنة ، فنحن نرسل لكم من يصلح لها . أما سمعتم في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : لا أفلح قوم ولوا أمورهم إمرأة ؟ » .

ظلت شجرة الدر رغم خلعها سلطانة في



مقرنصات قبة ضريح شجرة الد

الواقع ، فقد تزوجت خليفها على العرش المعز أيبك ، مؤسس اسرة المماليك البحرية التراكمة ، وسيطرت عليه سيطرة تامة . ولكنه ما أن قرر أن يخطب ابنة صاحب الموصل ، بدر الدين لؤلؤ ، حتى دبرت له - غيرة منها - من قام بخنقه ، وكان ذلك في عام ١٢٥٧ .

وفي صباح اليوم التالي لمقتل أيبك تولى ابنه نور الدين علي ، وكانت امه جارية ، عرش السلطنة ولم يعد عامه الخامس عشر . وكان أول ما حكم به أن تسلم شجرة الدر إلى أمه ، فما أن تم ذلك حتى انقض جواريها على شجرة الدر يضربونها بالقباقيب حتى الممات . ثم ألقيت جثتها من فوق السور إلى خندق القلعة ، وظلت على هذه الحال ثلاثة أيام قبل أن يدفن ما خلفته أنياب كلاب الشوارع من رفات تلك المرأة ذات الخطر والبأس فيما مضى بلا اي احتفال يليق بها في الضريح الفاخر الذي أقامته لنفسها أثناء حياتها .

أرخ تنصيب الضريح بخط نسخ محفور في لون أبيض على سطح إفريز يمتد فوق طاقة القبلة ، وإن يكن بتاريخ يشير إلى ما بعد وفاة شجرة الدر بقرنين أو ثلاثة ، وعله ارتبط بدفن أحد خلفاء بني العباس في مبنى ضريحها بعد أن مرت كل تلك الفترة على وفاتها . غير انه يبدو ان الذاكرة قد عادت إلى المناسبة الأصلية لاقامة الضريح فأضيفت إلى الكتابة المحفورة ذكرى شجرة الدر مع شيء من التكريم . وقد تم ذلك بخط نسخ تعوزه دقة النقل عن النص المحفور في الطبقة المختفية من تحته . ويذكر النص الجديد اسم السلطانة بالكامل مع كافة ألقابها في صياغة يرجح أن تاريخها الأصلي يرجع إلى الفترة القصيرة التي تربعت أثناءها شجرة الدر على عرش الديار المصرية ، وذلك بعد مقتل طورانشاه ، آخر سلاطين الأيوبيين في محرم عام ٦٤٨هـ ١٢٥٠م . ويزيد من ترجيح هذا الاحتمال أن اسم خلفها لم يرد في الصياغة المذكورة . ومن ثم فان « فان برشيم » (Van Berchem) و « كريزويل » (Creswell) يريان أن تاريخ بناء ضريحها يرجع إلى عام ٦٤٨هـ (١٢٥٠م) .

ويذكرنا هذا الضريح ، من حيث شكله الخارجي ، بالهيكل المعماري الذي عرفت به أضرحة العباسيين . وهو مبني بالقرميد ، وطلاؤه متآكل بعض الشيء خاصة عند أجزائه الدنيا . وهو أوسع من أضرحة العباسيين إذ يبلغ عرضه من الداخل سبعة أمتار ، وفي كل من جهاته باب ما عدا جهة القبلة وهي التي يشكل فيها المحراب نصف قبة مسدودة . وأبواب الضريح قائمة الزوايا ، تدعمها كمرات خشبية عند كل من فتحاتها العليا ، وتعتليها فوق ذلك أقواس تخفيف مبنية بالقرميد . وقد ضاعت معالم الجمال الزخرفي للجهة الشمالية الشرقية من الضريح إذ التصق بها مباشرة جامع صغير أقيم في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وكان بينه وبينها باب سد الآن بعد أن قامت لجنة حفظ الآثار بهدم الجامع المذكور فضلا عن بيت آخر كان يستند إلى الجهة الجنوبية من الضريح ، بحيث صار الآن - مرة اخرى - خالياً من كل الجهات . ويوجد على كل من جانبي النتوء الذي يشكله المحراب في الجهة الجنوبية الشرقية طاقة قليلة الغور من عقد فارسي . ويشكل حواف تلك الطاقات التي لا زالت في حالة جيدة حز مزدوج متعرج تنتصفه حشوة على شكل عقد فارسي (قارن بواجهة جامع الصالح طالاي) . ويوجد فوق تلك الحواف من جهة الداخل حليتان وسلطانيتان ، ومن جهة الخارج لوزنجتان على شكل هندسي زخرفي . أما الزوايا فمنحرفة في الجزء الأدنى ، وهي تنتهي في الشطر الأعلى بأربع طبقات ذات دلايات حجرية بارزة . ويرى من ناحية الجنوب الغربي فوق مدخل الضريح إطار مشابه من عقد فارسي على كل من جانبيه شبه طاقة صغيرة يحف بها بالمثل حز طويل على شكل عقد فارسي . ويوجد على الجانب أعلى الاطار الذي يتوج الباب الكبير للضريح وأشباه الطاقات الصغيرة لوزنجة وثلاث حليات سلطانية تمتد تباعاً من اليمين نحو اليسار .

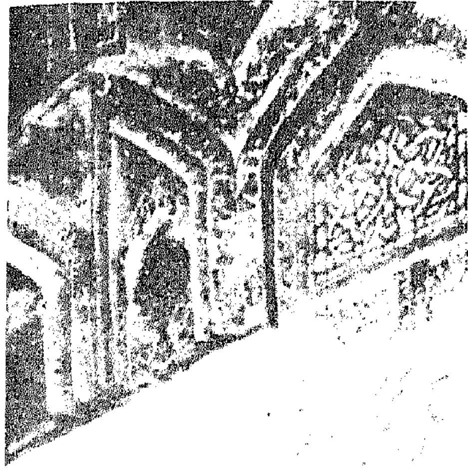
ولا زالت في أقصى اليسار طاقة خفيفة الغور يحف بها عقد فارسي بينما حافة إطارها الخارجي مفتتة . ويعلو هذا الجزء من الجدار الواجهة الشمالية الغربية بحوالي ستين سنتيمتراً .

وهو ما يرجح أن الأمر هنا يتعلق بالبقية الباقية من جانب ردهة مدخل تداعت ، وكان الهدف منها في الأصل بلوغ المدخل الرئيسي للضريح من ناحية الشمال الغربي . ويبدو أنه كان على يسار الطاقة الخفيفة الغور التي لم تبق بكاملها حتى اليوم ، حلية سلطانية ،

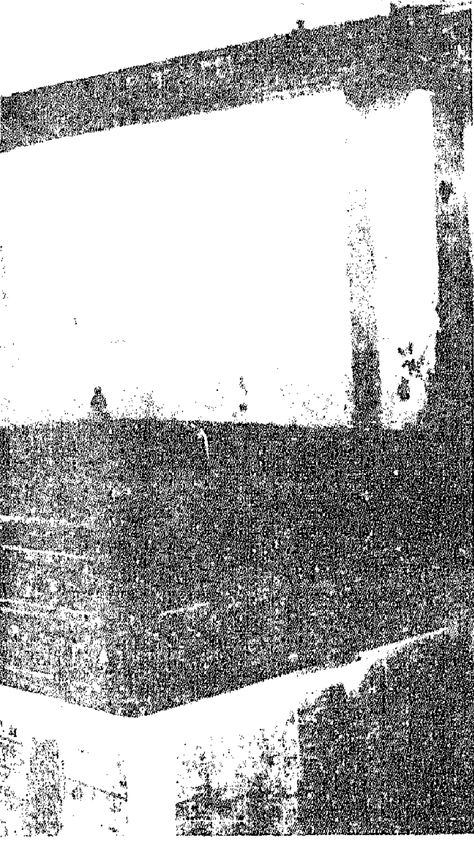
فشبه طاقة صغيرة ، ثم لوزنجة : هذا فيما إذا أخذنا بنظام المضاهاة كأساس لهذا الافتراض .

يصل بناء قبة الضريح عند زواياه سلمة منحرقة بميل . وقطاع القبة ذات الهيئة النادرة فارسي العقد في خطوطه الخارجية . ويبلغ ارتفاع القبة من أساس الضريح أربعة عشر متراً .

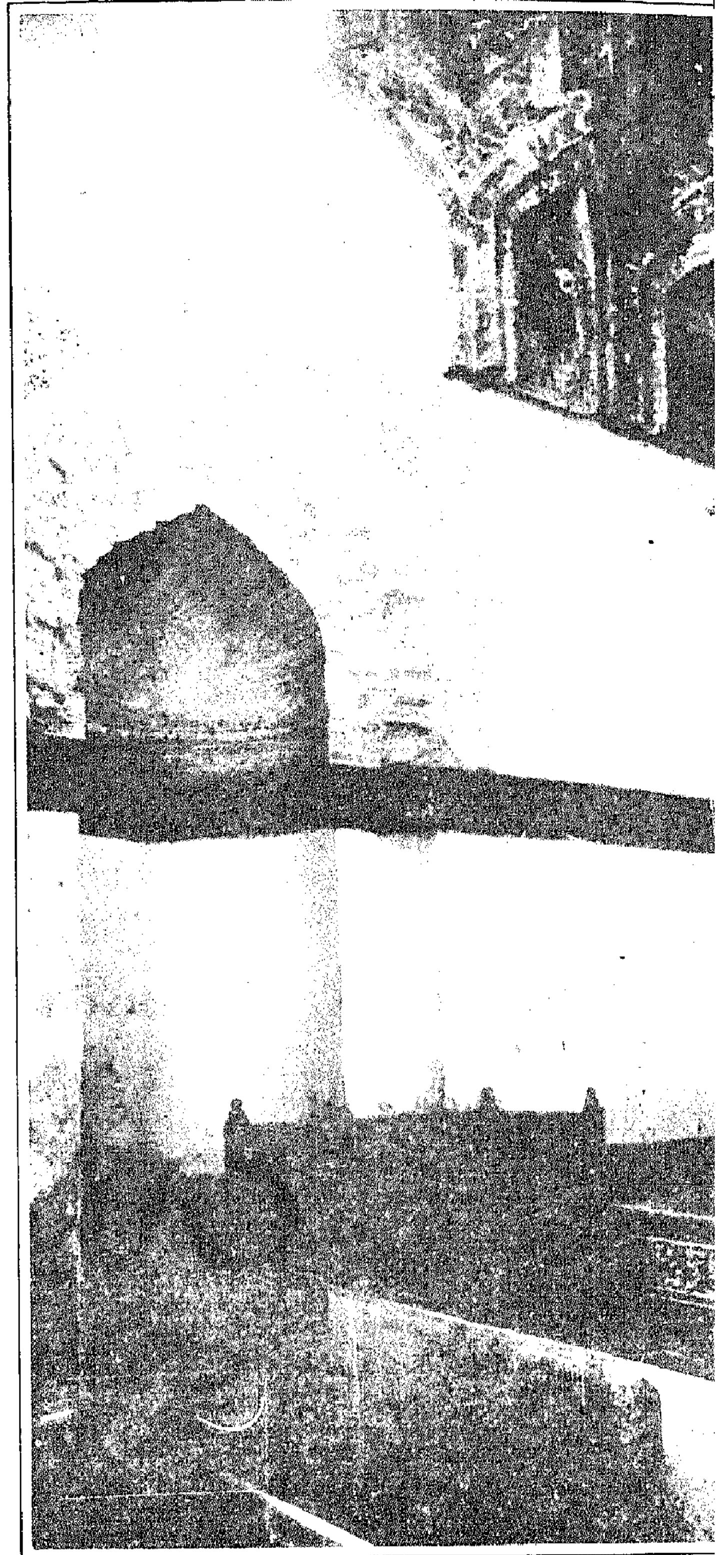
ويكسو كلاً من جدران الضريح من الداخل حشوة خشبية قائمة الزوايا يحيط بها إطار من الجبس مزدوج الخط أو بخطوط ثلاثة (كما هو الحال فوق المحراب) . وحواف تلك الحوائط الداخلية مزدانة بخطوط متعرجة ، أما منتصف تلك الجدران فمزخرف بعقود فارسية على نهج شبيه بما كانت عليه حشوة الجدار ، ومن ثم الطاقات ، في أضرحة العباسيين . وثلاثة من تلك الزخارف تشكل اطراً تحيط بمداخل الضريح ، أما الزخرف الرابع فيتخذ مكانه حول نصف القبة الخاصة بطاقة الصلاة (علماً بأن الطاقة الشمالية الشرقية قد رممت جزئياً) . وترتكز الأسطح المحاطة باطار فوق إفريز خشبي محفور فيه عبارات قرآنية بخط كوفي يدل بوضوح على أن مصدره هو العهد الفاطمي . ومع خلو هذا الافريز من كل تأريخ إلا أن « كريزويل » يرجح أنه قد أخذ عن القصر الغربي للفاطميين أو عن إحدى المنشآت المعمارية التي قامت في الفترة نفسها . وهذا الافريز مصاب بالتصدع في العديد من مواضعه كما أن به شقوقاً وفراغات : وقد قطع إلى اثني عشر جزءاً في الموضع الذي يدور فيه حول الطاقة بقصد تطويعه لها . ولم تزل عن هذا الافريز سوى من مدة قريبة طبقة من الملاط عليها خط نسخ مجسم . وفوق الزخارف المصيصية مباشرة يوجد إفريز آخر غطيت - فيما بعد - الكتابة الاصلية التي زينت عليه بموتيفات أوراق الشجر ، وهي التي تبرز في بعض مواضعه بخط نسخ مدهون بلون أبيض سميك . أما الدلايات الكلسية الخاصة بالبناء فموزعة على صفين كل منهما به ثلاث طاقات بينها نوافذ ذات فتحات ثلاث للضوء . وتخترق قاعدة القبة ثمان فتحات صغيرة ذات عقد فارسي . بينما اصطبغت الدلايات ببقايا زينة ملونة بأخضر باهت . وللمحراب أهمية خاصة ، إذ أنه يعد أقدم نموذج ، لا زال قائماً حتى اليوم ، يدلنا على استخدام الفسيفساء المذهبة المصنوعة من



ضريح شجرة الدر



الزجاج البيزنطي الأصلي في مصر . ولم يحتو من قبله على مثل هذه الفسيفساء سوى جامع عمرو بن العاص ، حسب الأنباء التي خلفها لنا الأسلاف ، غير ان بقاياها أبعدت على يد الحكيم في عام ٩٩٧ حين أمر آنذاك بزخرفة جدران الجامع بزينة جديدة . وقد ندر



استخدام هذه الفسيفساء فيما أتى بعد ذلك من عصور في مصر : فهي لا توجد إلا بمدرسة قلاوون (قبة المحراب النصفية) عام ٦٨٤هـ (١٢٨٥ م) وجامع ابن طولون (نصف القبة الخاصة بالمحراب ، شيدت عام (٦٩٦هـ - ١٢٩٦ م)، ومدرسة طايبارس ، سنة ٧٠٩هـ (٩ - ١٣١٠م) ، ومدرسة أقبغا ، ٣٤ - ٧٤٠هـ (٣٣ - ١٣٣٩م) ، وجامع ست مسكه ، ٧٤٠هـ (١٣٣٩م) .

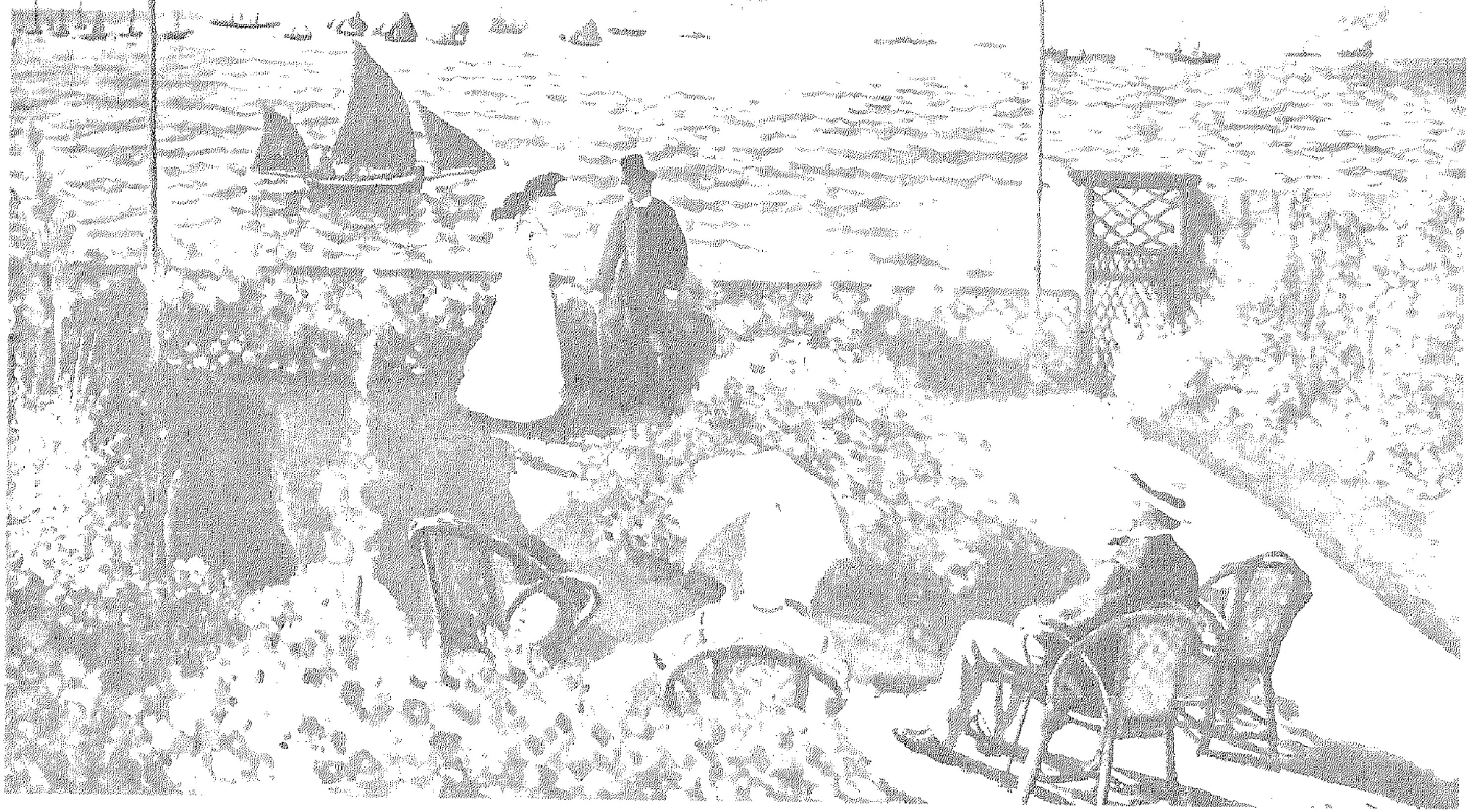
وتعرض زخارف الملاط المذكورة عاليه ، وهي التي تحيط بنصف القبة وبها كتابات بارزة من فوق الافريز الخشبي الفاطمي ، تعرض ترصيعاً لأشرطة متداخلة تتوسطها شجرة ذات فروع متشعبة ؛ غير أنه لا وجود هنا للاناء الذي غالباً ما يوجد في مثل هذه الموتيفات كي تنبثق عنه الشجرة . والخلفية مذهبة ، وفيما عدا ذلك نجد اللون الأخضر بارزاً ، وكذلك الأسود ، ثم يأتي الأحمر في مرتبة أقل وأخف منه ، أما ثمار الشجرة فيشير إليها در مرصع .

ويوجد في منتصف الضريح تابوت حديث العهد ، وعلى جوانبه ثبتت ألواح من الخشب الرخو عليها كتابة بخط النسخ بارزة ترجع على الأرجح إلى التابوت القديم . وتحتوي كتابات النسخ ذات الصفوف الثلاثة على آيات قرآنية فضلاً عن الحكمة القائلة : « أنت يا من تقف إلى جوار لحدي ، لا تعجب لحالي ، فقد كنت مثلك بالأمس ، وغداً ستكون أنت مثلي ، أي مستراح لطيف لمن أتى بالحسنات ... »

وتذكر كتب الأسلاف أن المدفون الذي لم يعن اسمه هنا ، هو « ابن هرون الرشيد » أي انه «سيدي محمد» . (ا . ف . ميرن AF. Mehren, Cahirah og Kerafat, 1870, 11,46 القاهرة والقرافة ، ١٨٧٠ ، الجزء الثاني ، ص ٤٦) . وهو يعد من خلفاء العباسيين في القرن الخامس عشر أو منتصف السادس عشر ، وهكذا انتهى به المطاف إلى الراحة الأخيرة في جوف هذا الضريح .

ومن بين أولئك الخلفاء الذين صار لهم بعد استيلاء المغول على بغداد في عام ١٢٦١م سيادة ظاهرية في القاهرة خليفتان يحمل كل منهما ذاك الاسم وإن لم يرد أي من اسميهما فوق لوحات القبور بضريح الخلفاء العباسيين (٨٠٨هـ = ١٤٠٦/٤م ، ومن ثم ٩٤٥هـ = ١٥٣٩/٣٨م) . وقد عثر أثناء عمليات الترميم على تابوت بسيط في طاقة الباب الشمالي الشرقي ، وقد سجل اسم السلطانة على غطائه بخط قصير مزركش .

■



على شرفة « الهافر » ١٨٦٦

كلود مونيه

الرسام الذي أنار الظلال

إعداد : مهى الحسيني

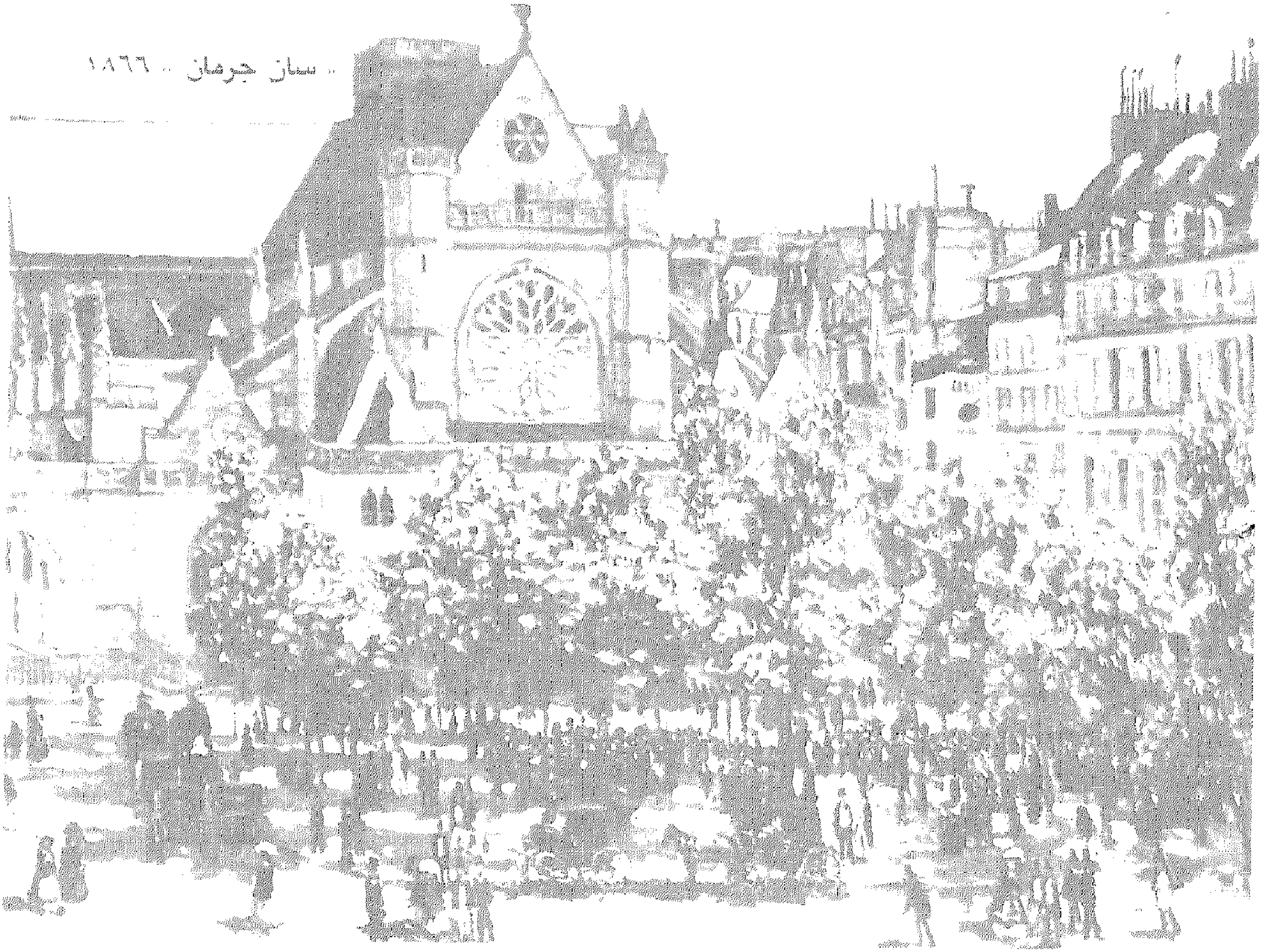


○ لو اكتفى كلـود مونيـه برسم « كاميـل ذات الثـوب الأخضر » و « النسـاء في الحديقـة » وبعض اللوحات الكبيرة الاخرى لكان يعتبر بين أهم الرومنطيقيين الفرنسيين .

ولو لم يكن إلا فنان الضوء المتلون في آلاف الوجوه الطبيعية لكان المؤسس الفذ للانطباعية .

ولو لم يترك لنا سوى المشاهد والوجوه في مختلف ميادين الطبيعة والعمران لكان بين معاصريه أكثرهم موهبة ولكان أحد أكبر الفنانين في العالم .

غير ان مونيه قد ذهب بعيداً .. غامر في سلوك طريق لم يسبقه إليه أحد من قبل ولا تبعه إليه أحد من بعد . وبسبب ذلك ، أصبح مؤسس هذه المدرسة في الرسم أعزل ووحيداً . إذ ذاك راح يعمل في جو يشبـه الجنون ، اعترف به في إحدى رسائله ، حين



«سان جرمان» ١٨٦٦

أراد إدراك ما لا يدرك والتعبير عما لا يعبر عنه .

لقد أقام لنفسه ، داخل أسوار حديقته في جفرني عالماً خاصاً كان فيه المهندس والجنائني والسيد والعبد ... وظل خلال خمس وعشرين سنة يراقب دونما انقطاع عالم الانعكاسات هذا : « عالم يرى فيه بطريقة معكوسة » .. وتشكل آخر مرحلة من إنتاجه الدستور الفني الذي اعتمده . لقد أوضح فيها كل حقول الرسم وتجلت فيها كل عبقريته وتحرره من كل تقليد ، واتجاهه نحو المجهول . هذا الذي كان يؤمن بالسحر ، أصبح مفكراً حلولياً وشاعر الانعتاق المطلق وفنان المرحلة المسماة نيلوفر .

لقد نسب إلى مونيه أنه كان رائد التجريد : لكننا نجد في فنه انعتاقاً واسعاً وآفاقاً شعرية جديدة يصبح من الخطأ معها ، الاكتفاء بمنطلق أعماله دون تتبعها الى نهايتها .

بدايات وأساتذة

ولد كلود اوسكار مونيه في باريس في ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٤٠ . وبعد خمس سنوات ، انتقل مع عائلته إلى الهافر وقد ظهرت عنده موهبة فنية مبكرة ، فدرس الرسم عند « أوشار » من سنة ١٨٥٦ إلى ١٨٥٨ . وقد شغف بادىء بدء بالرسم الكاريكاتوري وأحرز نجاحاً بارزاً في هذا المجال . لكن رسام الطبيعة اوجين بودان الذي يعتبر أول أساتذته ، رسخ عنده حب الطبيعة .

في سنة ١٥٨٩ ، عاد مونيه الى باريس ، وفيها قضى وقته في « الصالون » حيث تأثر برسام الطبيعة والحفار بماء الفضة شارل دوبينيه ، وأيضاً بالرسام غوستاف ترويون . لكنه لم يتابع الدراسة في الاكاديمية . وخلافاً لما نصح له الجميع به ، درس على طريقته الخاصة ، متردداً من وقت لآخر إلى محترف شارل جاك والاكاديمية السويسرية . حيث تعرف

إلى كاميل بيسارو وأصبحا صديقين . ولقد أغنت أعمال دولاكروا كما النقاشات التي كانت تحصل في مطعم « الشهداء » ، ثقافة مونيه وتجربته الفنية .

وفي خريف ١٨٦٠ ، طلب إلى الجندية وذهب إلى الجزائر ، من حيث لم يلبث أن عاد في سنة ١٨٦٢ بعد أن دفعت عائلته رسوم تحريره من الجندية .

في هذه الفترة تنقل مونيه في الهافر ورسم المشاهد الطبيعية في الجبل وعلى شاطئ البحر .

وفي خريف ذلك العام ، عاد إلى باريس ، والتحق بمحترف غلير ، الاستاذ في معهد الفنون الجميلة . وهناك تعرف إلى فريديريك بارزيل وبيار رونوار وألفرد سيزلي الذين ربطته بهم صداقة استمرت طوال حياته . وخلال عامي ١٨٦٣ و ١٨٦٤ تعرف إلى أعمال كل من الفنانين إدوار مانيه وغوستاف كوربيه . وعانى في هذه الفترة من الضائقة المادية ، فعائلته أوقفت المساعدة عنه منتقدة انقطاعه عن الدراسة الاكاديمية الجادة وانصرافه إلى عمل حر متنقل ، اذ ذاك اندفع يعمل لساعات طويلة في غابة فونتينبلو او على ضفاف السين أو في النورماندي ، وتولى أصدقاؤه تقديم المساعدة المادية له وخاصة الرسامين كوربيه وبارزيل .

في سنة ١٨٦٦ أحرزت لوحته « كاميل دونسيو » التي عرضها في « الصالون » نجاحاً لا بأس به . وفي هذه الفترة وضعت له كاميل التي لم يكن قد تزوجها بعد ، ولداً سماه جان . ومجدداً ، مر مونيه بوضع مادي صعب ، وتنقل كثيراً بين باريس والنورماندي هرباً من دائنيه أو في محاولة لبيع لوحة أو حصول على مساعدة صديق . ورغم كل ذلك ، تمكن من إنتاج لوحات جيدة .

وفي سنة ١٨٧٠ تزوج كاميل . وبعد اندلاع الحرب الفرنسية - البروسية ، قضى الرسام فترة في بلجيكا عاد بعدها إلى باريس وكان ذلك في نهاية ١٨٧١ .

لقد تخلص مونيه من حالة الفقر الشديد التي كانت قد دفعته إلى محاولة الانتحار ، لكنه بقي يعاني من صعوبات مادية كثيرة . وبالرغم من ذلك ، بقي يرسم بانتظام . وفي سنة ١٨٧٤ نظم مونيه مع اصدقائه رونوار وسيزلي وفيسارو وسازان وادغار دوغا وبرث موريزو أول معرض ضم لوحات هذه المجموعة من الرسامين . ودفع عنوان لوحة لمونيه : « إنطباع : طلوع الشمس » أحد الصحافيين الى إطلاق صفة « الانطباعية » على فئته ، ولم يكن ذلك يخلو من شيء من السخرية . وقد ذكرت صحيفة الفيغارو حينذاك ، ان أصحاب المعرض لم يستقبلوه بجدية ، رغم انهم تمكنوا من بيع عدد من لوحاتهم . ومن ثم تتالت المعارض : في سنة ١٨٧٦ ، ١٨٧٧ ، ١٨٧٩ ، ١٨٨٠ ، ١٨٨١ ، ١٨٨٢ ، لكن مونيه لم يشترك في بعض المعارض الأخيرة .

بعد ولادة طفله الثاني ، ميشال ، ساء الوضع الصحي ، لزوجته كاميل ، وما لبثت ان توفيت عام ١٨٧٩ . بعدها عاد مونيه إلى حياته الاولى يفتش عن « الانطباعات » . وتعتبر الأوقات التي قضاها في بواسي وفاراجوفيل ودياب وبورفيل وآتروتا من أفضل المراحل بالنسبة إليه . وبعدها استقر في جيفرني ، وكان ينتقل أحيانا إلى الوسط . وتحسن وضع مونيه المادي بشكل تام ، وعرض أعماله عند دوران - روال ، وفي غاليري جورج - بوتي وأحرز نجاحاً بارزاً .

في سنة ١٨٩٠ ، اشترى منزل جوفرني ، وبعد سنتين تزوج مدام هوشورا .

انهمك مونيه في إعداد حديقته المائية التي رسمها باستمرار . ولم يكن يهمه أبداً أن يعتبروه أعظم فنان فرنسي على قيد الحياة . لقد ازدرى مثل هذا النجاح الذي اكتسبه بمرارة وتعب . كما استخف بالمديح والأمجاد التي أولاه اياها الفنانون والكتاب والشخصيات السياسية وبالاخص صديقه جورج كليمنصو . ولقد بذل مونيه قصارى جهده لكي ينجح ويتخطى النتيجة التي وصل إليها . فلم يقلل مرض عينيه المؤلم من عزيمته على العمل . وأخيراً توفي في جيفرني في ٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٦ .

العين الانطباعية المتوغلة

ارتبط اسم كلود مونيه بشكل وثيق بمصير المدرسة الانطباعية وبتكوينها وتطورها وتعاليمها .

وبالواقع ، كانت الحركة الانطباعية خاتمة ظافرة للمرحلة الطبيعية في القرن التاسع عشر ، كما كانت مدخلا للعصر الحديث . لقد ساهم



□ « **الغداء على العشب** » □ (٤١٨ × ١٥٠سم) . باريس ، متحف اللوفر . تعتبر هذه اللوحة مرحلة أساسية بالنسبة للمدرسة الانطباعية .
ابتدأها في شايي سنة ١٨٦٥ ؛ وقد شغلته فترة طويلة ، إذ رسم عدة نماذج لها .

مونيه بشكل أساسي في خلق هذا المناخ الفني وهذا المفهوم الجديد في الرسم : اكتشاف وجه جديد للواقع ، وجه ندي « هوائي » ، مشع ، حيث تتألق الألوان ببريقها الحاد ، وحيث تكتسب الطبيعة نفحتها الحيوية وتهتز بفرح في هذا الجو المتبدل . وقد قال مونيه ذات يوم : « اني أرسم كما يغني العصفور » . إنه يؤكد على عفوية الخلق عنده ، وعلى طبيعية موهبته . بهذا الشكل قلب مونيه مفهوم الرسم الحديث ، وأحدث انقطاعاً واضحاً بين كل ما رسم قبله ، وما أتى بعده .

في الفترة التي سبقت مونيه ، كان الرسامون — حتى أكثرهم قرباً من الانطباعية — يلجأون إلى الظلال غير المتميزة في لوحاتهم : كانوا يقسمون لوحاتهم هذه إلى مناطق نور وظل يعبر عنها غالباً بشكل بقع . وكانوا يحددون المناخ والزمن بصلابة تجمد اللوحة . كما كان الضوء يكشف عن جمال الشكل الخارق .

أما في الفترة التي تلت مونيه ، فقد أصبحت الظلال نفسها ملونة ، وحدد اهتزاز الضوء الشكل وألف مادة الموضوع نفسها . وتصبح اللوحة عندئذ جزءاً من الطبيعة ، يحدد وحدتها الجو الذي يغمرها . وكان يجسد هذا الجزء من الطبيعة في حركتها بشكل ينتقل بصرياً الصفة المؤقتة للمظهر الذي يكون في لحظة ما ، مختلفاً عما كانه قبلا وعما سيصبح في اللحظة التي تليها .

بالمقابلة مع لوحات مونيه ، يلاحظ ان لوحات دولاكروا بألوانها القوية ، ولوحات كورد المتميزة بأمانتها الهادئة ، تبقى تحتفظ بروح المحترف ، بينما تشير لوحات مونيه الى براعة اكاديمية . أما لوحات مونيه ، فهي تنقل بشكل مباشر الانطباع العابر الذي يحس به الرسام لدى احتكاكه بالطبيعة ، وتمجد اللون الذي ينفجر على اللوحة إلى آلاف الفواصل السريعة ، كما انها تعظم الضوء الذي يغمر الرسم ، وتلون حتى الظلال . إنها رؤية جديدة للعالم .

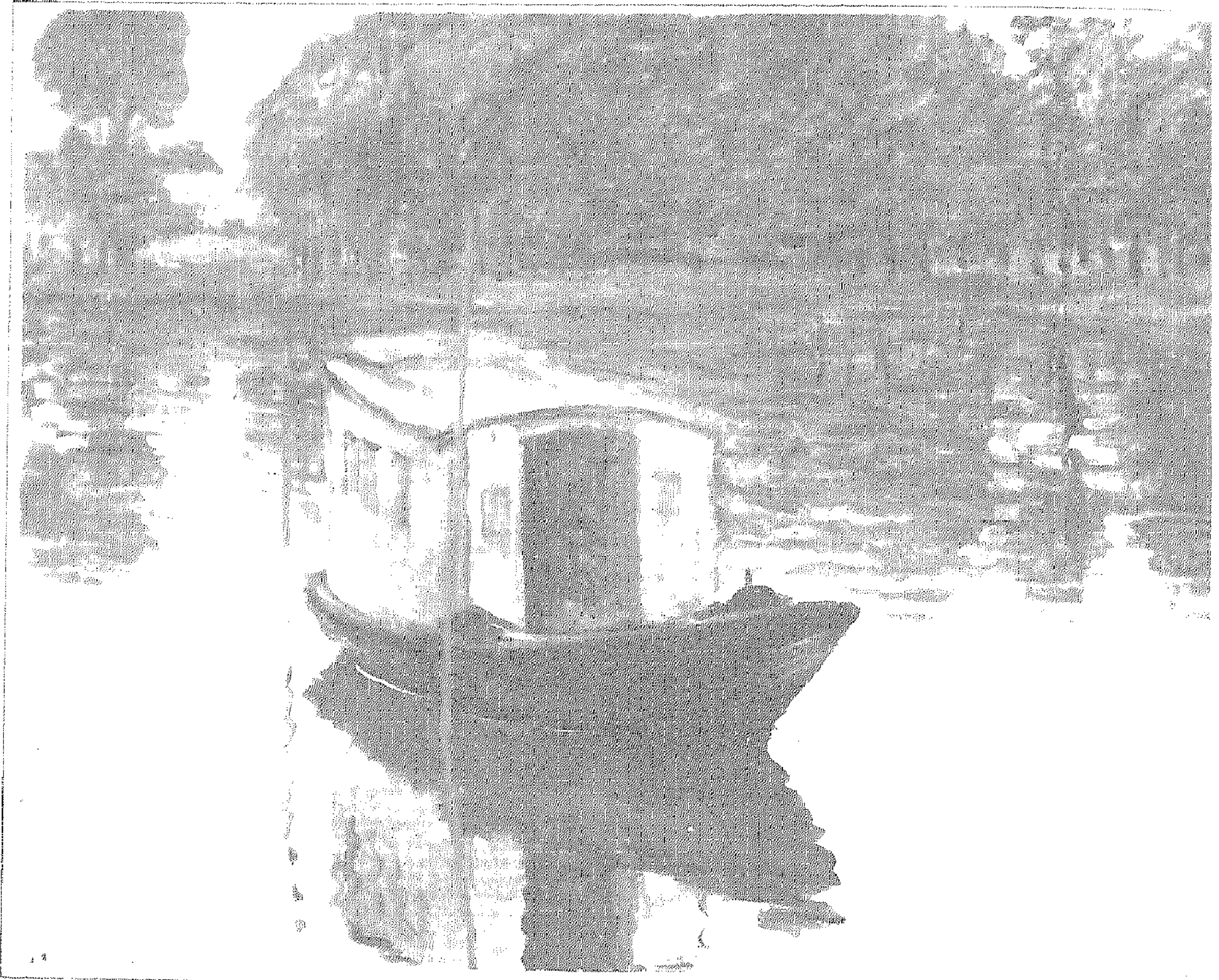
ولم يستطع الجمهور أولا أن يميز في هذه اللوحات سوى خطوط أولية بلا شكل محدد وذات ألوان اعتباطية . وقد وقف الرسامون حائرين أمام أسلوب يطرح على بساط البحث مبادئ تقليدية في هذه الحداثة . ولئن امتدح أفضل النقاد طراوة الانطباع ، اسفوا لأن تبقى اللوحة غير مستكملة في مرحلة الدفق الاول . لكن هنا يكمن بالذات ابتكار مونيه وقوة أسلوبه : هذا التدفق الأول يعطي الانطباع العفوي ، وينقل بأمانة المظاهر الخارجية بشكل غير مألوف بعد : فكل عنصر في اللوحة يعيش في صميم جوه المحيط به ، خلال تموجات الضوء المتحرك ، وكل لون يؤثر في الالوان الاخرى بجانبه : وإذا تمعنا جيداً ، يتضح لنا ان انعكاس الأوراق يغمر الألبسة والوجوه ، وان السماء تكون المياه التي تنعكس عليها . وفي مثل هذه الطبيعة تختفي الأجواء المألوفة ، وتكتسب الظلال أجواء عديدة متداخلة بنسب من الضوء تنسجم والأماكن التي يغمرها نور الشمس .

ولم يحلل أحد قبل مونه ، بهذا الشكل العلمي والدقيق هذه الظاهرة البصرية ، فلم يصور أحد قبلا النبات أو التجمع السكني الذي يصبح على مسافة ما ، كتلا مبهمة في « اغبرار » الجو . وهكذا امتنع مونيه عن رسم الأشياء بالشكل المألوف لدينا ، فلا يجسد منها إلا ما يلتقطه هو . ولكي يحقق هذا الهدف الذي لا يرتبط بأي برنامج مسبق ، وينبع من طبيعته وإحساسه ، اضطر الى أن يوجد تقنيات جديدة للرسم ، ذلك لأن اساليب الفن التقليدي باتت غير ملائمة . وهكذا فان عناصر الرسم وثنائيته النور — الظل ، ومنظورية الخط المستقيم (Perspective Lineaire) والأجسام والألوان لم تعد تفي بمتطلبات هذا الفن الجديد .

لذا فقد أوجد مونيه فناً قوامه بعض ضربات الريشة المقطعة ، وبعض اللمسات والفواصل المؤلفة من الألوان الصافية ، التي تنقل حركية الجو والفضاء المقطع بالاهتزازات الضوئية : فتصبح الأجسام تجسيداً مادياً للهواء والنور .

حساسية وغنائية

ولعل أكثر ما يتجلى فيه نبوغ مونيه ، المفهوم التالي : لقد أدرك بالحدس ، ضرورة استخدام التجربة الحسية والعقلانية لدى المشاهد كشرط للتقدم في مجال الفن : أي محاولة إشراك المشاهد مباشرة في قراءة وتفسير اللوحة . وفي كل نتاجه الفني ، كان مونيه

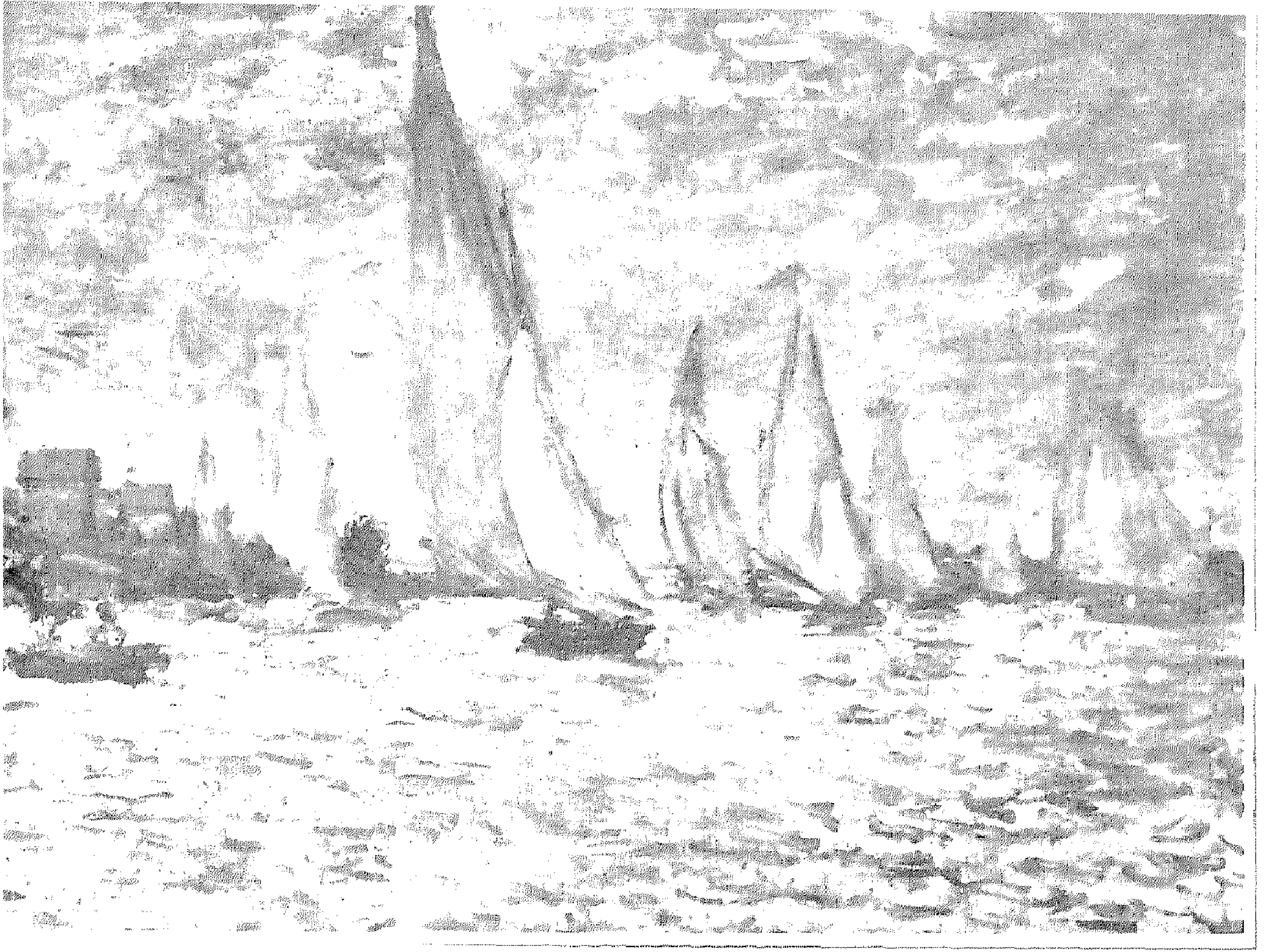


□ « المركب المحترف » □
(٥٠ × ٦٤سم) ، أوترلو (هولندا) ، Rijksmuseum Kroller - muller .
لقد عاش مونيه ورسم على هذا المركب ، مقيما على نهر السين لالتقاط المشاهد وتصويرها . إن الانعكاسات على المياه والاهتزازات الضوئية الكثيفة ، جعلت من هذا المحترف العائم مأوى مثاليا للانطباعيين .

يبحث دائماً عن تعميق تجربته بموضوع النور والوعي ، وعلى تقوية القدرة البصرية عند الذين تابعوا وتفهموا تجاربه الطويلة . ولكي يفرض هذه الطريقة الجديدة للرؤية ، كان عليه ان يناضل من أجل ذلك . ولكنه في نهاية القرن التاسع عشر ، لاقى التجاوب والدعم من قبل مجموعة من النقاد وهواة الفن ، مما شجعه على المضي قدماً في تطبيق مفاهيمه . ومنذ ذلك الحين ، تأكد مونيه من أن طريقة فنه الجديدة لم تكن مجرد تجربة غريبة وتافهة ، إنما اكتشافاً قيماً بحيث انه يزيد معرفة الآخرين للواقع .

ولقد أثار مونيه موجة من النقد الذي غالباً ما كان مجحفاً بحقه ، حين ركز اهتمامه على مسائل الرؤية وكيفية نقلها . فقد صوره النقاد مجرد عين ميكانيكية ، ومسجلا امينا يعتمد العلمية في نقل الانطباعات البصرية . هذا النوع من النقد يهمل موهبة مونيه وحساسيته المرهفة وغنائيته . وفي الواقع ، فقد اهتم مونيه أولا بتحقيق هذا الائتلاف الفطري بين النظر والعاطفة وبين ملاحظة الواقع وتلوينه بنوع من الغنائية في عملية التحويل الفني : هذا هو أساس وقاعدة المدرسة الانطباعية .

أما بالنسبة لكلمة « انطباع » التي تتردد دائماً عن مونيه ، فهي لا تعني مجرد ظاهرة بصرية وحسب ، وإنما تشمل أيضاً الانفعال الذي تثيره هذه الظاهرة عند الرسام ، فيتركز الاهتمام على هذا الانفعال دون إطاره التقليدي . وكان مونيه يعشق الهواء الطلق ونور الشمس والحياة الضاحكة الفرحة لدى الأشياء والأفراد . وهو يمجد هذا الحب بسعادة فطرية ، ويتحمس أمام جمال تأملته عيناه وعبرتا عنه .



المنطلق : الثورة على القيود الاكاديمية

ابتدأ مونيه حياته الفنية برسم الكاريكاتور . ثم حالفه الحظ وتعرف في الهافر على اوجين بودان الذي أقنعه أن يرسم في الطبيعة ، وعلمه إمكانية الرسم المباشر ، الذي لا تعترضه العقبات ، وجعله يحس جمال الطبيعة حين تتغير بفعل الضوء . وعرف كيف يقنعه بأن « كل ما يرسم مباشرة وينقل في اللحظة نفسها يتمتع بقوة ، وفاعلية وحيوية لا نجدها في الرسم الذي يتم في المحترف . » وقد حرص مونيه طيلة حياته الفنية على العمل بموجب هذا المفهوم .

وصل مونيه إلى باريس ، عاصمة أوروبا الفنية آنذاك ، بتشجيع من بودان ، سنة ١٨٥٩ . وكان اختياره الفني واضحاً . إنه ينتمي بدون اي شك إلى جماعة رسامي الطبيعة . وقد أحس انه يقترب من أسلوب دوبينيه أكثر من اسلوب كورو أو ترويون . ولم يهتم للنقد الذي كان يتعرض له دوبينيه حتى من قبل المدافعين عن رسم المشاهد الطبيعية . كما انه لم يأبه لما قاله الناقد تيوفيل غوتيه عن لوحات دوبينيه : « انها ليست سوى بقع متجاورة من الألوان » . ففي هذا الاتجاه بالضبط وجه مونيه اختياره .

وكان الرسام ترويون دائماً ينصح لمونيه بالتردد إلى محترفات الرسامين التقليديين ككلوتور مثلا . كما تعرض باستمرار لالحاح العائلة على أن يتتلمذ على يد « رسام رصين » .

لقد علم مونيه ، منذ البداية ، ان التعلم الاكاديمي يطفىء النور الطبيعي ويخمد حرارة الحياة ، وان التمارين كلها ، وخاصة رسم النور – الظل ، تشوه الانطباع المباشر الذي يشعر به الفنان لدى احتكاكه بالموضوع الخارجي . كل هذا كان يكفي ليرفض مونيه النظام المدرسي للفن الذي يتعارض وميوله . فقد كان هذا الرسام يكره كرهاً شديداً التعليم الاكاديمي الى حد انه فضل الذهاب الى الجزائر لتأدية الجندية كيلا يتابع هذا التعليم . إلا انه بعد عودته سنة ١٨٦٢ ، واظب على الاستماع الى المحاضرات التي كانت تلقى في محترف غلير .



« سباق الزوارق في أورجانتوي »
١٨٧٤ (٦٠ - ١٠٠سم) .
باريس ، متحف اللوفر .

الشمس ، الضوء ، اللون ، الفرح ، الحركة ، تلك هي العناصر الرائعة التي قدمها نهر السين للانطباعيين . ولم يكن أجدر من مونيه على جمعها بهذا القدر من الدقة والحساسية .

قبل وصوله الى باريس ، التقى مونيه الرسام الهولندي جوكينغ الذي شجعه ايضا على المضي في الاتجاه الذي اختاره .

بقع ألوان متجاورة

وخلال السنة التي اجبر على تمضيتها عند غلير ، لم يهتم أبداً بمتابعة المحاضرات ، إنما حاول كلما سنحت له الفرصة ، أن يرسم في الطبيعة . وغالباً ما كان يرافقه بعض التلامذة الى شايي ليرسموا غابة فونتينبلو . من هؤلاء بازيل ، رونوا ، سيزلي .

لقد كان مونيه الوحيد بينهم الذي يتمتع بتجربة الرسم في الهواء الطلق ، متأثراً بدروس بودان وجوكينغ . وهكذا يكون مونيه منذ ذلك التاريخ قد اضطلع بزعامة هذا الاتجاه الجديد والذي لا يزال في مرحلة التكوين .

كان رسامنا يتقدم بعناد ودون كلل . فكلما بلغ مرحلة عمل على تخطيها والمضي بعيداً في البحث المتقد ، عن عالم المظاهر ومشاكل تصويره . خلال ما يقارب السبعين سنة ، لم يعرف نشاط مونيه الخلاق سوى التقدم . فقد بقيت عيناه بالرغم من المرض ، تنبهران دائماً بمشهد الطبيعة الحية والضاحكة من خلال تغيرات الضوء ، وإنارة الشمس المتحركة ، هذه الشمس التي أرادها مخلوقاً صديقاً ، لأنه يطلعه على جمالات الحياة ، ويعمل على إحياء النبات والأزهار التي يعشقها الرسام .

في سنة ١٨٦٤ ، أصبح موضوع « بقع الألوان المتجاورة » مسيطراً عند مونيه ، خصوصاً في اللوحات التي رسمها على ضفاف السين وبعد عودته الى هونفلوز . غير أن تأثير كوربيه استمر ظاهراً في رحابة الجو المهيمن على اللوحة ، والتوزيع المدروس مسبقاً للأضواء والظلال ، فقلص من حساسيته تجاه تناغم الأضواء ، ودفعه في الاتجاه المتعارف عليه .

في سنة ١٨٦٥ ، بلغ مونيه مرحلة النضج . ففي اللوحة الكبيرة « الغداء على العشب » أعاد رسم موضوع الرسام مانيه نفسه ولكن بعد أن حرره من كل الآثار التقليدية وعالجه حسب تقنية اللمسة المجزأة التي تجسد بشكل أكثر صدقاً اهتزاز الضوء . وقد اكتسبت هذه اللوحة المرسومة مباشرة في الطبيعة ، تألقاً في اللمسة وإشراقاً في الألوان لم تعرف حتى عند مانيه وكوربيه . أما اليوم ، فلم يبق من هذه اللوحة الضخمة سوى قسمين (متحف اللوفر . مجموعة اكنيان ، باريس) ، ونسخة مطابقة مصغرة (موسكو ، متحف بوكين) بالاضافة الى دراسة عن القسم الأيسر من اللوحة (مجموعة مولينو ، باريس) .

أما بالنسبة للوحة الموجودة في الاتحاد السوفياتي ، والتي تحمل تاريخ عام ١٨٦٦ ، فهي تبدو مضيئة أكثر من القسمين الكبيرين . وقد تكون نموذجاً أولياً عن اللوحة الأصلية ، أو نسخة كان قد رسمها مونيه غيباً عن اللوحة الكبيرة ، التي اضطر لشطرها إلى قسمين والتخلي عن القسم الأيمن .

ولقد دشنت اللوحتان « الغداء على العشب » و « النساء في الحديقة » عصر الانطباعية .

التقاط حركة الطبيعة

اقتفى أصدقاء مونيه أثره ، متحمسين لاكتشافاته في مجال الفن ، مشاركين إياه

النجاح الذي ظفر به . وتأثراً به ، تخلى رونوار عن كوربيه وسيزلي عن كورو . ثم لم يلبث بيسارو أن تبعهم . وقد استفاد سيزان ايضاً من هذه المحاولات الفنية الجديدة ليتخطى مرحلته الرومنسية . وهكذا تألفت مجموعة الانطباعيين الذين كانوا ينطلقون على ضفاف السين للبحث عن المواضيع التي تتلاءم مع حساسيتهم ومزاجهم . فرسموا : باقات الزهر ، وأضواء النهار ، وانعكاسات النور فوق المياه ، وحفيف الورق ، والغيوم المسرعة ، والضباب والدخان ، أي تلك اللحظات الطبيعية الاثيرية العابرة ، التي أثبتوا في لوحاتهم إمكانية التقاطها بحيوية ومهارة .

وعمل الانطباعيون معاً من سنة ١٨٧٠ إلى ١٨٨٢ – ١٨٨٤ تقريباً . ومن ثم أخذ كل منهم يعمل على تعميق تجربته الشخصية .

أما مونيه ، المساهم الاول في وضع بواكير وأسس الاسلوب الفني الجديد ، فلم يشك انه هنا فقط تكمن الحقيقة ، هذه الحقيقة التي تتوافق مع مزاجه . لم تكن حياته الفنية سوى إدراك لهذه الطرق الجديدة في الرسم وإمكانية تطبيقها . في البداية ، لم تكن اللمسات الخفيفة والمتجاورة إلا في مناطق معينة من اللوحة ، وذلك حسب الموضوع .

أما بعد ذلك ، فراح يغطي كل اللوحة بهذه اللمسات ؛ ففي بعض الأمكنة من الرسم ، كالشواطئ النورماندية مثلاً ، لا يظهر الواقع سوى خفقات من الضوء . وهكذا يقذف مونيه من ريشته أعداداً كبيرة من الفواصل الصغيرة التي تضفي وجهاً موسيقياً على الانطباع البصري عنده ، وذلك خارج أي نوع من المنهجية . كان مونيه يحل مشكلة تصوير الضوء ، ليس عن طريقة تجميع مناطق من الألوان ، إنما بواسطة ضربات من ريشته تعطي تأثيراً عن الجمال المجهول للفن التصويري ، وعن الحيوية العضوية في المادة ، وهذان هما العنصران الأساسيان للصورة .

نهاية الانفعال الآني

لقد أذاب مونيه الشكل في هذا الاختلاج للمسات الخفيفة التي تظهر وكأنها معلقة في بحر من الضوء : وبذلك انتهى به الأمر إلى الابتعاد عن الطبيعة نفسها . وبسعيه وراء هدف يتعذر بلوغه ، وبتعلقه الشديد بتصوير النور ، فقد مونيه الاتصال بالأشياء ، وقلص إلى حد بعيد مجال الحركة .

تخلى مونيه عن تنقله الدائم في فرنسا سعياً وراء الانطباعات ، وانصب على ملاحظة موضوع معين تحت إضاءات متنوعة وخلال كل الفصول . ومن هنا ظهرت سلسلة لوحاته الشهيرة مثل لوحات « الحور » و « الرحى » (١٨٩١) . وتعتبر لوحة « كاتدرائيات روان » من أشهر هذه اللوحات (١٨٩٤) . ومع الوقت ، تأثر مونيه لفقدانه حيوية الصبا التي تتيح له التقاط آنية الانطباع ، وقد تألم أيضاً ، لعدم تمكنه من متابعة الشمس في رحلتها ، وعجزه عن إتمام أي لوحة واضطراره إلى إعادتها حتى يستطيع رؤية الأشياء بشكل دقيق . وبالفعل ، بدأ مونيه يغير طريقته في تصديه للواقع .

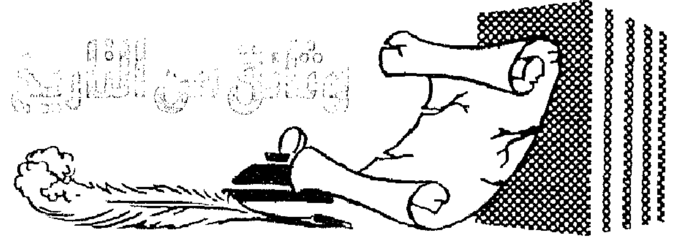
تحت تأثير المرحلة ما بعد الانطباعية التي تتميز بالرمزية وبالبحث عن معادلة بين الشكل والمضمون ، فسح مونيه مجالا أوسع لتدخل الخيال في التصوير .

وقد توقف ذلك التناغم الفطري بين العين والاحساس ، بين الأمانة للواقع وتحويله إلى نوع من الغنائية – وهذا عنصر أساسي للمدرسة الانطباعية لصالح المرحلة التي تلتها .

لقد أظهر هذا التطور ، ليس فقط في اللوحات المرسومة في لندن والبندقية ، لكن في المجموعة الكبيرة التي خصصها للحديقة المائية في جيفرني ، والتي شغلت الرسام طيلة العشرين السنة الأخيرة من حياته .

إن المياه التي نبعث فيها صورة الشجر وانعكاس السماء ، لا تعكس فقط حياة الطبيعة في صيرورتها الدائمة بما فيها من فرح وحزن ، إنما تتراءى فيها أيضاً نفس مونيه الجزلة والحزينة ، الملتهبة بالوجد والاكتئاب .

وبهذه الصفحات الرائعة التي تضج بالخيال وبالألوان ، تنتهي المسيرة المبدعة لصاحب جيفرني ، وتنطفىء نظرات ذلك الرائد الذي « جعل رؤيتنا للعالم أكثر توغلا فيه » ، كما قال كليمنصو



إعداد "قسم التوثيق والأبحاث"

اتفاق فرنسة وانكلترة على الحدود بين سورية ولبنان وفلسطين والعراق

على اثر مؤتمر سان ريمو الذي جرى فيه تقسيم البلاد المشرقية (العراق وسورية) ما بين الدولتين الاستعماريتين : بريطانيا وفرنسا ، اتفق مندوبا هاتين الدولتين وفق توصيات دولتيهما على وضع صيغ مفصلة لحدود أماكن السيطرة ، وذلك على قاعدة المصالح الاقتصادية والاستراتيجية لدولتي الانتداب . وفيما يلي ننشر وثيقة وضع الحدود ما بين المناطق التي وضعت تحت السيطرة الاجنبية ، والتي اصبحت دولا قائمة بذاتها ، للتذكير بوحدة هذه المناطق تاريخياً وجغرافياً وسياسياً ، وللتذكير مرة اخرى أن الاستعمار هو الذي افتعل هذه « الحدود » التي أصبحت حواجز فعلية أمام حركة التوحيد القومي العربي .

■ أنابت الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوية الوزيرين المفوضين اسميهما أدناه ليحلا جميع الامور التي لها علاقة بالانتداب الذي منح لبريطانية العظمى على فلسطين والعراق ولفرنسة على سورية ولبنان في المجلس الأعلى الذي اجتمع في سان ريمو ، وقد اتفقا على الشروط الآتية :

١ – تعينت حدود المناطق التي شملها الانتداب الفرنسوي ، أي سورية ولبنان وحدود المناطق التي شملها الانتداب البريطاني ، أي فلسطين والعراق كما يلي :

من الشرق نهر الفرات وجزيرة ابن عمر إلى ولايتي ديار بكر والموصل القديمة ، ومن الجنوب الشرقي حدود هاتين الولايتين القديمة إلى غاية رومالين كوى ومن هنا خط يمتد من المنطقة التي يشملها الانتداب الفرنسوي فيترك فيها جميع الاراضي الواقعة في حوض نهر الخابور الغربي ويمر باستقامة نحو الفرات فيجتازه بالبوكمال ويمتد باستقامة الى أمتار فجنوب جبل الدروز ، ومن هنا يمتد الى جنوب نصيب الواقعة على خط حديد الحجاز ، فسمخ الواقعة على بحيرة طبرية سائراً إلى جنوب خط السكة الحديدية وموازياً له . وتبقى درعا وما حولها في المنطقة التي يشملها الانتداب الفرنسوي ويبقى ذلك الخط في وادي اليرموك ضمن المنطقة الفرنسوية ويسير بصورة ملاصقة وموازية لخط السكة الحديدية كي يصبح في الامكان أن يمد في وادي اليرموك سكة حديدية واقعة في الاراضي المشمولة بالانتداب البريطاني وستوضع التخوم في سمخ بصورة يمكن معها

للفريقين المتعاقدين ألساميين أن يبنيا مرفأ ومحطة للسكة الحديدية ليتمكنا من استعمال بحيرة طبرية بحرياً .

ومن الغرب يسير الخط ماراً داخل بحيرة طبرية فأول وادي المسودية حيث يسير مع مجرى هذا النهر في وادي جرابا ، وإلى نبعه ومن هنا يتصل بطريق القنيطرة وبانياس بالمكان المعروف بالسكيك فيسير مع الطريق التي تبقى في المنطقة الفرنسوية لغاية بانياس ومن هنا يسير نحو الغرب حتى يصل الى المطلة وتبقى المطلة في المنطقة البريطانية .

وستوضع لهذا الجزء من الحدود تفصيلات دقيقة يمكن معها تسهيل المواصلات بين جميع أطراف البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسوي كصور وصيدا والمناطق الواقعة إلى الغرب وإلى الشرق من بانياس .

وتفصل التخوم بالمطلة بمفرق الماء في وادي الاردن وحوض نهر الليطاني ، وتسير جنوباً مع وادي الاردن فوادي فرعم ووادي كركرة اللذين يبقيان في المنطقة البريطانية فوادي البلاونة ، ووادي العيون والزرقاء التي تبقى في المنطقة الفرنسوية ويصل الحد الى شاطئ البحر المتوسط في ميناء رأس الناقورة وتظل في المنطقة الفرنسوية .

٢ – تؤلف بعد التوقيع على هذه المعاهدة بثلاثة اشهر بعثة لتدرس الحدود بين المناطق المشمولة بالانتداب البريطاني التي بيناها في المادة الاولى وتتألف هذه البعثة من أربعة أعضاء تعين الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوية اثنين منهم ، وتعين الاثنين الآخرين الحكومة المحلية المشمولة بالانتداب الفرنسوي والحكومة المحلية المشمولة بالانتداب البريطاني بعد مشورة الحكومتين المنتدبتين .

وإذا وقع خلاف بين أعضاء هذه البعثة يعرض على مجلس جمعية الامم ويكون قراره قطعياً .

وتقدم تقارير البعثة النهائية عن الحدود الثانية التي عينت أخيراً وتربط معها المصورات الضرورية الموقع عليها من قبل أعضاء البعثة ، وتوضع ثلاث نسخ من هذه التقارير والمصورات ، تحفظ النسخة الواحدة بين سجلات مجلس جمعية الامم ، وتحفظ النسختين الاخريين الحكومتان المنتدبتان .

٣ – توافق الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوية على ترشيح لجنة خاصة مهمتها درس الخطط التمهيدية التي تعينها الحكومة الفرنسوية المنتدبة لأجل مصلحة الري في البلاد المشمولة بانتدابها لئلا يقلل إبرازها لحيز الفعل ماء دجلة والفرات في الموضع الذي يدخلان به المنطقة العراقية المشمولة بالانتداب البريطاني .

٤ – توافق الحكومة البريطانية بالنظر إلى مكانة جزيرة قبرص من الوجهة الجغرافية والعسكرية بالنسبة الى خليج الاسكندرونة على ان لا تفاوض أحداً بخصوص التنازل عنها ، أو تسليمه اياها قبلما توافق فرنسة على ذلك .

٥ – أ : توافق الحكومة الفرنسوية على وضع ترتيب حر يبين كيفية استعمال خط السكك الحديدية الواقع بين طبرية ونصيب استعمالا مشتركا .

تضمن سير هذا الترتيب وانتظامه إدارتا السكك الحديدية المؤلفتان في منطقتي الانتداب البريطاني والفرنسوي بأسرع ما يمكن ، أي بعد تنفيذ الانتداب على سورية وفلسطين ، وتسمح هذه الاتفاقية بصورة خاصة لادارة السكة الحديدية البريطانية أن تسير قطاراتها ذهابا وإياباً بين هاتين المنطقتين وفقاً لمصالحها ، وتنقل البضائع التجارية إلى المنطقة المشمولة بالانتداب الفرنسوي بواسطتها ، وتعين هذه الاتفاقية الشروط المالية والادارية والفنية اللازمة لسير القطارات ، أما إذا لم يتم الاتفاق خلال ثلاثة اشهر من تنفيذ الانتداب بين الادارتين المذكورتين أعلاه فستعين جمعية الامم حكما يفصل الخلاف ، وعندئذ تنفذ شروط هذه الاتفاقية التي حازت رضا الطرفين .

يعمل بموجب هذه الاتفاقية إلى أجل غير مسمى ، وتصحح أحيانا بمقتضى الأحوال .

ب : يمكن للحكومة البريطانية أن تمد خطاً من الأنابيب الحديدية بجانب السكة الحديدية ، ولها الحق في نقل جنودها على هذه السكة الحديدية دائماً .

ج : توافق الحكومة الفرنسوية على تعيين بعثة خاصة تدرس الاراضي ، وبعد درسها إياها تعين الحدود في وادي اليرموك بطريقة فنية ، يمكن معها بناء الخط الحديدي البريطاني وخط الأنابيب الموصل بين فلسطين وبين سكة الحجاز ووادي الفرات في المنطقة المشمولة بالانتداب البريطاني وتبقى السكة الحديدية الحالية المارة بوادي اليرموك داخل الأراضي

المشمولة بالانتداب الفرنسوي ، ويجب على بريطانية العظمى إحقاق حقها في مدة لا تتجاوز عشر سنوات .

د : تتألف البعثة التي ذكرناها أعلاه من عضو بريطاني وعضو فرنسوي يضاف إليهما نواب عن الحكومات المحلية بصفة مستشارين فنيين هذا وإن رأت الحكومة البريطانية ، والحكومة الفرنسوية لزوما لذلك .

هـ - إذا اقتضى الأمر لأسباب فنية أن يمر خط السكة الحديدية البريطانية ببعض الأماكن المشمولة بالانتداب الفرنسوي ، توافق الحكومة الفرنسوية على مرور هذا الخط بتلك المناطق ، وتقدم للحكومة البريطانية أو لعملائها المساعدات اللازمة .

و : إذا شاءت الحكومة البريطانية العمل بموجب الحق الممنوح لها بالفقرة الثالثة من هذه المادة أي أن تمد سكة حديدية في وادي اليرموك تنفذ الحكومة الفرنسوية الشروط التي اشترطتها على نفسها بالفقرة الاولى والثانية من هذه المادة غب مرور ثلاثة أشهر من إنشاء السكة .

ز : توافق الحكومة الفرنسوية على اتخاذ التدابير الفعالة لحمل الحكومات المحلية المشمولة بالانتداب الفرنسوي لتصادق على هذه الحقوق الممنوحة للحكومة البريطانية .

٦ - تم الاتفاق على هذه الشروط التي تسهل أعمال الحكومة البريطانية مقابل عقد الاتفاقية الفرنسوية - البريطانية بخصوص الزيت في سان ريمو .

٧ - لا تضع الحكومة البريطانية ولا الحكومة الفرنسوية موانع في منطقتي انتدابها لجميع الموظفين اللازمين لادارة خط السكة الحجازية أو لاستخدامه .

تمنح جميع التسهيلات الضرورية لمرور جميع المستخدمين في الخط الحديدي الحجازي في منطقتي الانتداب البريطاني والفرنسوي لئلا تتأخر أعمال هذا الخط .

توافق الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوية عند اللزوم على أن تعقد اتفاقية مع الحكومات المحلية خلاصتها استثناء جميع مهمات هذا الخط ومعداته من الرسوم الجمركية عندما تمر باحدى مناطق الانتداب .

٨ - يعين خبراء واختصاصيون من قبل حكومة سورية وفلسطين غب مرور ستة أشهر من امضاء هذه المعاهدة ، مهمتهم فحص أحوال مياه نهر الاردن الأعلى ونهر اليرموك وتوابعهما لاستخدامها لأجل الري ، ولأجل توليد الكهرباء ، وتعيين المقدار اللازم للأراضي الواقعة تحت الانتداب الفرنسوي .

تزود الحكومة الفرنسوية الاخصائيين الذين تعينهم لدرس هذا المشروع بالتعليمات اللازمة لمنح فلسطين الماء الزائد خدمة لمنافعها العامة .

إذا لم يحصل الاتفاق بنهاية هذا الدرس تعرض المسألة على الحكومتين البريطانية والفرنسية لتدرساها وتقررا فيها قراراً نهائياً .

تشترك إدارة فلسطين بقدر انتفاعها من هذه الأعمال في دفع نفقات بناء الترع والخلجان والسدود والخزانات والأحواض والأقبية ، وخطوط الأنابيب الحديدية ، الخ .

وتشترك في جميع الأعمال التي من شأنها إنبات الحراج وتنشيط تربتها .

٩ - توافق الحكومتان البريطانية والفرنسوية عملا بنص المادة « ١٥ » والمادة « ١٦ » من نظام الانتداب الفلسطيني ، وعملا بنص المادة « ٨ » والمادة « ١٠ » من نظام الانتداب العراقي ، وعملا بنص المادة « ٨ » من نظام الانتداب اللبناني - السوري . وعملا أيضا بموجب الحق العام المعطى من قبل الحكومات الوطنية للمدارس المحلية بخصوص التربية والتعليم على السماح للمدارس التي تخص اناسا من التبعة الفرنسوية ، أو من التبعة البريطانية على المثابرة في إدارة هذه المدارس في منطقتي انتدابهما . ويسمح بتعليم اللغة الفرنسوية واللغة الانكليزية في هذه المدارس .

لا تعني هذه المادة بحال من الأحوال منح رعايا إحدى الدولتين المشار إليهما حق فتح مدارس جديدة في الوقت الحاضر في منطقة انتداب الدولة الاخرى .

٢٣ كانون اول (ديسمبر) سنة ١٩٢٠

هاردنخ   ج . بيج ■

المرجع   كتاب الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب اصدرته جريدة الأيام لا ت.

المسلات المصرية الفرعونية

احمد غسان سبانو
محامي . مجاز في الحقوق والتاريخ .



احدى مسلات روما



المسلة كلمة تعني ابرة الخياطة الكبيرة واطلقت على المسلات المصرية للتشابه بينهما بالشكل . وهي تقابل الكلمة اليونانية « Obelisk » المشتقة من « Obelos » اي الخنجر لتشابه المسلة المصرية بالشكل مع الخنجر باعمدتها المنتهية بحافة مدببة . والمسلة قاعدة مربعة الشكل تنتهي بطرف هرمي وهي نوع من الأعمدة المصرية التي قدت من صخر صلب اسمه السينيت « Syenite » وسمي هكذا لكونه يستخرج من كهوف سينيت « حاليا اسوان » وهو نوع من الغرانيت الضارب الى الحمرة . وقد تستخرج من البازلت الرمادي اللون .

ويبلغ ارتفاع المسلة عادة عشرة امثال محيط القاعدة وكان يغلف طرف المسلة الاعلى المدبب بالذهب او الفضة مما يجعل اشعة الشمس تنعكس بصورة باهرة ، مما يسهل رؤيتها من مسافة بعيدة ، وكانت تقام المسلات لغرض العبادة وشكرا للآلهة « وعلى الأخص آلهة الشمس » وتقام امام المعابد على طرفي باب المعبد . ويكتب عليها بالحروف الهيروغليفية نقوشا تخلد ذكرى ملك او حرب .

وقد نشأت فكرة المسلة غالبا من هيليوبوليس ايام الاسرة الخامسة . ومنذ الاسرة الثانية عشرة ، اخذ المصريون يقيمونها على باب المعبد تعبيرا عن شكرهم للآلهة حين الاحتفال بذكرى بلوغهم العرش ومرور ثلاثين عاما على ذلك ، وقد نشط اقامة المسلات ايام الدولة الحديثة .

كيف تقطع المسلة :

استطاع علماء الآثار معرفة طريقة صنع المسلة من مسلة هائلة الضخامة وجدت في خندق باسوان وقد قطع ثلاث من اطرافها وبقي الطرف الرابع ، الا انه قد ظهر في حينها عدة شروخ في الصخر مما جعل المسؤولين عن قطعها يوقفون العمل بها .

اذ من الشروط الاساسية عدم وجود شروخ او تفتتات في الصخرة المطلوبة . وكانت تستخرج المسلة من الصخر بطريقة صب المياه عليه بقوة وبعد ذلك ينعم وجه الصخرة (المسلة) حتى يصبح املس مستويا وذلك بواسطة احجار صلبة وزنها يتراوح بين ٩ و١٠ أرطال بعد ذلك يحدد الشكل العام للمسلة على الأرض ثم يشق خندق حول اطرافها ويجرى العمل داخله في تسوية الاطراف . اما الطرف الأسفل من المسلة فكان يقلع بواسطة فتح ثغرات في المسلة عمودية على طولها بفترات متساوية . ويوضع اخشاب داخل هذه الثغرات ثم تشبع تلك الأخشاب بالمياه ونتيجة تمدد الخشب من الماء كان الصخر يتفتت مما يحرر السطح الرابع وتجرى تسويته بعد رفع المسلة بواسطة عبيد يبلغ عددهم حوالي ٥٠٠٠ شخص وذلك بواسطة الحبال والروافع ثم تنقل المسلة الى الزحافات التي تستند على ألواح خشبية تستند بدورها على عجلات .

وان المسلة المتروكة في اسوان كان طولها مائة وسبعة وثلاثين قدما ووزنها الف ومائة طن .

كيف تنقل المسلة :

كان المهندسون المصريون ينقلون المسلات التي يبلغ وزنها ما يزيد عن خمسمائة طن بواسطة زحافات توضع عليها المسلة ، وتبقى الزحافات منذ رفع المسلة من محاجرها وحتى تركيبها مع مسافة النقل البحري وقد نقلت مسلتا حتشبسوت مسافة مائة وخمسين ميلا وذلك من محاجر اسوان الى طيبه في معبد الكرنك .

ويوضح رسم مصري قديم كيف يتم نقل مسلتي حتشبسوت عبر النيل اذ نقلت المسلتين على سفينة نيلية طولها ٣٠٠ قدم وطول كل مسلة ٩٧,٥ قدما ووزنهما ٧٠٠ طن ووضعت المسلتان في السفينة بحيث تتلامس القاعدتان وكان يجر السفينة ثلاثون زورقا وفي كل زورق اثنان وثلاثون بحارا يستخدمون المجاذيف وبذلك فقد لزم لنقل سفينة المسلات ٩٦٠ بحارا عدا المهندسين المشرفين .

كيف تركب المسلة :

وهي المشكلة الاكثر صعوبة وهي نهاية المطاف وميزان نجاح العملية بالكامل او فشلها والصعوبة ناتجة عن الوزن الثقيل للمسلة (٥٠٠ طن وسطيا) والطول الكبير نسبيا الذي يعادل بناء عصريا بارتفاع خمسة طوابق على الأقل .

وكانت العملية تتم بعد تركيب القاعدة التي ستركب عليها المسلة والمقطوعة بشكل مستقل ولكن من حجر المسلة نفسه ويقطع احد سطوح هذه القاعدة وهو الذي ستركب فوقه المسلة بشكل يكون اعرض من قاعدة المسلة وله فرضة بشكل شق طولي تستند عليه قاعدة المسلة فيمنع حركتها او انزلاقها .

واثناء رفع المسلة لتستقيم في موضعها كان يوضع تحتها اكياس من الرمل لتستند المسلة عليها وكلما ازداد ارتفاع المسلة عموديا على قاعدتها ازدادت الاكياس الحامية لها ارتفاعا تحتها لرفعها ويتم ذلك حتى تصل المسلة لوضعها العمودي تماما .

ما تعنيه المسلة :

يرتبط انتشار المسلة بانتشار عبادة الشمس في مصر اذ كانت المسلة تقدم لاله الشمس لدى قدماء المصريين وهو يعتبر من أهم ألهتهم وأقدمها ويطلقون عليه اسم (رع) واقدم مركز لعبادته مدينة « آمون » و « هليوبوليس » و « عين شمس » وهو بمعتقدهم الذي خلق نفسه وخلق الكون كله .

فالشمس في ولادتها صباحا تعني الحياة ويتخيلونها طفلا ويطلقون عليها اسم « طبري » ثم تستقيم في كبد النهار فيخالونها قد رشدت ويسمونها « رع » وهي تبهرهم عند المساء فيشبهونها بشيخ وقور ويسمونها « آتوم » .

وقد مثلت الشمس عندهم النور والظلمة الحياة والموت ولذلك رمزوا للحياة بالمسلة التي تشع نورا عند طرفها العلوي الذي يشكل هرما صغيرا واشعاعه ناتج عن ان الفراعنة كانوا يدهنون الهرم العلوي برقائق الذهب والفضة ، فاذا ما انعكست نور الشمس عليها صباحا او مساء بدت تشع كالنور ونظرا لطول المسلة فهي تشبه الشمس في اطلالتها من عال تراقب كل شيء . اما الموت فيتمثل بالظلمة ويمثل بالهرم وهو رمز الموت والظلمة والحياة السفلى .

المسلات المصرية ومناطق وجودها :

لقد اقام الفراعنة عددا كبيرا من المسلات في مصر لكن فقد الكثير منها نتيجة الزلازل والنقل . ودليل على ذلك انه من بين الثلاث عشرة مسلة كانت قائمة في الكرنك في الأقصر لم يبق منها سوى ثلاث فقط . كما ان هناك مركزاً اخر للمسلات في مصر هو مدينة هليوبوليس (اي مدينة الشمس) .

واهم المسلات الموجودة في مصر حاليا :

١ - مسلة هليوبوليس :

وقد وضعت في ضواحي هليوبوليس « مدينة الشمس » قرب القاهرة حاليا في ضاحية تسمى « المطرية » وهي اقدم مسلة معروفة من نوعها . ويعود تاريخها لحكم الفرعون سيسوستـرس الأول (١٩٧١ - ١٩٢٨ ق.م.) من الاسرة الثانية عشرة . وقد اقامها مع مسلة شقيقة لها (مفقودة) امام معبد ابيه بمناسبة احتفاله بالعيد الثلاثين لجلوسه على العرش وتعتبر اقدم مسلة طويلة نحتت في تاريخ العمارة المصرية .

ويطلق على هذه المسلة منذ القديم اسم (بثين) بالهيروغليفية ويعني (المشعه) .

٢ - مسلة الأقصر :

وهي مشهورة بنقوشها الهيروغليفية الجميلة وقد شيدها رمسيس الثاني في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وقد كانت قائمة امام معبد الأقصر الى جانب مسلة مطابقة لها هي الآن في باريز .

طول مسلة الأقصر ٣٥ م .

٣ - كذلك يوجد مسلتان في معبد الاقصر ايضا اقامهما تحوتمس الاول متجاورتين ومزينتين بالنقوش الهيروغليفية الجميلة .

ان هذه المسلات الثلاث الباقيات انما وجدت من اصل ثلاث عشرة مسلة اقيمت في الأقصر .

ان هذه المسلات الثلاث الباقية هي من المسلات القليلة التي نجت من تدمير الهكسوس الذين لم يتركوا اثراً يذكر بعد احتلالهم مصر .

٤ - مسلة اسوان :

وهي مسلة تركت مكانها قبل ان يكتمل اقتطاعها من اصل صخرها وهذه المسلة قد اعطت للباحثين فكرة عن كيفية صنع المسلات .

تعتبر هذه المسلة اكبر واضخم مسلة اذ يبلغ وزنها لو اكتمل قطعها ١١٦٨ طنا وارتفاعها ٣٩ مترا . ويبدو ان اهمالها وعدم اتمامها انما يعودان لظهور تشقق في اساس صخرتها .

٥ - وهناك مسلة اخرى في « صا الحجر » في منطقة الدلتا .



الفاتيكان : مسلة في ساحة سانت بطرس

مسلة باريز : في ميدان الكونكورد :

وقد اخذت من مدينة الأقصر ونقلت الى مكانها الحالي بمعرفة المهندس البحري (ليبا) عام ١٨٣٦ م . وقد اقامها رمسيس الثاني في القرن الثالث عشر قبل الميلاد حوالي عام ١٢٥٠ م بطول ٣٥ م ووزن ٢٢٧ طنا وهي المسلة التوأم للمسلة الثانية الموجودة في الأقصر امام معبد الاقصر .

ويوجد في فرنسا ايضا ثلاث مسلات اخرى احداها في (فونتين بلو) والثانية في غابة (فنسين) والاخيرة في مدينة (آرل) .

مسلتا لندن ونيويورك وتشتهران باسم « ابرة كليوباترة »

وهما مسلتان توأمان اقيمتا اولا في هليوبوليس وقد اقامهما تحتمس الثالث (١٥٠١ - ١٤٤٨) ق . م . تيمنا بالآله « رع » بين عامي ١٤٩٠ و ١٤٣٦ ق .م . ثم نقلهما الرومان حوالي عام (١٢ - ١٣ ق .م) الى الاسكندرية بأمر من الامبراطور اوغوست وقد راهما المؤرخ العربي عبد اللطيف البغدادي قائمتين ووصفهما وذلك في النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادي ، بينما رأى بيير بيلون (١٥١٧ - ١٥٦٤) م مسلة واحدة اثناء زيارته للاسكندرية في منتصف القرن السادس عشر .

فكانت الاخرى قد سقطت وغطيت بأكوام الرمل والتراب المحيطة بها وساعد هذا في حفظها وقد بقيت سليمة .

وقد اهداها محمد علي بك الى الملك جورج الرابع ملك بريطانيا عام ١٨١٩ فاخذت الى لندن واقيمت على ضفة التيمز عام ١٨٧٨ م امام جسر واترلو بعد ان تركت تلك الفترة الطويلة وقد تحمل تكاليف نقلها السير ارازموس ولسون .

واثناء نقلها تعرضت في الطريق الى الضياع اثناء عاصفة في خليج بسكاي .

وعند اقامتها وضعت بقاعدتها نسخة من جريدة ونسخة من دليل برادشو للسكك الحديديه وقطع من العملة الانجليزية تعود لتاريخ ١٨٧٨ . وقد اصيبت هذه المسلة بخدوش اثناء قصف لندن في الحرب العالمية الثانية ويبلغ وزن المسلة (١٨٧) طنا وطولها (٦٩ قدماً) ومحيطها ٧ - ٨ اقدام .

اما المسلة الثانية التوأم التي كانت ما تزال قائمة فقد اخذت من مكانها الى نيويورك واقيمت

في سنترال بارك عام ١٨٨١ تحت اشراف المهندس هنري هنبتشرش جورنج (١٨٤١ - ١٨٨٥) م الذي ولد بجزيرة باربادوس وكان ضابطا بالقوات البحرية الاميركية ويبلغ وزن هذه المسلة ١٩٣ طنا والنقوش الهيروغليفية التي على هذه المسلة تعود لاثنين من اشهر الفراعنة الاول تحوتمس الثالث الذي شغلها بسرد حوادث فتحه لبلاد الحثيين (ضلعين من المسلة) بينما شغل الضلعين الأخيرين رمسيس الثاني الذي أمر بتدوين ما عليهما بعد مائتي عام من تحوتمس الثالث .

وان النقوش على هذه المسلة للطرفين الجنوبي والغربي قد شوهت بينما نقوش الطرفين الشمالي والشرقي ، المدون عليهما بحالة حسنة . وقد اهدى هذه المسلة الخديوي اسماعيل باشا الى مدينة نيويورك .

ومن غير المعروف كيف اخذت هاتان المسلتان اسم ابرة كليوباترة وهناك رأي يقول ان تعبير « الابرة » اخذ عن العربية ترجمة « المسلة » وهي الابرة الكبيرة . اما كليوباترة فانها اخذت للتعبير عن الفراعنة ولأنها الاسم الوحيد الفرعوني المعروف شعبيا لدى الانكليز والاميركان .

المسلات الموجودة في ايطاليا :

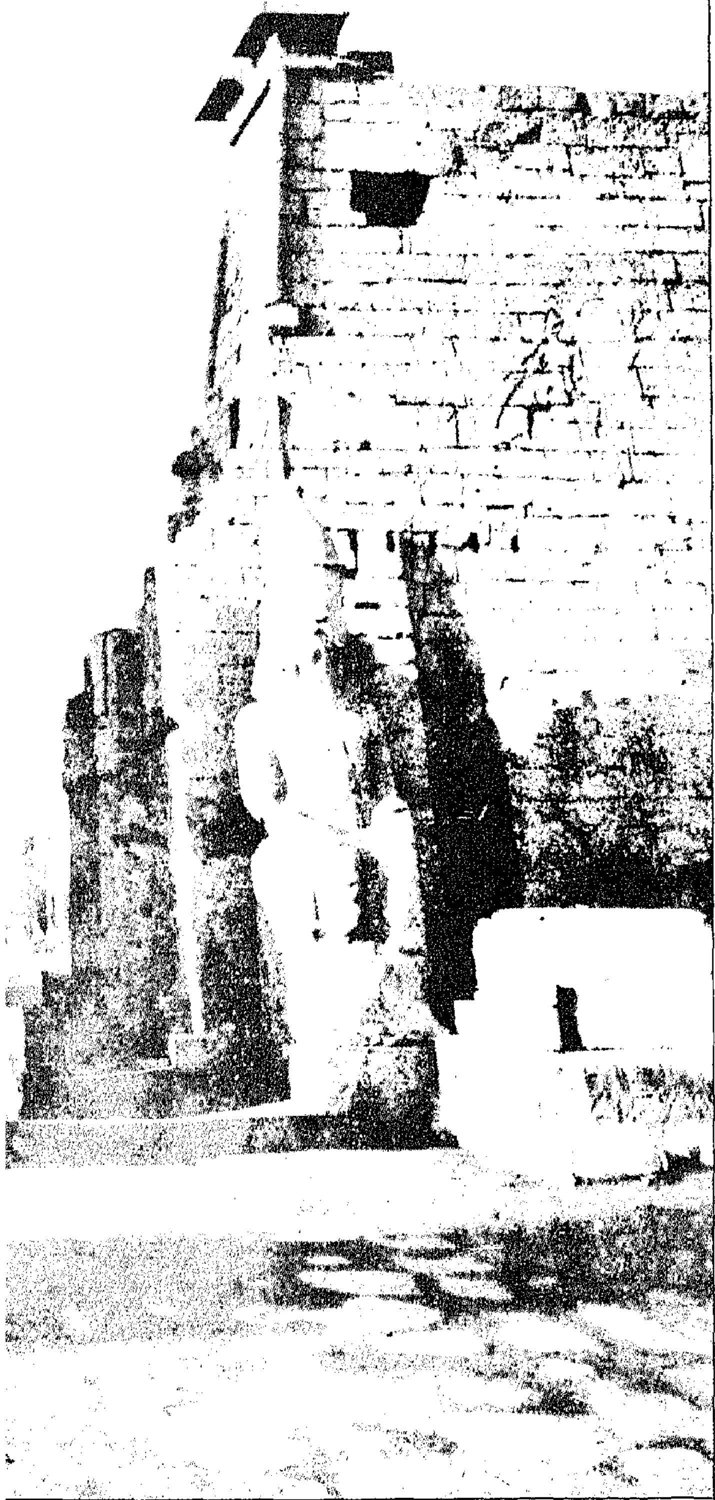
تتوزع في روما والمدن الايطالية وهي المسلات الوحيدة التي اجرى عليها تغيرات بدلت من معالمها بان اضيف على قمتها الصليب لنفي الاصل الوثني عنها . وقد استخدمت في روما لتزيين الساحات وبعضها كمزوله شمسية . علما بأن هناك مسلات غير مصرية مزورة وجدت في روما وايطاليا .

واهم المسلات الحقيقة هي :

١ - المسلة الموجودة في (ميدان الشعب) ويبلغ ارتفاعها ٣٦,٥ م وقد أحضرها الى روما الامبراطور اوغست لتزيين الملعب الرياضي . وقد اعاد اقامتها في مكانها الحالي البابا سيكستو الخامس (١٥٨٥ - ١٥٩٠ م) .

٢ - المسلة الشمسية والتي تعود لعصر بسماتيك الاول (القرن السابع ق .م) وقد نقلها الى روما اوغست حيث اقامها بساحة سان لورنزو واعتبرت كساعة (مزوله) لمدينة روما . اقامها بعد سقوطها ثانية البابا بيوس السادس

مسلة في واجهة معبد الأقصر



في (١٧٨٩) امام مبنى البرلمان الايطالي الحالي .

٣ - مسلة سانتا ماريا ماجوري وهي احدى التوأمين وقد احضرهما الامبراطور اوغوست ليقيمهما على طرفي ضريحه . عثر على هذه المسلة مكسورة قطعتين في عصر سيكستو الخامس فاقامها امام مدخل فيلته في الميدان الصغير خلف كنيسة مريم الكبرى .

اما المسلة الثانية من التوأمين المذكورين اعلاه فقد عثر عليها البابا بابيوس السادس فاقامها في ساحة كوبرينالي (القصر الجمهوري حاليا) .

وطول كل من المسلتين يبلغ ١٤,٨ م .

٤ - مسلة ميدان لامينرفا والمسلة الثانية التوأم الواقعة في ميدان وديلا ريتوردا وتعودان للملك ايريس من القرن السادس قبل الميلاد .

نقلتا من هليوبوليس من معبد الشمس الى روما الى معبدي ايزيس وسيرابيس وقد عثر البابا الكسندروس السابع عام « ١٦٦٠ » على اولاهما واقامها في ميدان (مينيرفا) . اما المسلة الثانية فقد عثر عليها البابا كليمنت الحادي عشر في (١٧١١) واقامها بميدان (ديلا ريتوردا) لتزيين نافورة ماء هناك .

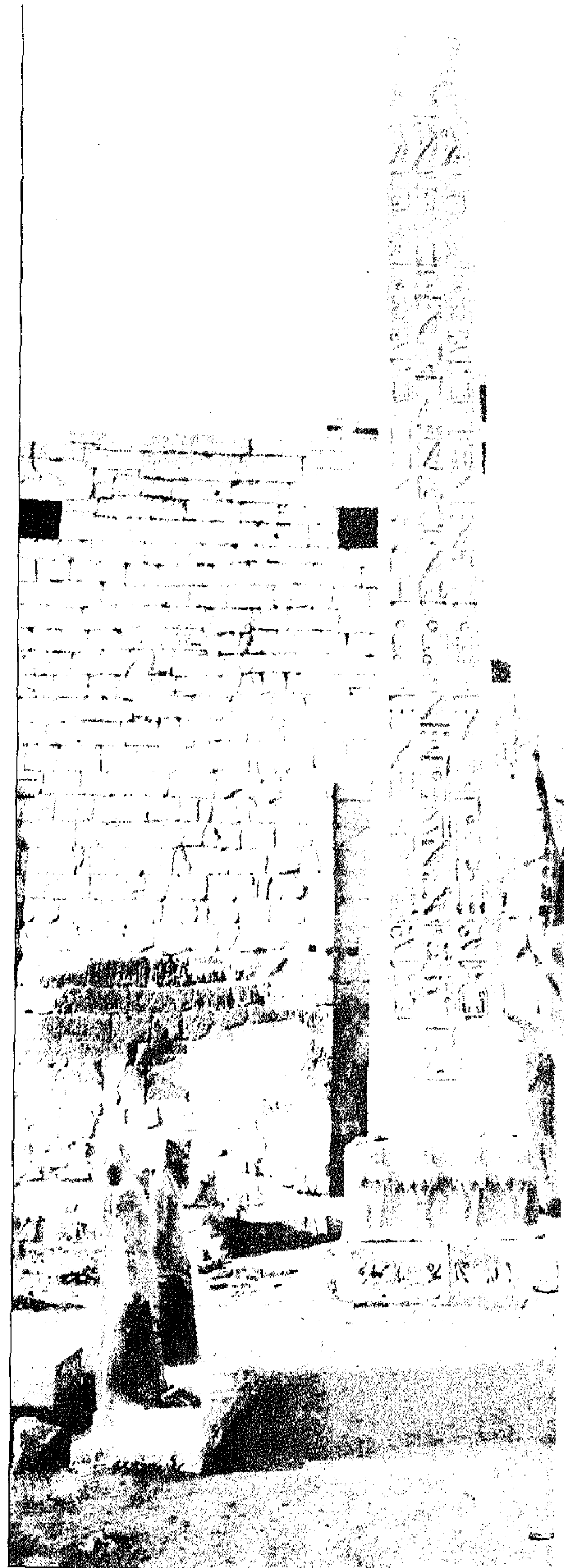
٥ - مسلة الفاتيكان ويبلغ طولها (٤١ م) وهي خالية من النقوش الهيروغليفية وذلك لسبب مجهول قد يكون ان المسلة لم تكتمل الصنع في حينها وقد نقلها الى روما الامبراطور كاليجو « غايوس » عام ٣٩ م .

وقد اقيمت اولا في ملعب نيرون ثم نقلت الى ساحة كاتدرائية القديس بطرس في ساحة الفاتيكان بامر من البابا سيكستو الخامس . استعملت (كمزوله شمسية) .

٦ - مسلة ساحة القديس يوحنا : وهي اقدم المسلات وطولها ٤٧ م وهي اخر مسلة نقلت الى روما وكان قسطنطين قد نقلها (مع المسلة الثانية الموجودة حاليا في استنبول) من معبد امون في طيبه الى الاسكندرية . واكمل نقل هذة المسلة الى سيرسينو خليفته ابنه قسطنطين الثاني ثم نقلت الى روما موقعها الحالي من قبل الباب سيكستو الخامس .

مسلتا اسطنبول

والمسلة المشهورة في اسطنبول نقلها الامبراطور البيزنطي قسطنطين الى بيزنطة ونقل الاخرى الى روما كما رأينا .



كما وتوجد مسلة في نينوى في العراق .

ان هذه المسلات المبعثرة في انحاء العالم قديمة وحديثة . ان هي الا شواهد على عظمة الهندسة المصرية القديمة وقد عرف من اسماء المهندسين الذين شيدوا بعض هذه المسلات مع غيرها من الاوابد الاثرية ستة مهندسين واشهرهم « سنموت » رئيس مهندسي الملكة (حتشبسوت ١٩٤٥ – ١٤٧٥ ق .م) الذي شيد مسلاتها ومعبدها في الوجه البحري وربى ابنتها الكبرى (نفرورع) .

وثانيهما (بكنخنسو) الذي عاش بعد قرن من سابقه وهو مهندس المسلة التي انتقلت الى باريز وله تمثال محفوظ بمتحف في ميونيخ بالمانيا يحمل نصا طويلا دون فيه تاريخ حياة هذا المهندس .

« تحدث الناس – كما يقول جورج سارتون في تاريخ العلم – عن اعمال فونتانا ، عام ١٥٨٦ وغورنج عام ١٨٨١ م ، كأنها اعجوبة الاعاجيب مع ان هذين الرجلين لم يفعلا شيئا أكثر من تكرار جزء من العمل الذي سبقهما اليه المصريون منذ الاف السنين » .

ويصفها اميل لودفغ بكتابه « النيل »

« وتدور السيارات حول تلك المسلات في اجمل ميادين باريس وروما ولندن ونيويورك وتبصرها في اثناء النهار محاطة بعيون ماء كان فرعون ينفق نصف كنوزه على منظرها لو علم أمرها . اجل لا أحد يفقه معنى ما تحويه من كتابة غير انها تضاء في الليل بنور سحري يأتي من تحتها فكأن اوزيريس لا يزال ينير مجدابيه من العالم الادنى » .

ويؤكد جورج سارتون في كتابه تاريخ العلم على ان المسلات مشاهد عظيمة للهندسة المصرية القديمة فيقول : « ومن هذه الناحية لا ينبغي ان يأسف المصريون الحديثون على المسلات الكثيرة التي اخذت من بلادهم ، لأن كلواحدة من هذه المسلات المبعدة عن وطنها اثر خالد يشير الى عظمة مصر القديمة » .



أقدم مدن العالم

● هي مدينة « بسميا » اكتشفها في أنقاض بابل الدكتور بانكس وكان قد استأذن الدولة العلية سنة ١٩٠٠ في التنقيب عن آثار مدينة « أور » التي خرج منها ابراهيم الخليل فلم يؤذن له وأراد أن يستأذن لمكان آخر فمنع . وتمكن سنة ١٩٠٣ من الحصول على الارادة السنية للبحث عن بسميا . ولاقى مشقات كثيرة في أثناء العمل لقلة المياه للفعلة . ووصل أخيراً إلى خرائب مساحتها ميل في نصف ميل ولا يزيد علو أنقاضها على أربعين قدما . وعثر على قرميدات بعضها منقوش سنة ٢٧٥٠ قبل الميلاد ، واكتشف أخيراً مصطبة مبنية من القرميد المحدب وكان البابليون يستخدمونه في البناء نحو سنة ٤٥٠٠ قبل الميلاد ولم يعثر على أقدم من ذلك . فاثار هذه المدينة تختلف قدما بين سنة ٢٧٥٠ و ٤٥٠٠ قبل الميلاد .

وجد بين الأنقاض تماثيل من الرخام في جملتها رأس من الالاباستر ، وجهه مستطيل نحيف أنفه سامي وعيناه مجوفتان فيهما مقلتان من عاج قد ألصقتا بالقار وذهب انساناهما . ولم يسبق لعلماء الآثار أنهم عثروا على مثل هذا الرأس ، وهو أول رأس سامي كشف في آثار بابل ، وتاريخه ٣٨٠٠ قبل الميلاد . ثم اكتشف الدكتور بانكس تمثالا كاملا تاريخه على ما يظن سنة ٤٥٠٠ قبل الميلاد ويستدل من قراءة ما عليه من النقوش أن التمدن البابلي كان يومئذ في إبانه . وكان هذا التمثال خاتمة النقب لأن الفعلة اختصموا وكفوا عن العمل . ومما تحققوه باكتشاف هذه المدينة أن البابليين كانوا يحرقون جثث موتاهم وكان العلماء قبلا يولون ذلك على سبيل الظن فوجد الدكتور بانكس في بسميا المكان الذي كانوا يحرقونها فيه .



اطلانتيس

الباخرة الرهيبة التي حاربت في ثياب مدنية

إعداد : شذا عدرة

بعد ان حددت بنود معاهدة فرساي طموح الالمان البحري ، اضطر هؤلاء الى إعمال الخيال لخوض حرب بحرية مدهشة . أحد اسلحتهم السرية والخطيرة كان « الريدر » ، وهي سفن تجارية مجهزة للحرب ، وقد اوكلت اليها مهمات قرصنة .

في كتابه الضخم المخصص « لمعركة الاطلسي » يحيي « ليونس بيار » ذكر هذه السفن الكبيرة التي خاضت حرب قرصنة لحساب البحرية الحربية الالمانية « الكريغسمار » .

تزن الريدر ٧٠٠٠ طن ، وهي مجهزة بديزل او تربينة ، ومدى عملها كبير . سلاحها بصورة عامة مؤلف من ستة مدافع عيار ١٥٠ ، ومدافع اخرى كثيرة من عيار اصغر ، واربع قاذفات طوربيد وعدد من الألغام . وهي تملك غالباً طائرة او طائرتي استكشاف مزودتين برشاشات ، وزوارق بمحرك مزودة بمدفع وبقاذفة طوربيد .

اول موجة من هذه السفن انزلت في البحار منذ أوائل ١٩٤٠ ،كانت تحوي ست سفن قرصنة ، كانت « الاطلانتيس » اخطرهن . وقد سماها الانكليز « الريدر – س » ، اما الألمان فكانوا يدعونها « الشيف ١٦ » ، (او السفينة ١٦) . أرض الصيد المفضلة لديها جنوبي الأطلسي حيث ستكون عدوا خطيرا للبواخر التجارية الانكليزية والحليفة .

كان الكابتن بيرنهاردت روغه معروفاً جيداً في اوساط اليخوت العالمية قبل الحرب . في ١٩٣٧ ، دعي الى المدرسة البحرية الملكية في دارتموث ، فأبدى اعجابه كخبير ، بالسفن الموجودة هناك وبجمال الخليج . ولما لاحظ وجود باخرتين تجاريتين ذات اربعة صوار بين السفن الكبيرة الحربية ، اجابه الضابط الانكليزي : « هذه سفن بخارية للبيبي لاين وهي لا تتحرك . نستأجرها احيانا لنقل الآليات والعسكريين » ، ولم يكن يعلم الضابط ان جوابه هذا ستكون له نتائج مأساوية بعد ثلاث سنين .

ميزات الكابتن روغه البحار وخبرته جعلت الاميرال الكبير ريدر وقادة المخابرات السرية يختارونه لقيادة باخرة شحن كبيرة تزن ٧٨٦٠ طنا ، كانت تقف في مرفأ بريم الحربي في اول الحرب ، اسمها غولدنفلز . بالنسبة للمخابرات السرية التابعة للبحرية ، كانت « الشيف ١٦ » . اما روغه فقد اختار لها اسم « الاطلانتيس » . وقد استغرق العمل طويلا لتحويل باخرة الشحن المسالمة هذه الى سفينة حربية مموهة ببراعة : ستة مدافع عيار ١٥٠ ، اربع قاذفات طوربيد ، رشاشات ، الغام وطائرة برمائية « آرادو » . وقد زودت بالذخيرة والمواد الغذائية واطنان من مياه الشرب ، وبالكتب وبكمية كافيةمن الوقود ، اذ كان على « الاطلانتيس » ان تجتاز مسافات طويلة دون التوقف في اي مرفأ .

أمر واحد : « إغراق البواخر ... »

كان الكومندان روغه وحده يعرف المهمة الموكلة الى « الاطلانتيس » : النفاذ الى شمال الاطلسي ، والنزول الى مشارف فريتاون من دون اثارة انتباه البريطانيين ، ومن ثم اغراق بواخرهم التجارية . وبعد كل عملية تدمير ، الانتقال بسرعة الى مكان اخر .

هذه المهمة سينفذها روغه بدقة ، لكن كواجب فقط بالنسبة له فكل سفينة لها وظيفتها ، اذ كان يدرك شمولية وعدم انسانية الحرب التي سيخوضها

في ٢٢ اذار (مارس) ١٩٤٠ ، اعدت « الاطلانتيس » في الليل دون معرفة أحد . كانت لها مدخنتان . وكل مدافعها مكشوفة ، وقد شرعت للأنظار علم « الكريغسمارينه » .

في ٢٤ آذار (مارس) ، كانت باخرة شحن نروجية تعبر باتجاه الشمال مقابل سواحل النروج : لونها أخضر وأبيض ، لها مدخنة واحدة وعلى صاريها يخفق علم الحجر الصحي . وقد وضعت على ظهرها صناديق خشبية ضخمة مغطاة ، ويكشف في بعض الجوانب عن كتابات بالانكليزية . وكان فريق من المدنيين يشرف عليها . هذه الباخرة لم تكن الا « الاطلانتيس » .

في نيسان (ابريل) ، كانت باخرة شحن سوفياتية تسير على طول ساحل الغرينلاند



القبطان برنهاردت روغه سنة ١٩٤٤

الشرقي ، وسط عاصفة ثلجية عنيفة . كانت درجة الحرارة ١٧ تحت الصفر ، وقد ارتدى الضباط والملاحون الفرو كالروس . اسم الباخرة : كيم ، كان مسجلا على مؤخرتها ، كذلك بعض العبارات بالروسية وترجمتها بالانكليزية . هذه الباخرة كانت ايضا الاطلانتيس .

اما السفينة التي التقت بها السفينة الانكليزية سيتي اوف اسكيتر في جنوبي الاطلانتيك ، فكانت يابانية : الكاهي مارو . وقد شاهد الكومندان البريطاني رجالا صغارا على متنها باليوكاتا ويمسكون بأيديهم الات تصوير . ولوتسنت له رؤيتهم عن كثب ، لفهم بسرعة ان هؤلاء كانوا متنكرين وبشكل سيء ، فالكاهي مارو لم تكن الا الاطلانتيس

وقعت المأساة الأولى في الثالث من ايار (مايو) ، عندما اوشكت الاطلانتيس على الوصول الى الطريق التي تسلكها السفن البريطانية بين الكاب وفريتاون حيث تتشكل المواكب . رأى الحراس دخانا ، فدعا الكومندان روغه رجاله الى الالتحاق بمراكز القتال ، وانتظر حتى اصبحت الباخرة العدوة على مقربة منه . عندئذ امر برفع راية الاصطلاح العالمي : « توقفوا او اطلق النار » . ثم بعث بانذاره : « لا تستعملوا الراديو » .

وبعد كشف المدفع ورفع راية الحرب الالمانية ، انطلق المدفع فسقطت قذيفة امام الباخرة التجارية التي حاولت تغيير اتجاهها والابتعاد . وقد تمكن العريف البحري هلم من سماع ندائها عبر الراديو : « هنا السيانتست ... هناك سفينة تجارية تأمرنا بالتوقف » . فلم يكن من الاطلانتيس الا ان امطرتها بالقذائف ولم تتوقف الا عندما اعلنت السيانتست : « سأتوقف » .

الاولى من اصل ٢٢

بعد ربع ساعة ، كان فريق من الألمان قد وصل الى السفينة الانكليزية ، فزارها بسرعة واستولى على الوثائق واسر ملاحيها وقبطانها الذي قال لروغه :

— كنت استريح عندما بعثتم باشاراتكم التي لم تفهم . ولقد حذرت متأخرا ، والا لكان مستحيلا ان تتغلبوا علي .

تلك كانت اولى ضحايا الاطلانتيس . وقد استنتج روغه من عمليته الأولى ان عليه تغيير اسلوبه في الهجوم ، فقد لاحظ ان الانكليز يستعملون الراديو بالرغم من تحذيراته . لذلك قرر ان يرفق الامر الموجه للبواخر العدوة بتدمير فوري لجهاز الارسال فيها . من الآن فصاعدا سيتم الاقتراب في الليل ، والهجوم عند مطلع الفجر ومن على مسافة قريبة جدا .

بعد مرور بضعة ايام ، القت الاطلانتيس امام رأس اكولاس سلسلة من الالغام على طريق البواخر التجارية باتجاه فريتاون ، من شأنها ايقاع المزيد من الضحايا . ولكي يخفي اثاره ، عمد روغه الى القاء طوافة عليها بقع زيت ومرقمة : غواصة ٣٧ ، لايهام الانكليز بان سربا من الغواصات يقوم بعمليات في المناطق المحيطة بكيب تاون .

في ٢٥ ايار (مايو) ، وصلت برقية من غوبلز الى الباخرة الهولندية ابكرك ، التي لم تكن الا الاطلانتيس ايضا مفادها ان « ثماني سفن تجارية بريطانية اصطدمت بالغام ريدر ، وغرقت ! » .

بعد ذلك ، انتقلت الاطلانتيس الى المحيط الهندي .

ضحية الاطلانتيس الثانية كانت الباخرة النروجية تيرانا (٧٢٣٠ طنا) ، وقد لقيتها وسط الطريق بين السواحل الافريقية واستراليا في ١٠ حزيران (يونيو) ولاحقتها طيلة ثلاث ساعات . وقد ارسلت الباخرة النروجية نداء استغاثة منذ اول طلقة مدفع ولم تسكت الا بعد عدة رشقات ، لكنها لم تدمر بل ارسلت الى الجنوب ، الى « البردا » . وقد خصصت فيما بعد لنقل المساجين من ركاب السفن التجارية الاسيرة او المدمرة ، الى فرنسا .

توالت الهجمات بعد ذلك ، فبين ١١ تموز (يوليو) ١٩٤٠ و٢ شباط (فبراير) ١٩٤١ ، وصل عدد الضحايا الى ١٣ سفينة اي اكثر من ٧٠,٠٠٠ طن . وكل هجوم كان ينتهي بقتلى وجرحى من بين الركاب والملاحين . وكان روغه يبذل جهده لتفاديهم ويوقف النار حالما تقطع الباخرة ارسالها وترفع راية الاستسلام .

من المحيط الهندي الى الجيروند

تحول اللقاء مع الكمدين ، وهي سفينة فرنسية كانت متجهة من كيب تاون الى رانغون ، صباح ١٣ تموز (يوليو) الى

مأساة . فبعد ان اذعنت هذه الاخيرة منذ أول رشقة ، وبعد ان هنأ روغه نفسه بتوفير الذخيرة ، اندفعت فجأة طلقة مدفع ثم اخرى من مؤخرة الكمدين . فثار روغه وانهالت القذائف على السفينة الفرنسية ، الى ان اوحى له ضابط بأنه ربما في الامر خطأ . وقد تبين بعد استجواب مطلق النار انه لم يسمع امر قائده القاضي بعدم اطلاق النار بسبب ضجيج انابيب البخار التي خرقتها قذائف الاطلانتيس .

كان التدمير يتوالى وفي كل مرة تكون الحصيلة مساجين جدداً من بريطانيين وفرنسيين وهنود وصينيين وزوجات ضباط .. مما ادى الى تكاثر المشكلات المتعلقة بالسكن والطعام واللياقات .

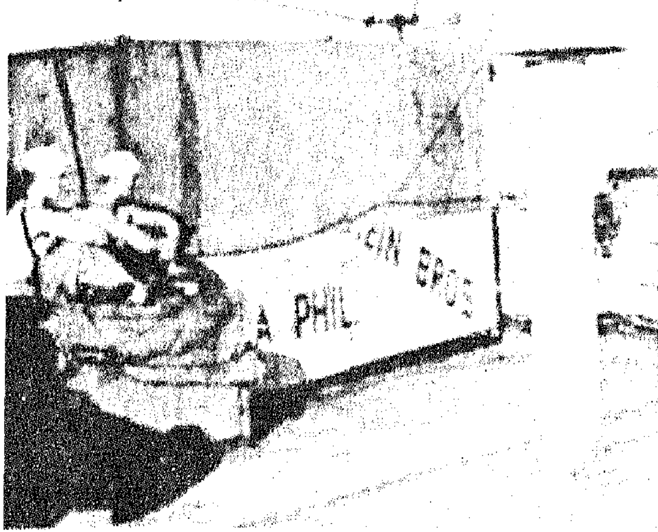
وكان روغه ينقل « ضيوفه » الى مرفأ حيادي او الى مرفأ فرنسي على الاطلسي بواسطة بعض السفن الاسيرة . فالدرميتور مثلا اتجهت نحو مرفأ في الصومال الايطالية وعلى متنها مساجين بريطانيون وفريق من الالمان .

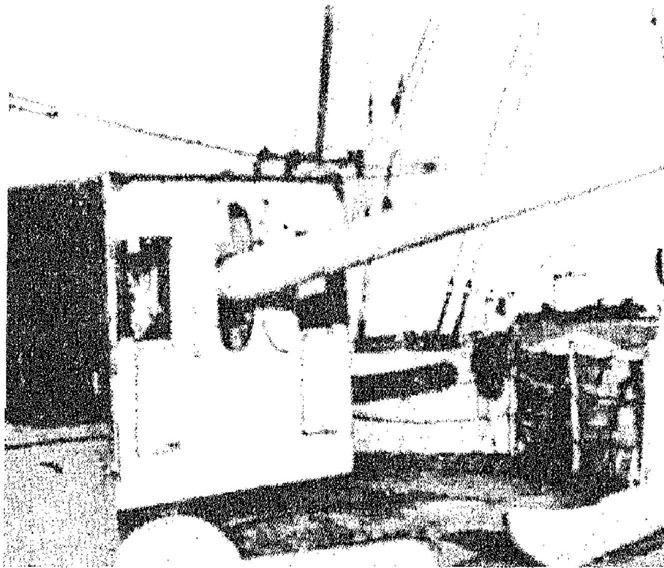
اما التيرانا ، فقد تمكنت ، تحت امرة الملازم البحري مونت ، من دخول مصب الجيروند بالرغم من الحصار الانكليزي ، وكان قد بقي لها نصف ساعة لكي تصل الى رصيف بوياك . والجميع ، بمن فيهم البريطانيون ، كانوا يتلهفون لوضع ارجلهم على اليابسة ، عندما رأى مونت زورقا بمحرك يقترب وفيه صرخ : قبطان فرنسي وعسكري الماني

– هناك طائرات انكليزية القت بالغام في المصب ، وبعض المراكب تقوم بنزعها . فانتظروا حتى صباح الغد .

– ماذا ؟ سننتظر ١٢ ساعة ايضا ؟
– ولكن هذا ليس مهما بالنسبة لكم .
– وماذا عن الغواصات العدوة ؟
– لا يوجد منها في هذا القطاع ..

وفي هذه اللحظة ، انفجرت ثلاثة طوربيدات معا . فبدأت اطنان من المياه تدخل من الفتحات الكبيرة . وتعالى صراخ الركاب . لم يعرف بالتحديد عدد المفقودين . وعندما وجد مونت نفسه على الشاطئ ، كان يتمتم : « لا يوجد غواصات هنا ، ليوتنان ، لا يوجد غواصات هنا ... » وضحك ضحكة هستيرية . اما مطلقة الطوربيد ، فكانت الغواصة الانكليزية تونا .





بضائع مرسلة الى الفيليبين .. بينما هي تمويه للمدافع ..

ركاب الزام زام

في هذه الأثناء ، كانت الاطلانتيس تواصل زرع الخراب في المحيط الهندي . وكان قد مضى عليها تسعة شهور منذ مغادرتها المانيا . وعندما وجد روغه خزانات مياه الشرب شبه فارغة ، قرر ان يذهب الى كرغلن ليملأها . وهكذا انتقلت الريدر من الحر الى البرد ، ثم ما لبثت ان وجدت نفسها في ١٦ نيسان (ابريل) ١٩٤١ على طريق كيب تاون – فريتاون .

في مساء هذا اليوم ، تأمل روغه بانتباه سفينة بخارية ذات اربعة صوار ، فتأكد له انها

احدى سفن البيبي لاين التي رآها قبل الحرب في دارتموث ، وتذكر ما قاله له الضابط الانكليزي انها تستعمل لنقل الجنود . فهاجمها وعندما بدأت زوراق الانقاذ الاقتراب من الاطلانتيس ، لاحظ فجأة ان الزام زام ترفع علما مصريا . وقد اوضح له القبطان البريطاني ان الزام زام بيعت للمصريين منذ بضعة شهور . وهذا التصريح لم يكن ليزعج روغه ، (ألم تكن مصر تحت الهيمنة الانكليزية ؟) لو لم يعرف ان هذه السفينة تنقل ٣٠٠ راكب بينهم رجال دين ونساء واطفال واميركيين !

بعد نقل ركاب الزام زام الى السفينة المموّنة درسدن ، اتجهت الاطلانتيس نحو القطب الجنوبي بعد ان اغرقت بواخر اخرى بين ١٤ ايار (مايو) و٢٢ حزيران (يونيو) .

كانت الريدر ما تزال تنتقل من مكان لآخر وتحقق انتصارا تلو الآخر عندما وصلتها برقية من القيادة العليا تأمرها بالتوجه نحو نقطة « ليس ١٠ » لكي تزود الغواصة ١٢٦ بالوقود .

لتموين غواصة ....

صباح ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤١ ، لصقت الغواصة المعنية بالاطلانتيس ، وبدأ ضخ الوقود من الريدر اليها . حولهما كان الهدوء مخيما .

لم يستطع روغه ورجاله منع انفسهم من التفكير في الحادثة التي وقعت البارحة مساء للآرادو . هذه الطائرة المائية التي قامت بخدمات كبيرة في البحث عن البواخر التجارية ، هبطت بسرعة فتحطمت وغاصت ، والا لكانت الان تحلق فوقهم في هذا المكان . وبينما كان باور ، قائد الغواصة ، وروغه يتحدثان ويشربان القهوة في مكتب الاخير ، علا صراخ في الممرات : « طرادة عدوة مقابلنا ! » فأسرع باور الى الغواصة ، لكنه وصل متأخرا ، اذ كانت قد ابتعدت وغاصت .

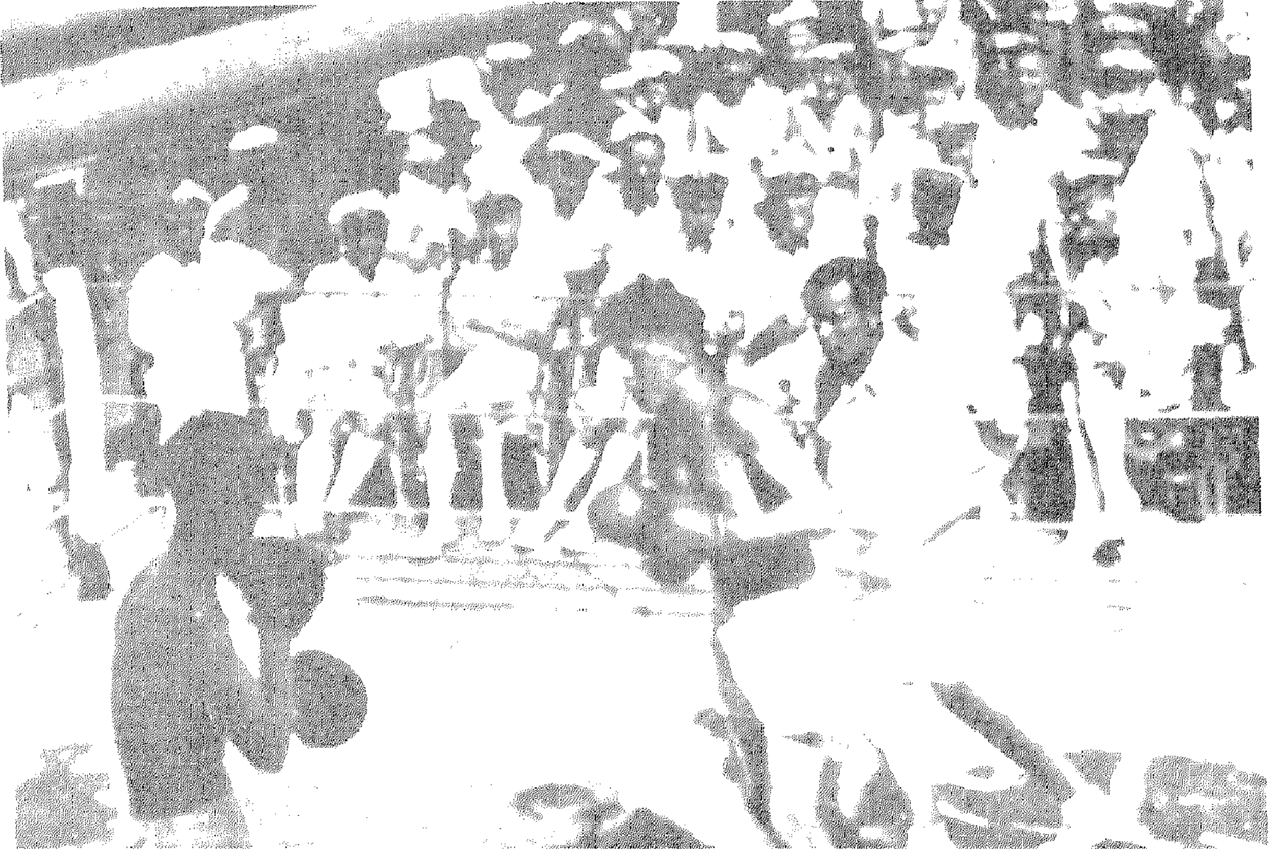
كانت طائرة تابعة للطرادة الانكليزية تحلق فوق الاطلانتيس ، بينما بدأت الطرادة نفسها « الديفونشاير » (٩٨٥٠ طنا — سرعتها ٣٢ عقدة — سلاحها : ثمانية مدافع عيار ٢٠٥ ، اي ان مدافعها اقوى بكثير من مدافع الاطلانتيس) باطلاق قذائفها . لم يكن امام روغه الا حل واحد : الحيلة . فأعطى اوامره : « اوقفوا الآلات ولا تطلقوا النار » ، ثم اسرع الى جهاز الارسال : « هنا بوليفموس ... هناك باخرة لم نستطع تحديد هويتها تأمرنا بالتوقف » كان روغه يعلم ان هذه السفينة موجودة وتشبه الاطلانتيس . ونجحت الحيلة كما كان يأمل ، وتوقف القصف .

وطال الانتظار ، وسمعت في الاطلانتيس الاتصالات بين الطرادة والطائرة . ومن المؤكد ان الانكليز كانوا يطلبون من فريتاون تحديد موقع البوليفموس الحالي .

عند الساعة ٩ والدقيقة ٣٥ ، عاودت الديفونشاير القصف وكانت تصيب اهدافها بفضل ارشاد الطائرة . عندها ايقن روغه ان الاطلانتيس قد ضاعت وان الغواصة ١٢٦ لن تأتي لنجدته ، وفكر برجاله . فعمد الى تخفيض السرعة واخذت زوراق الانقاذ بالنزول الى



دخان سفينة اغرقت
وبيدو بحارتها في قارب انقاذ .



بحارة الاطلانتيس والاسرى « يتبارون » بالملاكمة

البحر ، وبدأ الملاحون بمغادرة السفينة بواسطة السلالم والحبال . اما روغه فكان اخر من قفز الى الماء .

واخيرا اختفت الاطلانتيس بعد ان اغرقت ٢٢ سفينة حليفة اي ما حمولته ١٣٦٥٥٠ طنا .

غرق الاطلانتيس

بعد ذهاب « الديفونشاير » ، برزت الغواصة ١٢٦ من جديد ، فقطرت قوارب الانقاذ واستمرت الرحلة ثلاثة ايام وكانت قاسية ، الى ان قابلت « البيتون » وهي سفينة تمون الغواصات ، فتم نقل جميع الناجين من ركاب الاطلانتيس اليها .

كان على البيتون مهمة اخرى ، هي تموين غواصات الاميرال دونتس بالوقود . وكان سيتم جنوبي المكان الذي غرقت فيه الريدر .

والواقع ان وجود الألمان في جنوبي الاطلسي كان يقلق القيادة البحرية الانكليزية . وفي اوائل تشرين الثاني (نوفمبر) ، ارسلت عشر سفن انكليزية واميركية للبحث عنهم شمال خط الاستواء ، فهذه المنطقة ، خارج الطرق ، كانت خالية ، وبالتالي ملائمة للقاءات بين الغواصات والسفن الممونة . وهذه المهمة هي التي ادت اولا الى اسر الاودنفالد على يد الطرادة الاميركية أوماها ، ثم الى اغراق الاطلانتيس من قبل الطرادة الانكليزية الديفونشاير .

البيتون تفاجأ بطرادة

بعد ظهر يوم الاثنين في ١ كانون الاول (ديسمبر) ، شاهدت الدورستشاير الانكليزية باخرة شحن كبيرة متوقفة في عرض البحر ، وعندما اقتربت منها ، لاحظت انها لاصقة بغواصتين : كانت البيتون .

للمرة الثانية سمع الكومندان روغه الصرخة : « طرادة عدوة مقابلنا ! » ، فأسرعت الغواصتان بالافتراق عن « الام المغذية » وبالاختفاء . اما البيتون فحاولت الهرب ، لكن الدورستشاير لحقت بها وبدأت باطلاق قذائفها .

عندما ادرك قائد الريدر انه لن يتمكن من انقاذ سفينته من الدمار او من الاسر وهو الأسوأ ، امر بخرقها لاغراقها ، وباخلائها .

وبينما كانت البيتون تغوص وقوارب الانقاذ تهم بالنزول الى البحر ، كانت طائرة تابعة للطرادة تحلق فوق الريدر على ارتفاع منخفض جدا ، لكنها لم تطلق النار عليها . اما الغرقى الالمان فكانوا يعلقون الامال على الغواصتين لضرب الطرادة البريطانية ، لكن قائد الدورستشاير كان يعرف ، كزميله قائد الديفونشاير ، ما يجب فعله ، فتصرفت الطرادة الثانية كشقيقتها الاولى وابتعدت للأسباب نفسها .

وعادت قصة الغرقى الى الظهور ، لكنهم كانوا هذه المرة برفقة ركاب البيتون . ولقد تعذر على الغواصتين قطر زوارق الانقاذ اذ كانتا بحاجة الى الطوربيد والزيت والمحروقات .. فتقرر ان تتقاسم كل منهما الناجين ، واتجهتا نحو الرأس الأخضر . وفي ٨ كانون الأول (ديسمبر) وردهما خبر اعلان الحرب على الولايات المتحدة .

وفي هذا الوقت ، كانت الاتصالات جارية لارسال اربع غواصات ايطالية للتخفيف عن الغواصتين الالمانيتين المكتظتين ، وكان ينقصهما الماء والغذاء .. ثم ان اي لقاء بينهما وبين المدمرات العدوة كان لا بد ان ينتهي بكارثة .

وصلت الغواصات الايطالية الى المكان المحدد وتقاسمت مع الغواصتين الألمانيتين ركاب الاطلنتيس والبيتون ، ثم اتجهت السفن الست نحو سان نازير .

في ٤ كانون الثاني (يناير) ، كان روغه يستقبل رجاله على الرصيف وقد بدا عليه التعب ، وكان قد وصل قبلهم بيوم .

وهكذا انتهت قصة رجال الاطلانتيس .

نهاية موجة الريدر الاولى

في لوريان ، فهم الاميرال دونتس ان عهد تموين الغواصات عن طريق البواخر العادية قد ولى ، وان الوقت قد حان ليستبدل بها غواصات كبيرة للتموين من طراز ١٤ .

في المرافئ الالمانية ، كان الاميرال ريدر يهيئ رحيل الموجة الثانية من سفن الريدر .

صحيح ان نجاح سفن الموجة الأولى يبدو ضئيلا اذا ما قورن بنجاح الغواصات (٧٧ باخرة تجارية عدوة اي ما حمولته ٥٢٤ ٥٩٦ طنا) . لكنها كانت ذات فائدة ، فقد اجبرت الانكليز على تجميد الطرادات المساعدة وحتى الطرادات الخفيفة والثقيلة التي يمكنها حماية مواكب البواخر التجارية والبواخر التي تنقل الجنود والاليات قبيل عمليات الانزال .

لقد استنتج الانكليز ان كل ضحايا الريدر كانت سفنا منفردة ، وان اي قافلة لم تهاجم . فكان ذلك عبرة لهم .

المرجـــــع : من مجلة (Histoire de la Mer)

أجل ! أعمى

● يروي سيادة المطران بولس الخوري أن شحاذاً أعمى تقدم منه مستعطيا ، فدفعه عنه أحد رجال الشرطة وعنفه بشدة ، فقال المطران : «وماذا فعل هذا الأعمى حتى استحق هذه المعاملة» ، أجاب الشرطي : «ولكنه ، يا صاحب السيادة ، ليس أعمى بل يتظاهر بالعمى ليستعطي» ، فقال المطران بولس : «وهل يعقل أن يكون مبصراً من يستعطي من رجال الاكليروس ؟»

من كتاب لئلا تضيع
سلام الراسي

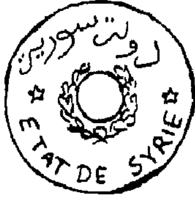
● اذا كان في وسعك ان تحب ففي وسعك ان تفعل اي شيء .

تشيكوف

حكاية النقد في لبنان

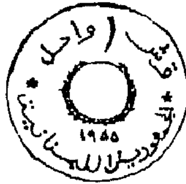
منذ العهد العثماني حتى عهد الإستقلال







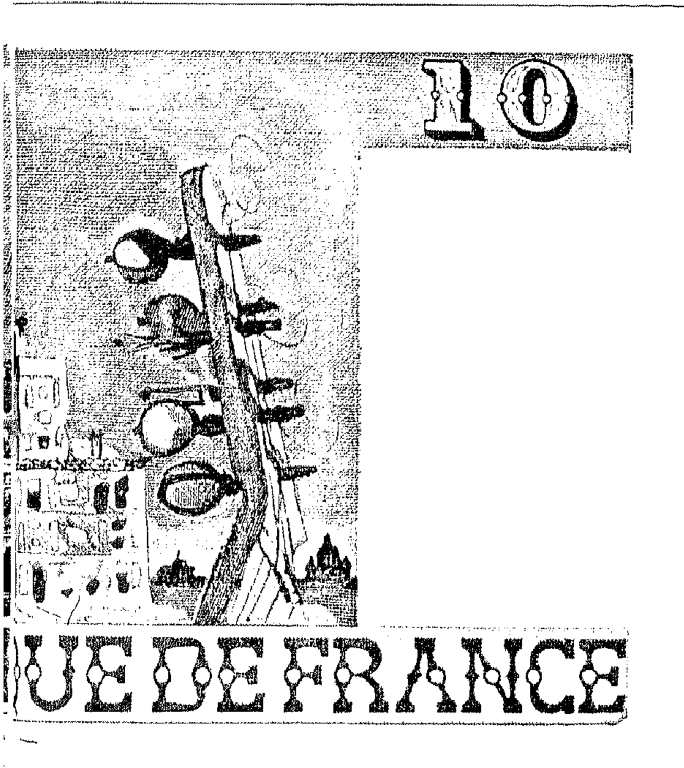




كان لبنان وسوريا قبل الحرب العالمية الأولى يشكلان جزءا من الامبراطورية العثمانية ، وكانا خاضعين للنظام النقدي التركي ، الذي اعتمد سنة ١٨٨٨ مرتكزاً على قاعدة الذهب مع بقاء القاعدة العرجاء في نظام المعدنين . وكانت وحدة النقود المستعملة هي الليرة التركية الذهب وكانت تساوي ٤,٤٠ دولار ذهب من دولارات الولايات المتحدة قبل الحرب العالمية الأولى . وكانت هذه الوحدة تنقسم إلى ١٠٠ قرش وتزن ٧,٢١٦ غرامات بدرجة نقاوة تبلغ ٠,٩٦٥ من الذهب . وكانت هناك في التداول إلى جانب النقود العربية قطع فضية أساسية رئيسية ومساعدة .

وكانت النقود الورقية التي يصدرها البنك العثماني وهو شركة فرنسية انكليزية تأسست سنة ١٨٦٢ على الرغم من قابليتها للتحويل إلى ذهب وعلى الرغم من أنها مغطاة بالذهب بنسبة ٢٠٠ بالمئة غير مستعملة أو تكاد تكون غير معروفة في كثير من المناطق العثمانية لأن أهل هذه المناطق كانوا يفضلون دائماً التعامل بالنقود الذهبية والمعدنية وكانت تعوزهم عادة التعامل بالنقود الورقية .

وأثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ تبنت تركيا نظام النقود الورقية



الاجبارية وأوكلت مهمة أصدار النقود الورقية إلى إدارة الديون العامة العثمانية . إلا أن الجمهور لم يكن عنده أي ثقة في هذه النقود مما أدى إلى انخفاض قيمتها وارتفاع الأسعار .

وفي لبنان وسوريا لم يستطع القانون ولا القوة أن يجعلا من هذه النقود وسيلة للتبادل ، بل بقيت النقود المعدنيــة هي الوحيــدة في السوق . حتى أن مشتريات الدولة نفسها كانت تتم بالنقود الذهبية والفضية مما أدى إلى تزايد هذه النقود ولا سيما عندما كانت الجيوش العثمانية عاملة في البلدين مما أدى بدوره إلى ارتفاع الأسعار .

وفي سنة ١٩١٨ عندما احتلت الجيوش البريطانية والفرنسية سوريا ولبنان قامت بالغاء النقود الورقية التركية وأحلت مكانها الجنيه المصري فأتت هذه النقود الجديدة تضاف إلى النقود القديمة وتزيد كمية النقود المتداولة .

وفي ٣١ آذار ١٩٢٠ بعد أن أصبح لبنان وسوريا تحت الانتداب الفرنسي أمرت المفوضية العليا الفرنسية رسمياً بسحب الجنيه المصري من التداول وأصدرت نقوداً ورقية جديدة لبنانية – سورية مرتبطة بالفرنك وكانت وحدة النقود هي الليرة اللبنانية – السورية مقسمة إلى ١٠٠ قرش وقابلة للتحويل لحاملها عند الطلب لقاء ٢٠ فرنكاً فرنسياً .



الليرة اللبنانيــة – السوريــة وتغطيتهــا الذهبية :

والحقيقة أن هذه الليرة لم تكن سارية إلا في لبنان الذي كان وحده أنذاك تحت الانتداب الفرنسي . وفي الوقت نفسه قامت في سوريا المملكة العربية التي أسسها الملك فيصل الأول وأنشأ لها نقوداً وطنية جديدة مرتكزة على قاعدة الذهب ووحدتها الدينار السوري .

لكن هذه النقود لم تعمر طويلا إذ ما لبثت سوريا أن احتلتها الجيوش الفرنسية وامتــد الانتداب الفرنسي اليها بموجب قرار أصدره المفوض السامي بتاريخ ٩ آب ١٩٢٠ وجعل النظام النقدي الساري في لبنان يمتد اليها أيضاً .

ولقد منح امتياز اصدار هذه النقود إلى بنك سوريا شركة فرنسية ضمت لحسابها الفروع القديمة للبنك العثماني . وكانت تغطية هذه النقود عبارة عن سندات على الدولة الفرنسية أو ودائع في الخزينة الفرنسية وكانت العلاقة مع الفرنك مؤمنة بالعبارة المتضمنة عند الاصدار والتي يتم الوعد بموجبها بابدالها لحاملها لقاء ٢٠ فرنك فرنسي بموجب شيك قابل للدفع دون اكلاف لدى شبابيك بنك الاصدار في باريس أو مرسيليا . وهو نظام من نوع نظام قاعـدة التبادل الذهبي في حالة اتباع فرنسا لقاعدة الذهب و نظام قاعدة التبادل الفرنكي عندما لا تتبع فرنسا هذه قاعدة الذهب .

وكان رأس مال « بنك سوريــا » عنــد تأسيسه سنة ١٩١٩ عشرة ملايين فرنك وفي السنة التالية وصل رأس المال إلى ٢٠ مليون ونصف المليون مقسم إلى ٥١ ألف سهم منها ١١ ألفا خاصة البنك العثماني لقاء أرصدته وامتيازاته التي تخلى عنها . أما الأربعون ألف سهم الباقية فقد بقــي يملكهــا مساهمــون فرنسيون . ووافق هؤلاء بعدئذ على بيع ثمانية آلاف سهم منها إلى لبنانيين وسوريين . وكان البنك خاضعا للقانون الفرنسي ومركزه الرئيسي باريس .

وكان من المفروض أن تتألف التغطية من ودائع على الخزينة الفرنسية في باريس ومن نقود أجنبية ومن أوراق تجارية مسحوبة على بلدان أجنبية لكن البنك لم ينفذ الشرط الأخير من شروط التغطية أي النقود والأوراق التجارية

الأجنبية وأبدله بسندات الدفاع الوطني الفرنسي التي لم تكن سوى سندات حكومية قصيرة الأجل .

أما الأرباح العائدة من فوائد التغطية فكانت تعود بأكملها إلى « بنك سوريا » وكذلك فقد كانت الخزينة الفرنسية تطلب من البنك سحب النقود الورقية الأجنبية من التداول في الأسواق واصدار نقود ورقية سورية لبنانية مكانها . وكان الهدف من ذلك تمكين فرنسا من دفع نفقات جيوشها بالنقود السورية من جهة وسحب النقود الأجنبية لزيادة الودائع في الخارج من جهة ثانية .

بنك سوريا ولبنان الكبير :

وفي ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٤ وقعت اتفاقية بين البنك الذي أصبح اسمه « بنك سوريا ولبنان الكبير » وبين الجمهوريتين اللتين أسستا حديثا ووضعتا تحت الانتداب الفرنسي ودخلتا في وحدة اقتصادية وجمركية . وتنص الاتفاقية على منح البنك امتياز اصدار النقود لمدة ١٥ سنة .

واعترفت الاتفاقية بالحالة النقدية الراهنة التي وضعها المفوض السامي بقراره الأول بتاريخ ٣١ آذار ١٩٢٠ بالنسبة للبنان وقراره الثاني بتاريخ ٩ آب ١٩٢٠ بالنسبة لسوريا وبقيت الليرة السورية - اللبنانية مرتبطة بالفرنك بذات الشروط .

ولقاء هذا الامتياز تعهد البنك بأن يدفع كل سنة إلى الحكومتين اللبنانية والسورية قسما من أرباح التغطية تتراوح وفقا لكمية النقود الورقية المتداولة . وتعهد البنك أيضا بأن يقبل بين أعضاء مجلس ادارته ولجنته الاستشارية ممثلين عن مختلف المصالح الحكومية الوطنية . وتعهد البنك من جهة ثالثة بأن يفصل قسم الاصدار فيه عن القسم التجاري . وحدد الحد الأعلى لكمية الاصدار بمبلغ ٢٥ مليون ليرة سورية لبنانية .أما التغطية فقد فرض أن تكون مؤلفة من العناصر التالية :

١ - ذهب « نقود وسبائك » وسندات حكومية أجنبية قابلة للتعويض بالذهب . ولم تحدد في الاتفاقية نسبة لهذا العنصر من التغطية .

٢ - أوراق تجارية ذات مستوى معين لا تتعدى قيمتها الاسمية أكثر من ٧ بالمائة من كمية التداول أو مليون ليرة لبنانية - سورية .

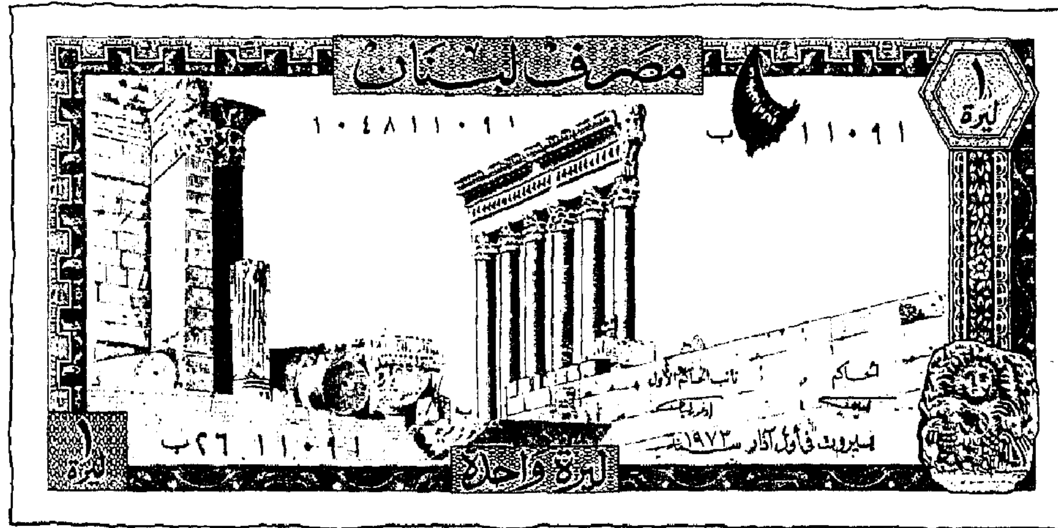
٣ - ودائع من الفرنكات الفرنسية اجبارية في المركز الرئيسي للخزانة العامة في باريس . تبلغ قيمتها ثلث قيمة النقود الورقية المتداولة وتوضع هذه الودائع تحت « حساب أ » وتعطي فائدة ١,٥٠ بالمائة سنويا .

٤ - ودائع من الفرنكات الفرنسية الاختيارية توضع في الخزانة العامة في باريس وقابلة للسحب عند الطلب وتوضع تحت « حساب ب ب » على أن لا تتعدى نسبتها ٢٢ بالمائة من مجموع التغطية .

٥ - أوراق مسحوبة على الدولة الفرنسية وتضمنها الدولة الفرنسية ومودعة في بنك فرنسا .

والملاحظ أن هذه الاتفاقية لم تفرض على « بنك سوريا ولبنان الكبير » أن يحتفظ في التغطية بنسبة معينة من الذهب أو الأوراق الأجنبية القابلة للتحويل إلى ذهب ولقد استغل البنك هذه الثغرة لكي لا يدخل أوراقا أجنبية قابلة للتحويل إلى ذهب في التغطية أما النقود الذهبية والسبائك الذهبية فلم تكن تشكل من التغطية شيئا يذكر بل كانت نسبتها في التغطية لا تزيد بأي حال من الأحوال عن ٣ بالمئة .

ولقد بقيت هذه الاتفاقية سارية المفعول من ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ حتى أيار ٢٩ أيار ١٩٣٧ « بالنسبة للبنان » وبديهي مما ذكرنا أنها كانت تربط الليرة اللبنانية - السورية بالفرنك الفرنسي . ولقد مر هذا الفرنك الفرنسي خلال هذه المدة بسلسلة من التقلبات التي أدت إلى تدهور قيمته ولم تكن أسباب هذا التدهور متصلة لا من قريب ولا من بعيد بلبنان ولا بسوريا لكن الليرة اللبنانية - السورية كانت مضطرة أن تتأثر في قيمتها في كل مرة تتأثر فيها قيمة الفرنك . وهكذا مني الشعب اللبناني والشعب السوري الذي يحمل النقود اللبنانية - السورية بخسائر فادحة من جراء تدهور قيمة نقودهما ، مما حدا بالناس إلى المحافظة على استعمال النقود المعدنية لا سيما الليرة الذهبية التركية وتحويل كافة الادخارات والمبيعات الكبيرة والمتوسطة من النقود اللبنانية - السورية الورقية اليها . ولقد أدى هذا الانخفاض في قيمة النقود اللبنانية - السورية إلى حاجة البلاد إلى اصدار كميات جديدة منها مما سبب تضخما نقديا وارتفاعا في الأسعار .



تجديد الاتفاقية ٥٢ سنة :

وفي أيار ١٩٣٧ تجددت اتفاقية ١٩٢٤ لمدة ٥٢ سنة بالنسبة للبنان أما عقد التجديد بالنسبة لسوريا الذي وقع في ١٢ شباط ١٩٣٨ فلم يوافق عليه مجلس النواب السوري . ولقد قضى التجديد بالمحافظة على « نظام قاعدة التبادل الفرنكي » ولكنه أضاف إلى ذلك التعديلات التالية ...

١ – إجبار البنك على ايجاد نسبة معينة في التغطية من الذهب على شكل نقود أو سبائك .

٢ – رفع النسبة المئوية للأوراق التجارية في التغطية من ٧ بالمئة إلى ١٢ بالمئة والغاء الحد الأقصى .

٣ – نص « الحساب أ » إلى ربع قيمة النقود المتداولة و « حساب ب » إلى ٦ بالمائة من التغطية الاجمالية .

أدى انكسار فرنسا سنة ١٩٤٠ ودخول جيوش الحلفاء إلى لبنان وسوريا إلى تغييرات كبيرة في النظام النقدي للبلاد . ففي ٨ حزيران ١٩٤١ وقبل احتلال جيوش الحلفاء « وفرنسا الحرة » البلاد أعلت الجنرال كاترو إلى اللبنانيين والسوريين قائلا « سوف تدخلون حالا في علاقات مع كتلة الاسترليني مما يفتح لكم مجالات واسعة بالنسبة لتجارة التصدير والاستيراد .

ارتباط الليرة اللبنانية – السورية بالفرنك :

وهكذا ارتبطت النقود اللبنانية – السورية بفرنك « فرنسا الحرة » وعادت اليها المعادلة التي كانت سائدة قبل الحرب أي عشرين فرنكا لكل ليرة لبنانية – سورية وكان هذا الربط بمثابة ملحق للاتفاق المالي الفرنسي – البريطاني المسمى باتفاق « ديغول – ايدن » .

وقد قضى هذا الاتفاق بتحديد قيمة فرنك فرنسا الحرة بالنسبة للجنيه الاسترليني كما كانت هذه القيمة قبل الحرب أي ١٧٦,٦٢٥ فرنكا لكل جنيه استرليني . وعندما امتد هذا الاتفاق إلى لبنان وسوريا تحددت قيمة الليرة اللبنانية – السورية بالنسبة لليرة الاسترلينية بمعدل ٨٨٣,١٢٥ قرشا لبنانيا – سوريا لليرة الاسترلينية الواحدة .

وبذلك أصبحت النقود اللبنانية – السورية مرتبطة بمنطقة الاسترليني ولكن الاسترليني بقي خاضعا للتنظيم العام للقطع الأجنبي ولم يكن مكتب القطع يسمح به إلا من أجل المدفوعات الخارجية التي تقتضيها حاجات أساسية جوهرية . ففي ١٢ تشرين الثاني ١٩٤١ أصدر المفوض السامي الفرنسي قراراً أنشأ بموجبه « مكتب القطع » وهو مكتب مستقل من المنافع العامة يعمل لحساب المفوضية العامة لفرنسا الحرة وتحت مسؤوليتها . ولقد أدخل هذا القرار أيضا تعديلات على عناصر التغطية إذ سمح للبنك بأن يدخل عليها السلفات التي يمنحها إلى مكتب القطع .

اتفاق نقدي جديد :

وعندما انتهى نظام الانتداب الفرنسي عام ١٩٤٣ طرأ على النظام النقدي اللبناني – السوري تعديل جديد . فلقد عقدت حكومتا

بريطانيا وفرنسا الحرة فيما بينهما اتفاقاً نقدياً ومالياً في كانون الثاني سنة ١٩٤٤ ثم دعتا حكومتي سوريا ولبنان إلى الانضمام إليه . ولقد وضع بروتوكول ملحق به ووقعه ممثلون عن حكومات فرنسا وبريطانيا وسوريا ولبنان . تم بموجبه ادخال النقود اللبنانية - السورية في كتلة الفرنك .

ولقد نجم عن هذا الاتفاق أن اصبح « مكتب القطع » مستقلا تديره لجنة مؤلفة من ثلاثة أعضاء وممثل عن الحكومة السورية وكانت مهمة هذه اللجنة اعداد النصوص الرامية إلى تنظيم مراقبة القطع الأجنبي في سوريا ولبنان بطريقة تنسجم مع القواعد العامة السارية ضمن كتلة الفرنك التي وضعت لمراقبة القطع الأجنبي ومع مصالح التجارة اللبنانية السورية .

ونجم عن هذا الاتفاق أيضا أن أصبح مكتب القطع مكتبا سوريا - لبنانيا ولقد وقعت اتفاقية لاحقة في ١٩ نيسان سنة ١٩٤٤ ، وقعها ممثلون عن الحكومتين اللبنانية - والسورية وعن بنك سوريا ولبنان وعن الحكومة الفرنسية وهي تقضي بنقل النقود الأجنبية الموجودة في مكتب القطع إلى بنك سوريا ولبنان لكي يستعملها هذا البنك كتغطية للنقود الورقية المتداولة .

ونجم عن الاتفاق من ناحية ثالثة أن أصبحت قيمة الليرة اللبنانية - السورية بالنسبة للفرنك الفرنسي ٢٢,٦٥ فرنكا لليرة الواحدة مما أدى إلى أن تحدد قيمة الليرة بالنسبة للاسترليني بواقع ٨٨٣ قرشا لبنانيا - سوريا للجنيه الاسترليني وأن تكون قيمة الاسترليني بالنسبة للفرنك الفرنسي ٢٠٠ فرنك .

الارتباط بثلاث عملات :

وفي سنة ١٩٤٧ وقع كل من لبنان وسوريا اتفاق بريتون وودز وأصبحتا بذلك عضوين في صندوق النقد الدولي وفي البنك الدولي وفي البنك الدولي للتعمير والانماء .

وبدخول لبنان وسوريا في صندوق النقد الدولي يكونان قد حددا نقدهما بالنسبة للذهب أو الدولار ويكونان قد تعهدا بالمحافظة على هذه النسبة التي اتفق عليها في قيمة الليرة اللبنانية - السورية حيال الذهب أو الدولار وذلك بالمحافظة على التوازن في ميزان مدفوعاتها الدولي .

ويلاحظ مما تقدم أن لبنان وسوريا أصبحا خاضعين لثلاث اتفاقات نقدية ومرتبطين بثلاث عملات ... الفرنك الفرنسي فيما يتعلق بالتغطية والاسترليني فيما يتعلق بشأن قيمة هذه التغطية والذهب أو الدولار فيما يتعلق بقيمة الليرة اللبنانية - السورية الرسمية الخارجية .

اعتبرت سوريا ولبنان أن اتفاق عام ١٩٤٤ يحترم مصالحهما . النقدية . ذلك لأن الفرنك الفرنسي لم يعد عملة تتمتع بالقوة الكافية لكي يسند وحده نقودا أخرى . ولقد طرأ على قيمة الفرنك تدهورات كثيرة وخرج بعد الحرب بمستقبل غير وثيق .

ولكن الأمر لم يدم طويلا على هذا المنوال . فعلى أثر تخفيض قيمة الفرنك في كانون الأول ١٩٤٥ اضطرت فرنسا حسب اتفاق ١٩٤٤ أن تنفذ تعهدها القاضي برفع قيمة التغطية للنقود اللبنانية - السورية والقاضي بزيادة موجودات بنك سوريا ولبنان ومكتب القطع من الفرنكات الفرنسية كل هذا بنفس نسبة خفض قيمة الفرنك ومع حساب هذه الفروقات وفقاً لسعر الصرف المحدد مسبقاً بالنسبة للجنيه الاسترليني . ومن جهة أخرى نشطت في تلك الأثناء حركة متواصلة في تحويل رؤوس الأموال السورية اللبنانية إلى عملات منطقة الاسترليني . ولقد كان هذا طبيعيا لأن الاسترليني كان عملة أقوى نسبيا من الفرنك وكان يعتبر ملجأ وملاذا من الفرنك المتدهور . ولقد أدت هذه العمليات إلى تشكيل رصيد كبير من القطع الأجنبي الأقوى من الفرنك . وكانت سوريا ولبنان يجدان حقهما في ذلك لأن تزايد كمية النقود المتداولة عندهما قد تأتي من اتفاقات الجيوش البريطانية في سورية ولبنان لكي يكون بمثابة تغطية للنقود الورقية السورية اللبنانية المصدرة حديثا لسد حاجة اتفاقات الجيوش البريطانية .

لكن فرنسا لم تحتمل أن تجد احتياطياتها من العملة الأجنبية تنسلخ عنها شيئا فشيئا لتضاف إلى حساب الليرة السورية السورية اللبنانية في بنوك الاسترليني . ولذلك فقد عمدت إلى توجيه مذكرة إلى الحكومتين اللبنانية والسورية تعلمها فيها نقضها لجزء من اتفاق ١٩٤٤ فقد أعلنت في هذه المذكرة ايقاف حرية شراء الاسترليني متذرعة بأن هناك تغيرات

عميقة قد طرأت على الوضع النقدي في الدولتين وأن هذا التطور سوف يزداد في المستقبل إذا بقيت الحالة على ما هي عليه .

وإن شراء اللبنانيين والسوريين لنقود منطقة الاسترليني إنما هدفه الرئيسي أما تسديد مدفوعات استيراد بضاعة غير ضرورية لحاجات البلاد وأما هجرة رؤوس الأموال ونزوحها . وعلى أثر هذا القرار أصبح الاسترليني عملة صعبة أو نادرة بالنسبة لسوريا ولبنان وأصبح خاضعاً لقوانين مراقبة القطع الأجنبي وعادت الليرة اللبنانية السورية غير مرتبطة إلا بالفرنك الفرنسي لوحده في الأسواق العالمية . ولم تعد مقبولة إلا في الأمكنة التي تقبل الفرنك الفرنسي وكلما كان الفرنك الفرنسي يضعف لاسباب لا علاقة لسوريا ولبنان بها كانت الليرة اللبنانية السورية يلحقها الضعف أيضاً .

ولقد حارت السلطة الفرنسية كيف تتصرف ازاء تعهداتها المنصوص عنها في اتفاق ١٩٤٤ لا سيما بعد أن خفضت قيمة الفرنك سنة ١٩٤٥ إذا ان هذا الخفض اضطر فرنسا أن تدفع إلى بنك سوريا ولبنان مبلغ ١٦,٦ مليار فرنك بموجب اتفاق ١٩٤٤ . فثارت ثائرة الأوساط المالية الفرنسية وطلبت من الحكومة الفرنسية ايجاد مخرج لهذا المأزق . وفي ٢٠ آب ١٩٤٧ وجهت الحكومة الفرنسية إلى الحكومتين اللبنانية والسورية مذكرة أعلنت فيها نقضها التام لاتفاقية ١٩٤٤ . وذلك دون ان تأخذ رأي الحكومتين او تدخل في مفاوضة معهما .

لبنان وكتلة الفرنك :

وعلى أثر هذا النقض احتجت الحكومتان اللبنانية والسورية ونشطت الدعوة إلى الخروج من كتلة الفرنك فاضطرت الحكومة الفرنسية أن تدخل مع الحكومتين في مفاوضات انتهت بعقد اتفاق نقدي بين فرنسا ولبنان في ٦ شباط ١٩٤٨ . أما بالنسبة لسوريا فقد رفضت أن تعقد اتفاقاً مماثلاً مع فرنسا وأعلنت انسحابها من كتلة الفرنك وبدأت تنظيم مراقبة القطع فيها على أسس سورية بحتة .

يعالج هذا الاتفاق بصورة رئيسية الموجودات بالفرنكات الفرنسية في بنك سوريا ولبنان بوصفه مؤسسة الاصدار اللبنانية ويعالج أيضاً ضبط حركة انتقال الأموال بين منطقة الفرنك وبين لبنان . ويعالج الاتفاق أيضاً ضمانة الصرف بالنسبة لسعر الاسترليني المحدد والذي وافقت عليه في اتفاق ١٩٤٤ فيما يتعلق بالموجودات من الفرنك الفرنسي في بنك سوريا ولبنان .

ولقد أدى هذا الاتفاق بين لبنان وفرنسا وانفراد لبنان بعقد الاتفاق مع فرنسا من دون سوريا إلى نتائج عميقة في العلاقات الاقتصادية بين الدول الثلاث .

وأهم هذه النتائج التمييز الذي ظهر لأول مرة بين الليرة اللبنانية والليرة السورية . فقبل هذا التاريخ كانت الليرتان سائدتين في الدولتين بدون تمييز . ولكن منذ أن وقع الاتفاق اللبناني الفرنسي ومنذ أن خرجت سوريا من كتلة الفرنك قامت عملتا شراء للعملة السورية في لبنان وللعملة اللبنانية في سوريا ثم جرت مقاصة تركت لبنان دائنا لسوريا بمبلغ ٤٤ مليون ليرة .

أما النتيجة الثانية التي تمخضت عن الاتفاق اللبناني الفرنسي فهو انقسام مكتب القطع إلى مكتب لبناني ومكتب سوري وتوقفت حرية عملية التحويل بين البلدين .

والنتيجة الثالثة أن سوريا جمدت التغطية من الفرنكات بالنسبة للعملة السورية واتخذت اجراءات شديدة تضبط فيها عمليات تحويل النقود إلى الخارج .

ولقد كان الانفصال النقدي بين لبنان وسوريا أولى مراحل الانفصال الاقتصادي والجمركي الذي تم في آذار ١٩٥٠ .

زيادة التغطية الذهبية :

ولقد حرص لبنان بعد ذلك على تخفيض ارتباطه بالفرنك الفرنسي إذ أخذ يشتري كميات من الذهب لتغطية الليرة اللبنانية وبذلك تناقضت نسبة الفرنكات الفرنسية من التغطية وأخذت نسبة الذهب تتراوح بين ٧٩ و ٨٣ و ٩٤ بالمئة مما ضمن للبنان نقداً قويا ثابتاً مضمونا بالذهب من جهة وبنشاطه المالي والاقتصادي من جهة ثانية وبوجوده عضواً في صندوق النقد الدولي من حيث جهة مركز الليرة اللبنانية على الصعيد الدولي .

ويواجه لبنان اليوم مستقبلا نقديا أكثر استقلالا من الماضي لا سيما بعد أن انتهى أجل العقد مع بنك سوريا ولبنان سنة ١٩٦٤ وبعد

أن صدر في المراسيم الاشتراعية لسنة ١٩٥٩ مرسوم بانشاء مجلس للنقد والتسليف كان الجهاز الذي تمخضت عنه سلطة نقدية وطنية عليا في لبنان هي البنك المركزي اللبناني .

الليرة اللبنانية والذهب :

منذ استقلال الليرة اللبنانية عن الفرنك الفرنسي وصدور قانون النقد اللبناني في ٢٤ أيار ١٩٤٩ كانت الرغبة في تعزيز تغطية الليرة اللبنانية . فلقد دفعت التخفيضات المستمرة للفرنك الفرنسي الحكومة اللبنانية إلى القيام بعملية تحويل العملات الأجنبية في التغطية إلى ذهب وشراء كمية اضافية منه فيما بعد . ونتيجة لذلك ارتفعت نسبة التغطية الذهبية من ٢٪ مجموع الأوراق النقدية المصدرة عام ١٩٤٨ إلى ٥٥٪ عام ١٩٥٢ ثم إلى ٩٥٪ عام ١٩٥٥ كما تراوحت فيما بعد عند حدود ٨٥٪ .

ولقد أدى هذا الارتفاع في نسبة التغطية إلى زيادة الثقة بالنقد اللبناني بالاضافة إلى توفر عوامل أخرى مساعدة كان منها مصرفيا حرية القطع الأجنبي وسرية المصارف وتشجيع دخول الرساميل العربية والأجنبية . ثم نمو وتوسع الاقتصاد اللبناني بالاضافة إلى الاستقرار السياسي في لبنان في الوقت الذي كانت دول المنطقة تعاني من تغيرات سياسية واقتصادية حادة في انظمتها .

لهذه الأسباب ارتفعت قيمة الليرة اللبنانية وتثبتت دعائمها في الوقت الذي حافظ فيه سعر الذهب على استقراره ٣٨ دولاراً للأونصة حتى عام ١٩٧١ وبعدها عرفت معظم العملات والذهب تغيرات شديدة في أسعارها .

تطور أسعار الذهب :

يعود ارتفاع أسعار الذهب إلى عام ١٩٧١ عندما قررت الولايات المتحدة فك ارتباط قيمة الدولار بالذهب الذي كان يتم تداوله بين المصارف المركزية في ذلك الوقت بقيمة ٣٨ دولاراً للأونصة الواحدة . ولقد اضطرت الحكومات الأعضاء في صندوق النقد الدولي عام ١٩٧٢ إلى رفع سعر الذهب الرسمي إلى ٤٣,٢ دولارا للأونصة في الوقت الذي كان سعره يرتفع في الأسواق الحرة بسرعة كبيرة من ٣٨ دولاراً عام ١٩٧١ إلى ٧٠ دولاراً عام ١٩٧٢ ثم إلى ١٢٧ دولاراً عام ١٩٧٣ مما أجبر صندوق النقد الدولي على التخلي عن نظام السعر المزدوج للذهب والسماح للمصارف المركزية ببيع ما لديها من ذهب على أساس أسعار السوق الحرة ومنعها من شرائه كي لا تساهم في ازدياد الطلب ورفع الأسعار .

ثم كان عام ١٩٧٤ عندما أعلنت الولايات المتحدة الغاء القانون الذي يمنع مواطنيها من شراء الذهب مما أدى إلى التهافت الكبير على شرائه فارتفع سعره من جديد في أواخر عام ١٩٧٤ إلى ١٩٥,٥ دولار للأونصة الواحدة ثم قامت الحكومة الأميركية عام ١٩٧٥ ببيع ١,٣ مليون أونصة لحمل أسعار الذهب على الهبوط ورافق ذلك الغاء السعر الرسمي للذهب وبيع جزء من مخزون صندوق النقد الدولي مما ساهم في هبوط سعر الذهب خلال عام ١٩٧٥ و ١٩٧٦ ثم عادت أسعاره إلى الارتفاع عام ١٩٧٧ مع تقلبات أسعار صرف الدولار ونظراً لتفاقم وضع الدولار قررت الادارة الاميركية في نيسان ١٩٧٨ بيع ١,٨ مليون أونصة خلال الأشهر الستة التالية على أساس ٣٠٠ ألف أونصة كل شهر . وفي شهر تشرين الثاني من نفس العام تم رفع كمية المبيعات الشهرية إلى ٧٥٠ ألف أونصة ثم تم فيما بعد مضاعفتها أيضا الى ١,٥ مليون أونصة ضمن برنامج كارتر لدعم الدولار . وبعد أن استعاد الدولار قوته الذاتية عادت الخزينة الأميركية وخفضت كميات مبيعاتها الشهرية إلى ٧٥٠ ألف أونصة وقد قابل ذلك ارتفاع في أسعاره حيث تعدى سعر الأونصة الحاجز النفسي ٣٠٠ دولار ثم حاجز ٤٠٠ دولار كما عرف بعد ذلك تغيرات حادة وتقلبات سريعة ، بدرجة أنه بلغ حوالي ٨٠٠ دولاراً بعد التدخل السوفياتي لافغانستان .

قيمة الليرة اللبنانية بالذهب :

تخلى قانون النقد والتسليفات لعام ١٩٦٣ عن المعادلة السابقة لليرة اللبنانية بالذهب / ٤٠٥,٥١١٢ ملغرام من الذهب الخالص لكل ليرة حسب قانون النقد اللبناني لعام ١٩٤٩ ونص على تحديد قيمة الليرة بالذهب بموجب قانون لاحق . وذلك سبب اختلاف قيمة الليرة اللبنانية في السوق الحرة بالنسبة للدولار وبالتالي إلى القيمة المساوية له ذهبا في ذلك الحين عن القيمة الاسمية لدى صندوق النقد الدولي .

ولقد أدى ذلك إلى وجود سوق صرف لليرة الأول سعر السوق الحر الذي يستعمل في جميع العمليات الخاصة والثاني السعر الرسمي أو السعر القانوني الانتقالي بموجب المادة ٢٢٩ من قانون النقد والتسليف التي حددت السعر الانتقالي على أساس أنه سعر الصرف الحقيقي المقرر لليرة اللبنانية قياساً إلى الدولار محدداً بوزنه من الذهب .

ولقد أعيد بحث السعر الانتقالي القانوني من جديد بعد التراجع الذي لحق بالدولار عام ١٩٧١ وتخفيضه نظراً لأن المادة ٢٢٩ من قانون النقد والتسليف كانت تحدد السعر الانتقالي لليرة بالنسبة للدولار - المساوى ٠,٨٨٨٦٧١ غرام من الذهب الخالص . لذلك فان تخفيض سعر الدولار بنسبة ٧,٨٪ فرض اعادة تحديد السعر القانوني ، ولهذه الغاية وضع مجلس الوزراء في أيار ١٩٧٢ مشروع قانون يخول الحكومة خلال ستة أشهر من تاريخ اقراره ونشره تحديد سعر انتقالي جديد لليرة بعد استشارة مصرف لبنان وصندوق النقد الدولي . ولكن لم يتم التصويت على مشروع القانون واستمر الوضع على ما هو عليه إلى أن أصدر وزير المالية في ٢٨/٣/٧٣ القرار رقم ٨٨٣ باعتماد السعر الوسطي الشهري سعراً للقطع على أساس متوسط الأسعار الفعلية في سوق بيروت . ولقد تم تصديق الاجراءات المتخذة بشأن اعتماد سعر الذهب الجديد بالنسبة للدولار الأميركي واعتماد المعدلات الواقعية للعملات الأجنبية بالنسبة لليرة اللبنانية في المرسوم رقم ٦١٠٤ وكذلك اعطيت الحكومة صلاحية تحديد سعر انتقالي جديد لليرة اللبنانية في المرسوم رقم ٦١٠٥ الصادر في ٥/١٠/١٩٧٣ .

ماذا كانت النتائج ؟

لم يتم حتى الآن تحديد سعر رسمي لليرة اللبنانية رغم أن القانون الذي أعطى استقلالها نص في مادته الأولى على تحديد قيمتها بالنسبة الى الذهب . كما أعطيت الحكومة اللبنانية مجدداً في المرسوم رقم ٦١٠٥ الصادر في ٥/١٠/١٩٧٣ صلاحية تحديد سعر انتقالي قانوني جديد لليرة اللبنانية . ونتيجة ذلك بقي نظام القطع المتبع في لبنان النظام العائم الذي يترك فيه للسوق تحديد القيمة الخارجية لليرة اللبنانية . ولقد دافع عن هذا الموقف خاصة مصرف لبنان نظراً لقناعته بعدم جدوى التدخل في سوق بيروت المقترحة على كافة الأسواق الدولية وبالتالي المعرضة لجميع المتغيرات والتأثيرات التي تلحق بقيمة العملات الأجنبية . ولقد أوضح ذلك حاكم مصرف لبنان السابق الرئيس الياس سركيس قائلا « إن الدعوة إلى تحديد سعر رسمي لليرة وتثبيته وهي دعوة إلى مغامرة أقل ما يقال فيها أنها مجهولة النتائج » .

ارتفاع قيمة التغطية الذهبية لليرة فلقد بلغ وزن الذهب في التغطية ٩,٢ مليون أونصة كانت مسعرة ٣٨ دولاراً حتى عام ١٩٧٢ وفي عام ١٩٧٣ تم اعتماد سعر الذهب الجديد بالنسبة للدولار الأميركي وهو ٤٢,٢ دولاراً للأونصة وبلغت قيمة التغطية الذهبية بالدولارات ٣٨٩,٣ مليون دولار ..

وما زالت قيمة التغطية الذهبية تقوم على هذا السعر في حين أن سعر الأونصة ارتفع إلى ما يقارب العشرة أضعاف ولو حاولنا نظرياً اعادة تقويم مخزون الذهب بسعر متحفظ يدور حول ٣٥٠ دولاراً للأونصة لوجدنا أن قيمة التغطية الذهبية تبلغ ٣٢٢٠ مليون دولار بدلا من ٣٨٩ مليون دولار أي ما يزيد عن سبعة أضعاف السعر المسجل في بيانات البنك المركزي وإذا ما قارنا قيمة التغطية بالنقد في التداول بتاريخ ١٥/١٠/٧٩ على أساس ٣٥٠ دولاراً للأونصة وبسعر وسطي للدولار ٣٢٦ قرشا لشهر تشرين أول ١٩٧٩ لوجدنا أن قيمة التغطية الذهبية ترتفع إلى ١٠,٨١٩ مليون ليرة لبنانية مقابل ٣٦٤٥ مليون ليرة في التداول أي بنسبة ٢٩٧٪ أو ثلاثة أضعاف تقريباً وإذا ما أضفنا إلى التغطية الذهبية العملات الأجنبية التي تشكل من الغطاء في ذلك التاريخ ١٥/١٠/١٩٧٩ والبالغ مجموعها ١٦٤٨ مليون ليرة لبنانية فان نسبة التغطية ذهب وعملات أجنبية إلى نقد في التداول ترتفع إلى ٣٤٢٪ أو ثلاثة أضعاف ونصف ولا شك أن هذا الأمر يدل على مقدار ارتفاع تغطية الليرة وقوتها . لكن أحداث السنوات الأخيرة غيرت من سلوك الليرة .

تطور سعر الليرة :

تأثرت أسعار صرف الليرة خلال الفترة ١٩٧١ - ١٩٧٩ بأسعار الدولار خاصة

وبظروف الحوادث في العام ١٩٧٥ ولقد عرف سعر الليرة خلال هذه المدة مرحلتين أساسيتين .

أولا من عام ١٩٧١ حتى بداية الأحداث حيث انعكست أسباب أزمة النقد الدولية ووفرة دخول الرساميل على وضع الليرة اللبنانية فانخفضت قوتها الشرائية داخليا بينما ارتفعت قيمتها الخارجية حيث أدى إلى زيادة حجم الانفاق النقدي بنسبة أكبر من الزيادة في عرض السلع والخدمات إلى التأثير على مستوى الأسعار . بالاضافة إلى ارتفاع أسعار السلع والمواد المستوردة من الخارج وتعرضها في الداخل لعملية تضخيم نتيجة الاحتكار وتعدد الوسطاء ..

لكن سعر الليرة ارتفع بالنسبة لقيمة العملات ١٦,٦٪ على الدولار عام ١٩٧٣ و ١٢,١٪ عام ١٩٧٤ . كذلك بالنسبة للاسترليني ١٢,١٦٪ و ١٧,٥٪ على التوالي عام ١٩٧٣ و ١٩٧٤ . وتعود أسباب هذا الارتفاع خاصة إلى زيادة المعروض من العملات الأجنبية في سوق بيروت وإلى قلب الليرة والتخلي عن العملات الأجنبية في ذلك الحين . ولم يكن في وسع مصرف لبنان مواجهة هذه الهجمة إلا في أواخر عام ١٩٧٤ عندما قيد التسليفات وحاول رفع قيمة الدولار في سوق بيروت .

ثانيا – وعلى عكس ذلك تغير سلوك الليرة اللبنانية خلال الأحداث وفقدت من قيمتها الداخلية والخارجية معا ، فلقد أدت حرب السنتين والوضع غير المستقر الذي مرت به البلاد إلى انخفاض حقيقي في قيمة الليرة داخليا نتيجة التسلل الذي أصاب الاقتصاد اللبناني بقطاعاته المختلفة خاصة الصناعة والسياحة بالاضافة إلى انقسام وانغلاق الأسواق الداخلية وعدم انتظام الاستيراد من الخارج نتيجة الأحداث الأمنية خاصة في مرفأ بيروت والخوف من تخزين كميات كبيرة من السلع مما جعل السوق المحلي غير مشبع بالمواد والسلع كما كان الأمر في السابق هذا بالاضافة إلى غياب المنافسة وظهور أشكال جديدة من الاحتكار والتحكم بالأسواق تظهر بشكل واضح في الظروف الأمنية غير المستقرة .

هذا على الصعيد الداخلي أما بالنسبة للقيمة الخارجية لليرة فلقد عرفت أيضا تراجعا محسوسا بالنسبة للدولار وغيره من العملات الأجنبية نتيجة تراجع الصادرات وزيادة التحولات إلى الخارج خاصة خلال حرب السنتين وبالمقارنة مع عام ١٩٧٤ بلغ المعدل الوسطي لتراجع صرف الليرة اللبنانية عام ١٩٧٧ ما يلي ...

٣٤,٥٪ للدولار و ٣٨,٧٪ للمارك الألماني و ٤٠,٦٪ للفرنك السويسري و ٥٠٪ للين الياباني .

وخلال النصف الأول من عام ١٩٧٨ حصل بعض التحسن في وضع الليرة اللبنانية إلا أن عودة الانتكاسة الأمنية أثر من جديد على وضع الليرة ثم جاء عام ١٩٧٩ مع ارتفاع أسعار الفوائد على العملات الأجنبية وارتفاع أسعار الذهب ليضعف من جديد من وضع الليرة ويغرى حامليها بالتحول نحو العملات الأجنبية الأكثر عائدة .

الموقف من الليرة اللبنانية :

قد يختلط الأمر على غير المختص ويجد أن هناك تناقضا بين ارتفاع التغطية على الليرة اللبنانية وانخفاض قيمتها الداخلية والخارجية . في حين أن قيمة النقد تتأثر بعوامل عدة اقتصادية ونفسية أهمها ثبات الأسعار والرغبة بالاحتفاظ بالعملة وعدم التخلي عنها لعملة أخرى قد تبدو أكثر ضمانا أو عائدا . إن قيمة النقد تساوي مقلوب مستوى الأسعار فاذا ارتفع مستوى الأسعار إلى النصف فهذا يعني انخفاض في قيمة النقد إلى النصف .

لقد عرف لبنان خلال السنوات الأخيرة ارتفاعا كبيرا في الأسعار نتيجة شلل القطاعات الاقتصادية وعدم انتظام الأستيراد وانقسام الأسواق وازدياد حدة الاحتكار . هذا بالاضافة إلى ارتفاع معدلات الأسعار والتضخم في الخارج . ولا شك أن هذه الأمور قد عكست أثارها على قيمة النقد اللبناني رغم تغطيته العالية وما تشكله من ثقة في العملة الوطنية لكن توفر عنصر التغطية لا يكفي وحده للاطمئنان على صحة النقد فيلزم تحريك عجلة الانتاج وتنفيذ مخططات الانماء والأعمار لتجاوز مآسي الحرب ونتائجها .

والجدير بالذكر أن موضوع قيمة النقد من صلب اهتمام الحكومات والسلطات النقدية فمن الواجب ، والحالة هذه الحد من تأثيرات تقلبات السلبية على الفرد والمجتمع .

اعداد مركز النشر اللبناني
في وزارة الاعلام

تيتو

تاريخ في رجل

إيمان نويهض

جوزيب بروز (تيتو)



ولد جوزيب بروز من أب كرواتي وام سولفانية يوم ٢٥ أيار من سنة ١٨٩٢ في قرية كسروفاك وعاش حياة فقر ، تلقى فيها بعض العلوم وعمل في بلدة سيساك عاملا للأقفال فعاملا في مصانع الحديد والصلب فميكانيكيا .

انضم الى نقابة عمال الصلب والحديد والحزب الاشتراكي الديمقراطي في كروانيا ثم حارب في الحرب الأولى سنة ١٩١٤ بالرغم من موقفه المعادي للحروب



تيتو في زيلينغورا في تموز ١٩٤٣

وابلى بلاء حسنا على جبهة كارباثيا سنة ١٩١٥ لكنه اعتقل على يد الجيش الروسي فيما بعد .

افرج عنه سنة ١٩١٨ في روسيا فانضم الى الجيش الاحمر وعاد سنة ١٩٢٠ الى كرواتيا مع زوجة روسية (طلقها سنة ١٩٣٥) عاملا ميكانيكيا وعضوا بالحزب الشيوعي الذي اعتقل بسببه سنة ١٩٢٣ و١٩٢٥ . سنة ١٩٢٧ اصبح عضوا في اللجنة المحلية في زغرب ممثلا للمكتب السياسي وسكرتيرا عاما للجنتي كرواتيا وسولفانيا .

سجن لمدة خمس سنوات (١٩٢٨ – ٣٤) وبعد الافراج عنه اصبح عضواً في اللجنة المركزية وانتحل اسماء عدة منها اسم « تيتو » الذي ما زال يلازمه .

سنة ١٩٣٥ اشترك في المؤتمر السابع للكوفترن في موسكو وانتدب من قبله سكرتيراً عاماً للحزب الشيوعي اليوغوسلافي بعد حلهم للقيادة السابقة .

دعم تيتو الجمهوريين في الحرب الأهلية الاسبانية ورفض دخول الحرب العالمية الثانية حتى كان الهجوم الألماني على يوغوسلافيا في ٦ نيسان ١٩٤١ والاتحاد السوفياتي في ٢٢ حزيران .

دعا تيتو جميع القوميات الى الانتفاض ضد النازيين فكانت قيادة جديدة الى جانب قيادة درازا ميهاجلوفيك الذي يؤيد الملكية وحكومة المنفى .

انتشرت حركة الأنصار (بقيادة تيتو) بسرعة في كل انحاء يوغوسلافيا واصطدمت مع الملكيين فكانت الحرب الأهلية خريف ١٩٤١ . وقامت القوات النازية بأكثر من محاولة لسحق قيادة حركة الانصار ولكن تيتو تمكن في كل المرات ان ينجو باعجوبة بالرغم من تكبده الخسائر الجسيمة .

مع انهيار قوات المحور انشأ تيتو « مجلس مناهضة الفاشية لحركة التحرير الوطني اليوغوسلافي » واقام حكومات مؤقتة في كل انحاء يوغوسلافيا فاضطر الحلفاء في مؤتمر طهران الى الاعتراف به وبحركة الانصار محولين دعمهم المادي من درازا ميهاجلوفيك الى تيتو .

دخل السوفيات يوغوسلافيا سنة ١٩٤٤ فكانوا عاملا مساعدا لحسم الحرب الأهلية لصالحه وهزيمة الجيوش الألمانية التي تراجع آخرها في ١٥ ايار ١٩٤٥ .

بعد مؤتمر يالطا سنة ١٩٤٥ قبل تيتو ادخال بعض ممثلي الملكية والمنفيين الى حكومته ولكن سيطرة تيتو الكاملة دفعت هؤلاء الى الاستقالة ومقاطعة الانتخابات في ١١ تشرين الثاني ١٩٤٥



تيتو سنة ١٩٤٢



القائد الشعبي ... دائما في رفقة العمال

التي انتهت باعلان جمهورية فيدرالية شعبية في ٢٩ تشرين الثاني .

ظل تيتو على رأس الحكومة حتى سنة ١٩٥٣ عندما استحدث منصب رئاسة الجمهورية فتبوأه واصبح رئيسا لمدى الحياة سنة ١٩٦٣ .

انتهج تيتو سياسة مستقلة عن الشرق والغرب فاصطدم مع العرب اولا ثم الاتحاد السوفياتي الذي كانت نتيجته حصاراً اقتصادياً حول يوغوسلافيا دفع بها نحو تحسين علاقاتها مع الغرب قليلا .

مع مجيء خروشوف وتأييده فكرة تيتو سنة ١٩٥٥ ، القائلة بحق الشعوب في اختيار طريقها نحو الاشتراكية ، تبدلت علاقة يوغوسلافيا بالاتحاد السوفياتي نحو الأفضل .

سنة ١٩٥٣ اصبحت يوغوسلافيا « الجمهورية الفدرالية الاشتراكية اليوغوسلافية » والتزم رئيسها تيتو بالحياد الايجابي وترأس الى جانب عبد الناصر ولال نهرو زعامة المؤتمر الاول لدول عدم الانحياز .

تنقل تيتو كثيرا بين دول العالم الثالث داعما فكرة عدم الانحياز وعارض الدخول السوفياتي الى تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ ، لكنه لم ينس الوضع الداخلي المميز ليوغوسلافيا المكونة من عدة قوميات فأنشأ قيادة جماعية سنة ١٩٧٠ لتعاونه في تسيير دفة البلاد وتحل مكانه فيما بعد خاصة بعد ان كبر بالسن وداهمه المرض .

حملت السبعينات انفتاحا نسبيا ليوغوسلافيا على الغرب والشرق الاقصى وكانت رحلات تيتو العديدة عاملا على تحسين العلاقات بالرغم من تقدمه بالسن ومرضه الشديد .

وتحل الثمانينات بأول سنينها وهي تنقل اخباراً عن حالة صحية متدهورة لزعيم يوغوسلافيا وتحمل تساؤلات كثيرة عن مستقبل يوغوسلافيا بعد وفاة نقطة تلاحم ابنائها . ■

صور من التاريخ

أحْدَاث

إعداد : قسم التوثيق والأبحاث





بعد اثنتي عشرة سنة ما زال العالم يسمع هدير الأيام الساخنة من أيار ١٩٦٨ في فرنسا ويتذكر فترة محدودة لعبت دوراً ملموساً في تغيير الوضع الداخلي الفرنسي وإبراز ما عرف باليسار الجديد والشباب الراقص وموجة التغيير.

أيار ١٩٦٨ – حركة طالبية شعبية قامت ضد نظام ديغول فهزت أركانه وكانت عاملا اساسا في سقوطه لاحقا.

أيار ١٩٦٨ – حركة دامت حوالي الشهرين، انطلقت من كلية الآداب في جامعة نانتير مارة بالسوربون لتشمل فرنسا من أدناها إلى أقصاها.

ابتدأت حركة أيار في أواسط نيسان ١٩٦٨ بتحركات طالبية محدودة من إضراب وتظاهر لم يعرها أحد انتباهه حتى كان قرار وزير التربية الفرنسي باغلاق كلية الآداب في جامعة نانتير.

أوائل أيار ١٩٦٨ أعلن طلبة السوربون في باريس الاضراب تأييداً لزملائهم في جامعة نانتير. تحرك عميد السوربون، اتصل بالشرطة التي دخلت السوربون وكانت صدامات بين الشرطة والطلاب اصيب فيها حوالي أربعين شخصا واعتقل ٥٢٧ .. كانت الشرارة.

وجه الاتحاد الوطني الطالبي في فرنسا الدعوة إلى كافة الطلاب للاضراب العام احتجاجاً في جميع أنحاء فرنسا وحتى الافراج عن الطلبة المعتقلين. قامت التظاهرات في باريس واشتبك ألوف الطلاب مع الشرطة على ضفة نهر السين اليسرى فكثرت الاصابات والتف الأساتذة



حول طلابهم داعمين لمواقفهم ومطالبهم ومعارضين لتقليدية الجامعة والتعليم وقمع الشرطة.

عند ذلك وافق رئيس الجمهورية شارل ديغول ووزير التربية الان بييرفيت على تحديث الجامعة ولكن ليس تحت ضغط العنف .. وكانت اشتباكات جديدة ذلك اليوم (٧ أيار ١٩٦٨) في الحي اللاتيني من باريس الذي تحول إلى ساحة حرب وانتقلت العدوى منه إلى كافة جامعات فرنسا.

في ١٠ أيار أعيد فتح جامعة نانتير ولكن وزير التربية أصدر قراراً باستمرار إغلاق السوربون فتحولت المعركة بين الطلاب والسلطة الفرنسية من معركة نقابية إلى حرب سياسية ترجمت على مستوى الشارع حرب عصابات واشتباكات مستمرة مصحوبة بدعوات صريحة وهتافات عالية تطالب بسقوط شارل ديغول.

الطلاب يحرقون السيارات، يحطمون واجهات المحلات والشرطة لا تتوانى عن استعمال أحدث وسائل تفريق المظاهرات والوضع العام دفع كافة الفئات الاجتماعية إلى حالة استنفار ووضعها أمام اختيار صعب.

اجتماع طارئ للحكومة الفرنسية في ١١ أيار، والنقابتان العماليتان (الاتحاد العام للعمال واتحاد العمال الفرنسيين) تدعوان إلى إضراب لمدة ٢٤ ساعة تاييداً للطلاب. الأحزاب اليسارية الشيوعية والاشتراكية والمتطرفة تقف إلى جانب الحركة الطلابية.



بالرغم من اعلان جورج بومبيدو، رئيس الحكومة الفرنسية، عن اعادة فتح جامعة السوربون يوم ١٣ ايار، أعلن كوهن بنديت زعيم الحركة الطلابية ان النضال مستمر وأن الصدام مع السلطة لن يتوقف.

وأتى يوم ١٣ أيار... ولم تتوقف الحركة، بل سار أكثر من مئة ألف عامل وطالب وأستاذ في أكبر مظاهرة شهدتها باريس منذ العام ١٩٥٨ تطالب بحقوق كافة الفئات الاجتماعية، وواكب المظاهرة إضراب عام شمل حركة المواصلات والصحف..

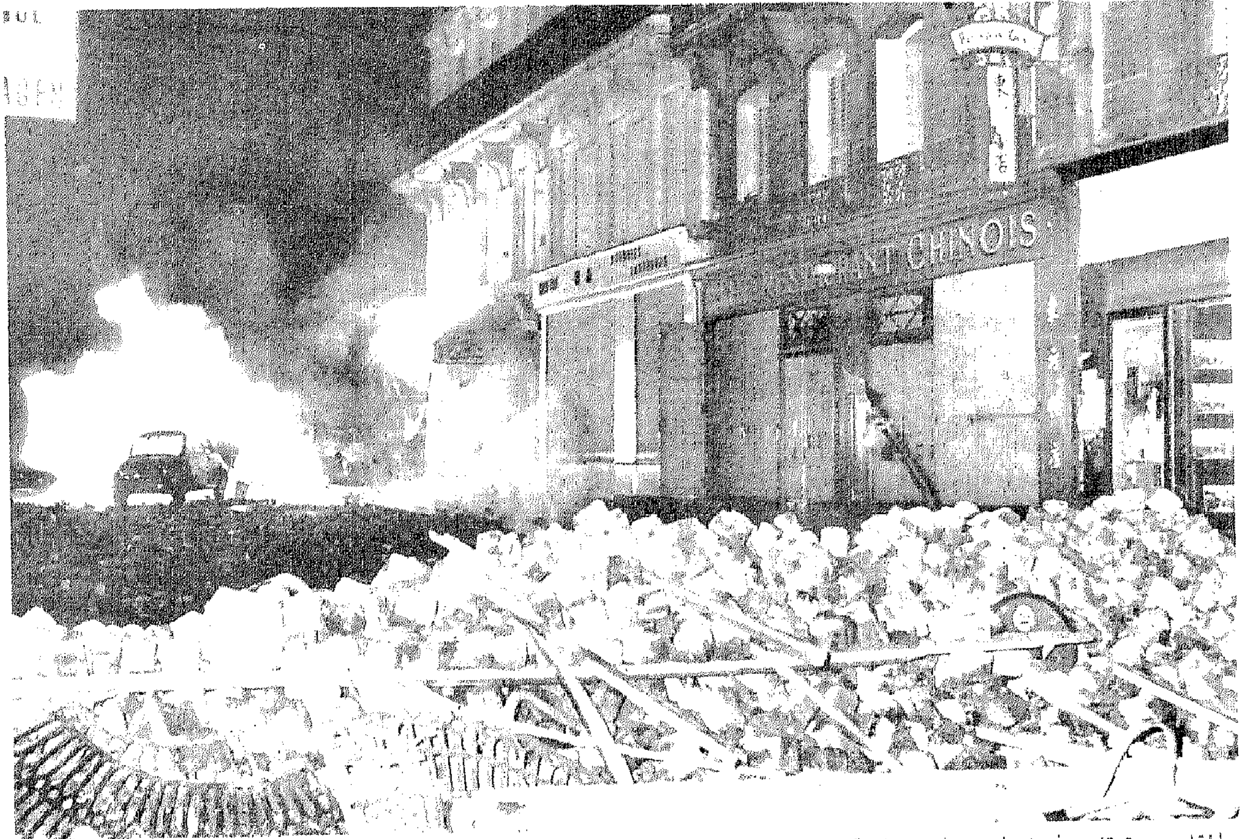
يوم ١٣ أيار.. نادى الطلاب باقالة وزير الداخلية ومدير شرطة باريس.

الرئيس شارل ديغول لم يهتز.. سافر إلى رومانيا في ١٤ أيار ضمن زيارة رسمية مقررة سابقا. وفي ١٦ أيار وسع الطلاب دائرة سيطرتهم من جامعة السوربون (التي أعادوا السيطرة عليها قبل أيام) إلى مسرح الاوديون وشددت الشرطة الفرنسية حمايتها لبرج ايفل، كما طالب اليسار الفرنسي بلسان فرنسوا ميتران باقالة الحكومة.

يوم ١٧ أيار، ١٠٠ ألف عامل يضربون والطلاب يدعون إلى مظاهرة شعبية تنطلق نحو مصانع سيارات الرينو للتلاحم مع العمال بالرغم من معارضة الحزب الشيوعي الذي رفض تدخل الطلاب في شؤون العمال.

في اليوم التالي قطع ديغول زيارته لرومانيا وعاد إلى باريس ليواجه اضرابا شاملا يعم فرنسا ووضعا اقتصاديا شبه منهار. توسعت الاضرابات خلال أيام فشملت الاذاعة والمصارف والجمارك والمناجم من ناحية اخرى الوزارة كثفت اجتماعاتها وواجهت «مشروع لوم» تقدم به ممثلو اليسار الفرنسي في الجمعية الوطنية لكنه فشل في الحصول على الأكثرية.

نصف عمال فرنسا مضربون والجيش حل مكان عمال التنظيفات في شوارع



المتاريس ترتفع في شوارع باريس ليلة ١٠ أيار الساخنة



السبت ١١ أيار ١٩٦٨ .. ظهراً في شارع غي لوساك في باريس .

باريس والاتحادات العمالية تدعو كافة العمال إلى الاضراب العام .

في ٢٤ أيار وجه ديغول رسالة إلى الأمة أعلن فيها عن نيته باقامة استفتاء شعبي حول « إعطاء الدولة فرصة أخرى للتجديد » . رفض اليسار والمتطرفون فكرة الاستفتاء معتبرين أنها محاولة للتمييع . وفي الوقت نفسه وافقت الاتحادات العمالية على بدء التفاوض مع حكومة بومبيدو حول مطالب العمال .

يوم ٢٦ أيار ابتدأت المفاوضات بين الحكومة وممثلي العمال للبحث في زيادة الأجور وتخفيض ساعات العمل وتوصل هؤلاء إلى اتفاق مبدئي رفضته القاعدة العمالية ففشل قبل أن يبصر النور .

استقال وزير التربية الان بيرفيت يوم ٢٨ أيار ولكن التظاهرات استمرت بعنف بارز وترافقت بتساؤل أجهزة الأعلام عن سر اختفاء الرئيس ديغول وغيابه عن اجتماع مجلس الوزراء . وعاد ديغول بعد ذهابه إلى جهة مجهولة ليعلن



زعماء الحركة الطلابية الفرنسية (كوهن بنديت يظهر إلى اليمين) .

مظاهرة ١٣ أيار التاريخية .. أكبر مظاهرة منذ ١٩٥٨ .





وقبل حله الجمعية الوطنية .

في الثلاثين من أيار عن حل الجمعية الوطنية والدعوة إلى انتخابات عامة جديدة في نهاية شهر حزيران .

اختلطت الأوراق وقامت تظاهرات حاشدة في فرنسا لدعم قرار ديغول والهتاف ضد اليسار والشيوعيين .

وافق اليسار على الانتخابات بينما اعتبرها زعماء الطلبة المتطرفون مؤامرة ضدهم ومحاولة من السلطة لحماية نفسها وبعد ذلك أخذت وطأة التحركات تخف مع استمرار المفاوضات بين الحكومة وممثلي العمال فوافقت الأولى على زيادة الحد الأدنى للأجور وتخفيض ساعات العمل .. رفض كوهن بنديست الزعيم الطلابي المتطرف هذا الاتفاق واعتبره تراجعاً مطالباً باحتلال المصانع واسقاط النظام .

صدرت الانتخابات في ٢٣ حزيران وأعلن اليسار عن تحالف مشترك وتكاثر عدد المرشحين على المقاعد البرلمانية .

أخذت الحياة تعود إلى فرنسا تدريجياً بعودة النشاط إلى حركة المواصلات والبريد بالرغم من استمرار الاضراب في المصانع الكبرى خاصة مصانع رينو . ومع اقتراب موعد الانتخابات أخذت المصانع الصغيرة وبعض من الكبيرة تعود إلى العمل وأعلنت « لجنة احتلال السوربون والاوديون » عن اخلاء الجامعة والمسرح .

في ١٥ حزيران أفرج ديغول عن معارضي سياسته في الجزائر وعاد العلم الفرنسي المثلث يخفق فوق جامعة السوربون يوم ١٦ حزيران .

وفي ١٧ حزيران حل عمال الرينو اضرابهم بعد أخذ ورد فكانت بداية نهاية هذه الحركة الطلابية العمالية بالرغم من استمرار بعض التحركات الضيقة هنا وهناك .

وجرت الانتخابات .. وكانت المفاجأة خلافاً لكل التوقعات حيث حصل الديغوليون على الأكثرية وحققوا انتصاراً كبيراً .

كان انتصار ديغول في الانتخابات . كافياً لعودة الهدوء إلى فرنسا لكنه لم يكن كافياً لمحو آثار هذه الأحداث التي امتدت حوالي الشهرين وحملت في داخلها بذور التغيير التي عادت وواجهت ديغول مجدداً بعد سنة واحدة تقريباً اضطرته بعدها نتيجة استفتاء شعبي طرحه هو على الشعب ان يترك سدة الرئاسة ويمهد الطريق نحو القضاء على الجمهورية الرابعة .

وتبقى حوادث أيار ١٩٦٨ في فرنسا والانتفاضات الطلابية في كافة أنحاء العالم في السنة ذاتها نقطة تحول مهمة في عالم الغرب طرح فيها هذا الأخير تساؤلات اساسية طالت أسس وجوده وحدود مستقبله وكادت ان تغير موازين القوى في العالم أسره . ■

المسابقة



تاريخ وأسماء ومعالم القرى والأحياء في الوطن العربي

إلى القراء الأعزاء :

ترغب مجلة « تاريخ العرب والعالم » أن تفتح باباً خاصاً للقراء ، لا سيما للطلاب في الثانويات والجامعات ، تدعو فيه الى الكتابة المختصرة في موضوع : « تاريخ وأسماء ومعالم القرى والأحياء في الوطن العربي » . والمجلة إذ تفتح باب هذا الموضوع تخصص مكافأة قدرها ١٠٠ ليرة لبنانية ، أو ما يعادلها للفائز الأول ، واشتراكاً سنوياً في المجلة للفائز الثاني ، على أن تتضمن المساهمة المقدمة معلومات جديدة وشيقة عن القرية أو الحي أو المعلم وعن تاريخه واسمه وظروفه ، أو ما يحتوي من آثار عمرانية قديمة أو مظاهر حضارية ، وإذا أمكن صورة فوتوغرافية مأخوذة للحي او القرية أو لأي مظهر عمراني أو أثري فيها ، كذلك على أن لا تتجاوز المساهمة الـ ٢٠٠ كلمة .

هذا ، وإذ تشدد المجلة على جدة المعلومات الواردة ، تطلب من الكتاب الأعزاء ان يتقيدوا بأصول الكتابة العلمية وأن يشيروا الى مصدر الاقتباس ، وتترك لهيئة التحرير حقها في اختيار المساهمات الصالحة للنشر ، وكذلك اختيار المساهمات الفائزة ؛ إذ من حصيلة ما يصل الينا ستختار هيئة التحرير ثلاث مساهمات للنشر في كل عدد بينها المساهمتان الأولى والثانية الفائزتان بالمكافأة .

نرجو من المشترك ان يكتب اسمه وعنوانه بخط واضح في نهاية مقاله وأن يرسله الينا بالبريد على العنوان التالي :

مجلة « تاريخ العرب والعالم » بيروت ص . ب . ٥٩٠٥
« مسابقة القرى والأحياء في الوطن العربي » .

تعتبر المواد المرسلة ملكاً للمجلة ، إذا نشرت او لم تنشر .

الجوائـــز

الفائز الأول هذا الشهر هي الآنسة رقية صالح طه – جامعة دمشق – كلية الآداب – سورية التي كتبت عن « بصرى » الشام . والجائزة عبارة عن مائة ليرة لبنانية .

الفائز الثاني هو السيد محمود زعروره – نهر البارد – طرابلس – لبنان الذي كتب عن « صفورية » وهي قرية في قضاء الناصرة في فلسطين المحتلة . والجائزة عبارة عن اشتراك سنوي في مجلة « تاريخ العرب والعالم » . نرجو الأخ محمود الاتصال بادارة المجلة .

ونود ان ننوه بصورة خاصة بالرسائل التالية ومواضيعها :

- ○ رأس الشمرة – اوغاريت – محمد الفاكياني – دمشق – سورية .
- ○ افاميه – وليد ابراهيم الاسود – دمشق – سورية
- ○ « بيت شباب » – شهاب مهنا – بيت شباب – لبنان

ملاحظات عامة :

- ○ لا تزال تردنا رسائل لا تمت بصلة الى ما هو مطلوب . المطلوب كتابة عن تاريخ بعض المعالم الأثرية او بعض القرى او بعض الأحياء الشهيرة .
- ○ من المستحسن ارسال صورة مرفقة عن الحي او الأثر او القرية .
- ○ نرجو طباعة الرسالة على الآلة الكاتبة ليسهل علينا قراءتها .
- ○ يطلب من المشتركين الأعزاء التقيد بأصول الكتابة العلمية وان يشيروا الى مصدر الاقتباس .

الجائزة الثانية – نيسان ١٩٨٠

قرية « السلطان يعقوب الفوقا »

تقع قرية « السلطان يعقوب الفوقا » على قمة جبل في البقاع الغربي اذ تعلو ١٤٠٠ م عن سطح البحر وهي تشرف على سهل البقاع وعلى وادي التيم . سميت بهذا الاسم نسبة الى الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن المغربي الملقب بالمنصور الموحدي الذي كان احد امراء الدولة الموحدية والمولود سنة ٥٥٤هـ والمتوفي سنة ٥٩٦هـ . وفي اواخر حكمه ترك الحكم وسار متخفيا حتى وصل الى بلاد الشام ومن ثم الى منطقة البقاع الغربي وخلال عمله وتجواله كان يقصد قمة الجبل زاهداً عابداً واثناء ذلك كان يحفر ضريحاً ضمن صخرة صلدة ضخمة لتضم جثمانه بعد وفاته .

يؤكد المؤرخ ابن خلكان انه رحـل الى المشرق وانهى حياته في العبادة والتأمل في البلدة التي اعطاها اسمه المبارك . من القابه : الأمير – الوالي – امير المؤمنين – الخليفة السلطان . كان محبا للعلم واهله فلقد استدعى اليه ابن رشد وقربه واحترمه وذلك أثناء فترة حكمه . من الذين زاروا ضريحه الشيخ توفيق الهبري علامة بيروت والشيخ عبد الله امرا شيخ الطريقة النقشبندية والقادرية في سوريا ولبنان والشيخ مظهر علاء الديـن شيـخ الطريقـة المذكورة . وعلى ما اذكر فلقد زاره ايضا بعض الاخوة المغاربة . ولتعلق الناس بالسلطان يعقوب فقد بدأوا بعد وفاته يقصدون قمة الجبـل ليسكنوا قرب ضريحه وهكذا حتى اصبحـت البلدة تضم حاليا ما يزيد على ٥٠٠ نسمـة بالاضافة الى ثلاثة امثال هذا العدد في المهجر . وهناك السلطان يعقوب التحتا ووضعها مماثل للسلطان يعقوب الفوقا غير ان هذه الاخيرة هي الأقدم وهي الأصـل . يعمـل بعض سكان القريتين بالزراعة وبعضهم بالتجارة والبعض الآخر بوظائف عامة او حرة : –

خليل محمد عبدوني

المصـــادر : ■ مجلة الفكر الاسلامي – عدد ١١ – تشرين الثاني ١٩٧٨ – ص ٤٦ .
■ الفتوحات الاسلامية – الجزء الاول – ابن دحلان – طبعة ١٣٥٤هـ – ص ٤٥٨
■ تاريخ الفلسفة العربية – د . جميل صليبا – ص ٤٤٦ .

الجائزة الاولى – أيار ١٩٨٠

« بصرى »

الموقع :

تقع مدينة بصرى في سهل النقرة الخصب على اطراف اللجا الجنوبية بقرب وادي الزيدي شمالا ووادي البطم جنوبا وهما من روافد نهر اليرموك . وتبعد عن مدينة دمشق ١٤١ كم عن طريق درعا و١٢٥ كم عن طريق السويداء ، وترتفع ٨٥٠ مترا عن سطح البحر . وتعني كلمة بصرى في الكتابات السامية القديمة « الحصن » .

لمحة تاريخية :

نمت بصرى في العهد النبطي بصورة سريعة واتجهت اليها طرق القوافل . وبعد ان الحقت بلاد الانباط بالامبراطورية الرومانية شكلوا من حوران والجولان وشرقي الاردن ولاية اطلقوا عليها اسم الولاية العربية . واختاروا بصرى عاصمة للولاية الجديدة .

وفي العهد البيزنطي ظهرت دولة الغساسنة التي اشتهر منها الحارث بن جبلة وفي عام ٦٣٤ ساهم سكانها من العرب في القتال ضد البيزنطيين وتحرير سورية وفي سائر مراحل التاريخ كانت تدهش زوارها بابنيتها الاثرية وحروبها المدنية والعسكرية .

آثار بصرى :

١ – باب المدينة : الذي يستقبل الزائر القادم عن طريق درعا ويعود تاريخ عمارته الى القرن الثاني الميلادي . ويتألف من عقدين يعلو احدهما الآخر ويستندان الى ركائز مزينة بمحاريب على سائر واجهاته الخارجية والداخلية .

٢ – السوق الأرضية : وحتى الآن لم يتم كشف سائر اجزاء هذا البناء الذي يعتبر اطول بناء من نوعه اكتشف حتى الآن .

٣ – القوس المركزي : يطلق عليه [باب القنديل] ويعود الى القرن الثالث الميلادي . ويتألف من ثلاثة اقواس .

٤ – معبد حوريات الماء (منهل الماء)
٥ – الكليبة (سرير بنت الملك)
٦ – السوق الرئيسية .
٧ – جامع الخضر ونبع الجهير .
٨ – دير الراهب بحيرا .
٩ – جامع مبرك الناقة
١٠ – مصلى ملعب
١١ – البركة الشرقية .
١٢ – بركة الحاج
١٣ – مدرسة ابي الفداء .
١٤ – مدفن شهاب الدين
١٥ – الجامع العمري
١٦ – الحمام الاسلامي
١٧ – المسجد المملوكي
١٨ – المعبد النبطي
١٩ – جامع المبارك
٢٠ – الكنيسة الكاتدرائية
٢١ – قصر رئيس الاساقفة .
٢٢ – القصر
٢٣ – الحمامات المركزية .
٢٤ – القلعة
٢٥ – المسرح
٢٦ – المعسكر
٢٧ – الميدان

المرسلة رقية صالح طه
جامعة دمشق – كلية الآداب

المصـــــدر :
كتيب : بصرى ، وضعه سليمان عبد الله المقداد

الجائـزة الثانيـة – أيـار ١٩٨٠

صفوريـــة

قريتي صفورية اولى قرى قضاء الناصرة في فلسطين في عدد سكانها (٤٣٣٠) نسمة ومساحة اراضيها البالغة (٥٥٣٧٨) دونما[١] .

يرجع اسمها في الأصل الى كلمة (صفره) الارامية التي هي بمعنى الطائر ، أطلق عليها الرومان اسم « صفوريس » وذكرها البلاذري في « معجم البلدان » بلفظ « صفوري » . ودخلها المسلمون بقيادة شرحبيل بن حسن سنة ١٣هـ ،[٢] واسترجعها صلاح الدين من الفرنجة قبيل معركة حطين ١١٨٧ م .

تقع على صهوة مخصبة[٣] ترتفع ٢٧٥ عن سطح البحر في الطرف الجنوبي الغربي من

سهل البطوف وعلى مدى ٧ كلم باتجاه الشمال الغربي من مدينة الناصرة . يحتل الزيتون مساحة واسعة من أرضها ، كما تشتهر برمانها « المليصي » وتزرع الحبوب والسمسم وتربي الماشية . كانت المنطقة السهلية المحيطة بالقرية مركز تجمع للجيوش المتنقلة بين مصر والشام وقد تمركزت فيها قوات الفرنجة بقيادة « بلدوين » ومن بعده « غي »[٤] قبيل معركة حطين .

من اهم آثارها : كنيسة القديسة حنه وقلعة الشيخ ظاهر العمر ، وقبيل الحرب الأولى كان يوجد فيها مدرسة ابتدائية للبنين واخرى للبنات ، ومن الاثار التاريخية فيها : خربة « إبداويه » وخربة « الخلادية » وخربة « المشيرفة » و« عين القسطل »[٥] . ينسب اليها عدد من العلماء والفقهاء ، كما افرزت العديد من المجاهدين الذين قاوموا الغزو الصهيوني حتى سقطت بيد الاعداء في ٥ تموز ١٩٤٨ م فدمروا القرية وبنوا على انقاضها حصن « تسيفوري » .

وفي مخيمات النزوح جدد الخلف سيرة السلف فتخرج من ابنائها مئات الشباب الجامعي في مختلف مجالات العلوم ، اضافة الى قوافل الشهداء على طريق التحرير .

المراجـــــع :

١ – بلادنا فلسطين ، الجزء ٧ القسم ٢ ، الطبعة الأولى ١٩٧٤ .
٢ – مجلة فلسطين الثورة ، السنة الثامنة ، العدد ٣٨٦ .
٣ – صانعو التاريخ ، فيليب حتي .
٤ – مجلة فلسطين المحتلة ، العدد ٢١٠
٥ – مجلة الطلائع والجماهير ، السنة الخامسة العدد ٤٣ .

رأس الشمرة – أوغاريت

يعد القطر العربي السوري بين بلاد الشرق العربي القديم من أكثر غنى بالآثار والأوابد التاريخية ، فكل حجر من حجار هذا القطر ترجمان يفصح عن تاريخه الحضاري الغابر ، وكل تل من تلاله القديمة يكمن في أحشائه قصة من حياة الماضي تلقى نوراً وهاجاً على حضارات تليدة كانت تعمر هذا القطر .

سورية كانت همزة الوصل بين أجزاء العالم القديم ولدت فيها مدنيات وترعرعت ثم امتدت منها إلى البلاد الأخرى المجاورة البعيدة . أخذت من المدنيات التي نشأت في البلاد المجاورة وأعطتها من تراثها بسخاء ومن هنا ندرك أن سورية تتمتع بميزة كبرى ، لأنها تدل بوضوح على تاريخ الشرق الأدنى كله .

وليكن بحثنا هذا عن رأس الشمرة – أوغاريت ، في تل راس الشمرة على المدينة المسماة (أوغاريت) والتي كانت عاصمة مملكة كنعانية شهيرة ، ومركزاً من أغنى مراكز الحضارة في الشرق القديم ، ويعود زمن ازدهارها إلى القرن الخامس عشر والرابع والثالث عشر قبل الميلاد .

إن بقايا تلك المدينة معالم أربع مدن أخرى يعود أقدمها إلى الدور الحجري الحديث وذلك عن طريق الاسبار التي تم حفرها .

ويقول الدكتور كلود شيفر : قدم الكنعانيون إلى الشاطئ السوري وإلى راس الشمرة – أوغاريت خاصة في أواخر الألف الثالث ق . م ويبدو أن مجيئهم كان اعتباراً من مطلع الألف الثاني ق . م ثم أصبحوا يشكلون القسم الأكبر من سكان المدينة .

وقد وجد رقم فخاري في ماري – تل الحريري – على الفرات أنه في القرن الثاني عشر قبل الميلاد كانت المدينة قائمة في موقع رأس الشمرة تحمل اسم (أوغاريت) وربما كان هذا الاسم مشتقا من كلمة (أوغارو) التي تعني الحقل في اللغة البابلية . لقد خربت المدينة في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد على غزو شعوب البحر للشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط ، وقد أتى هؤلاء الغزاة من الشمال وقضوا على جميع مدن الساحل الشرقي للبحر المتوسط .

وبعد ذلك لم تقم لهذه المدينة أية قائمة ، واندثرت تحت أنقاض أبنيتها وأمست مدينة مائتة ، وقد لجأ إليها بعض الاغريق من التجار بمراكبهم في القرن السادس ق . م بسبب وجود خليج (مينة البيضاء) وهو الاسم الباقي مشهوراً حتى اليوم . وقد أقاموا بعض المنشآت البسيطة فوق أنقاض المدينة .

إن أهم الأوابد التي أظهرتها التنقيبات هي :

– القلعة ، القصر الملكي ، القصر الصغير ، الحي الشمالي حي المساكن الفخمة ، الحي الجنوبي الاكربول ، الحي الجنوبي الشرقي ، الحي الشمالي الشرقي .

محمد الفاكياني



بريد القراء

○ وليد ابراهيم الأسود – دمشق – الجمهورية العربية السورية

■ لقد سررت كثيرا بمسابقتكم في العددين السابقين (مسابقة القرى والاحياء في الوطن العربي) لأنها تحرك اقلام الاخوة القراء . ومهما كان نوع الكتابة فالمهم أن نهتم بتاريخ ارضنا العربية لأنها قطعة منا . نشكر لكم كل الشكر على هذه البادرة الطيبة في مجلتكم .

■ ونحن بدورنا نشكركم على عواطفكم الطيبة ومساهمتكم ونأمل ان يحالفكم الحظ في المرة القادمة .

○ سلطان الأسود – بيروت – لبنان

أحييكم تحية اكبار واعجاب على ما انجزتموه في ميدان الثقافة في خلال فترة قصيرة جداً من الزمن . « تاريخ العرب والعالم » أتت لتسد فراغا ثقافيا ولتأخذ مكانا خاصا بين المجلات الثقافية واستطاعت بكل ثقة وعناد ان تتفوق على قريناتها بجدة ايمانها وجودة اخراجها وامتناعها ان تكون سلعة تجارية كغيرها .

■ نشكر لكم عواطفكم الطيبة راجين ان نوفق في خدمة امتنا العربية . بالنسبة للمسابقة راجع صفحة المسابقة .

○ شهاب مهنا – بيت شباب – لبنان

■ استلمنا رسالتكم ونأسف لعدم تمكننا من نشرها هذه المرة . ونأمل ان تطبع على الآلة الكاتبة في المرة القادمة .

○ عبد الحكيم محمد كشاد – طرابلس – ليبيا

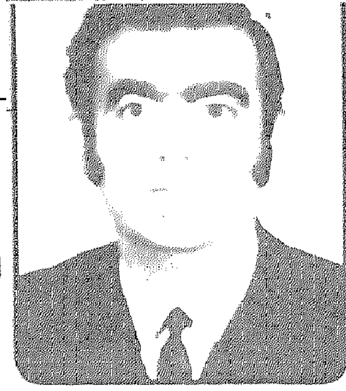
تحية حارة الى مجلة « تاريخ العرب والعالم » التي نجحت في اولى خطواتها في ان تصبح دليل القارئ العربي والطالب لتاريخه ولتراثه . واستطاعت ان تجمع شمل الأصدقاء وان تسلط عليهم نور التاريخ والمعرفة الضرورية لكل انسان .

■ اخ عبد الحكيم : نشكر لكم تحياتكم النبيلة التي لا نستحقها كلها ونعاهدكم ان نبقى معكم الى النهاية . استلمنا رسالتكم الطويلة عن « تاريخ كفاح ليبيا للاحتلال الايطالي » وقررنا نشرها في باب « القراء يكتبون » .

○ محمد زعروره – نهر البارد – طرابلس – لبنان

■ أخ محمود لقد فزت بالجائزة الثانية في « مسابقة القرى والاحياء في الوطن العربي » . نرجو الاتصال بادارة المجلة هاتفيا او بواسطة البريد لاعطاء عنوانكم .

رأي حر



د. سهيل زكار



إن أعمالنا في التأريخ للماضي العربي، وأبحاثنا فيه، كعرب، جاءت في البداية وما زالت إلى حد كبير مقلدة للأبحاث التي قامت في مدارس الاستشراق، تسير على نهجها، لم تتخلص بعد من شراكها.

وفي هذا الواقع المرفوض، هناك محاولات جريئة في الوقت الحالي، لاعادة النظر فيما كتب بالتاريخ العربي، وللعمل على كتابة هذا التاريخ بشكل مستقل أصيل علمي وحيادي، يريد الوصول الى الحقيقة، وتعليلها تبعا لمقاييس نابعة من الفكر العربي، وقائمة على تجارب هذا الفكر الذاتية لا المستوردة.

فالعرب كان لهم منذ قيام الاسلام نظرتهم الخاصة إلى التاريخ، ومبادئهم الذاتية لتعليل حوادثه، ونحن عندما نقرأ القرآن الكريم، يمكن أن نلاحظ فيه وجود «فلسفة تاريخية خاصة» كما يمكن أن نستخرج مما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف معالم أسس مدرسة عربية إسلامية لتعليل التاريخ.

إن هذا الموضوع من الخطورة بمكان، تكفي الآن إثارته، على أمل العودة إليه والوقوف عنده بشكل مفصل مستقل، وحين يثار هذا الموضوع ويفتح ملفه، يفتح معه ملف التراث العربي والعمل به والنظرة إليه، وعندي أن العمل بالتراث ينبغي أن يكون حديثا وتراثيا وفي نفس الوقت إسلاميا عربيا، حديثا على أساس معالجة مواضيع التراث بروح علمية نقدية تحليلية غير متعصبة وشمولية حيادية عميقة، ترى أن تراث العرب يشمل جميع ما أنتجه العرب في ماضيهم العريق على أرض الوطن العربي منذ فجر التاريخ، وإسلاميا عربيا على أساس أن الاسلام والعروبة صنوان، فالعرب رغم ماضيهم العريق القديم، قد دخلوا الباب العريض للتاريخ الانساني مع قيام الاسلام وبوساطته، والاسلام هو دين العروبة، والعرب بالنسبة للاسلام كالقلب بالنسبة للجسد، فلا الجسد يعيش بلا قلب، ولا القلب بلا جسد ...

وتراثيا: على أساس أن الاهتمام بالتراث، ليس جريا على قاعدة جمع العاديات القديمة والتحف لتودع في المتاحف، ولكن من باب اتصال الماضي بالحاضر، وان المستقبل لا يمكن قيامه بشكل أصيل فعال معطاء إذا لم يقم على قاعدة التراث الغنية، فنحن أمة أبدعنا الحضارة الاولى، وظللنا نحمل لواءها، ولا نريد، بل لا يمكن لنا أن ندخل الحضارة الحديثة عن طريق طفرة مستعارة، فنحن نتاج من نتاج الماضي العربي، ولسنا نتاجا غريبا، نعم نحن نتفاعل مع حضارات الامم، ونستفيد من تجارب سوانا، لكن دون التخلي عن ذاتنا، فالعربي مخلوق أصيل، ولا يمكن أن يكون هجينا.

إن البحث في الماضي العربي ينبغي أن يكون علميا، قائما على مصادر شاملة، ووثائق معتمدة، فالعمل بالتاريخ إذا لم يكن وثائقيا، قائما على المصادر، هو اختراع وإبداع، والاختراع والابداع مقبولان في كل الميادين، إلا في التاريخ، لأنه يقود نحو الزيف.

وهنا ينبغي إعادة النظر في تصنيف المصادر التاريخية، على أساس أن التاريخ هو سجل للأحداث التي كان بطلها إنسان، وحيث أن الانسان هو حاو لمجموعة من الغرائز والقوى والميول، فكل ما حوى مادة تتعلق بماضي الانسان فهو مصدر أساسي ومهم، أو بكلمة اخرى ليست مصادر التاريخ كتب مدونات الأحداث، أو ما يطلق عليه عادة اسم «التواريخ» لأن هذه المدونات اهتمت بالحديث عن أخبار الوقائع السياسية والعسكرية بالدرجة الاولى، ولما كانت هذه الوقائع هي نتائج لأسباب، والمسبب دائما أهم من النتيجة، وحيث انه غالبا ما كانت الأسباب إقتصادية أو اجتماعية أو دينية أو فكرية، فالمصدر بالنسبة للمؤرخ هو ما أعطاه وصفا للأسباب، وبالتالي خبر النتائج ... ■

في العدد المقبل

أفغانستان :
أرض وشعب



سورغه : الجاسوس
الدولي

ترجمة من كتاب
الحشائش وخواص العقاقير

